فبراير (شباط) ١٩٨٦، جمادى الثانية ١٤٠٦

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest February 86 N° 87



بلاتيني
ملك من ذهب

(ص ٤٢)

بريق أمل في قهر الايدز

(ص ١١)

بازار إسطنبول

(ص ١٧)

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE .

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

February 86 N° 87 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

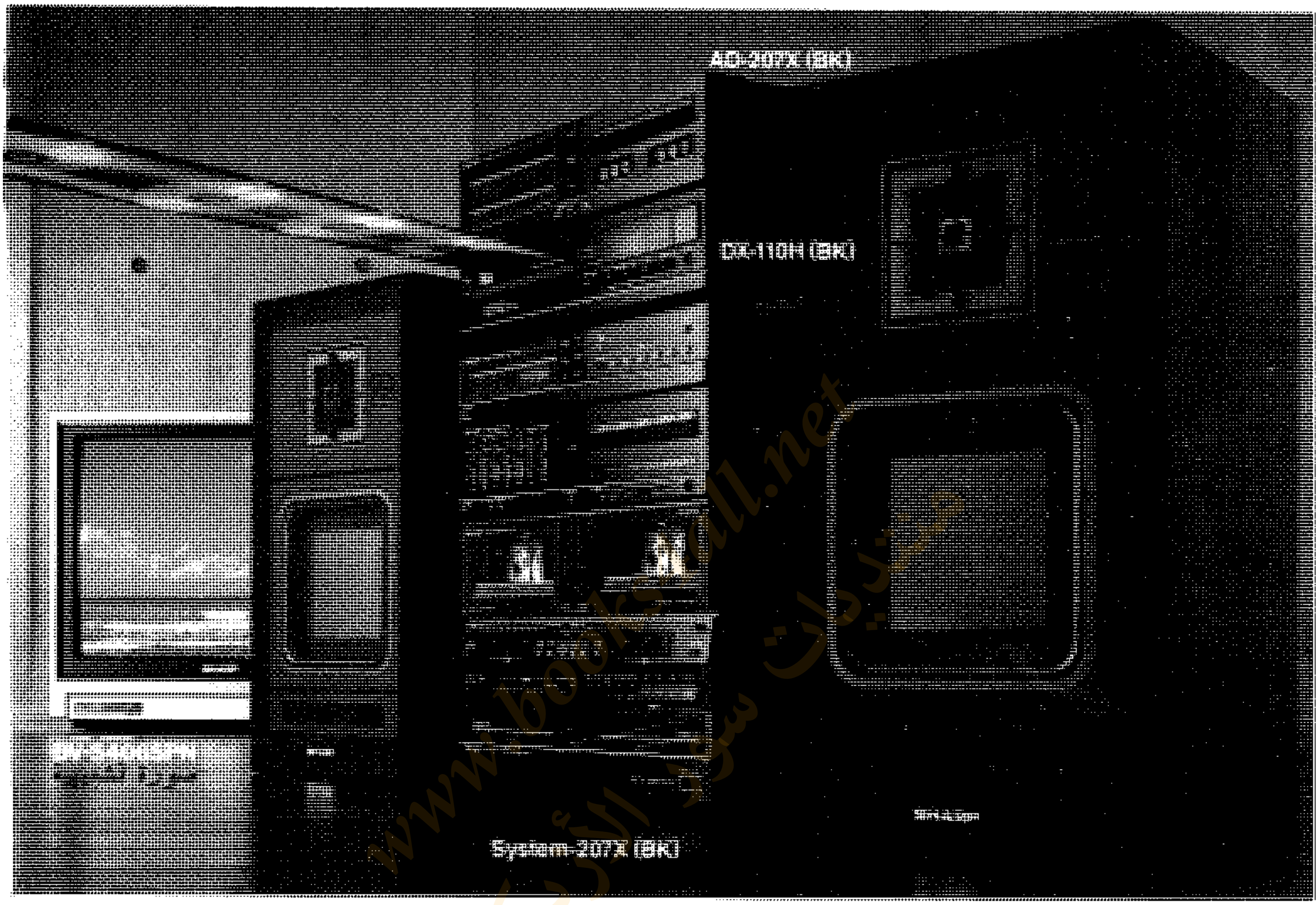
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

كان لنا حلم

كنا نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم الصوتيات والفيديو.



جهاز شارب **207X (BK)** الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية الرفيعة ومشغل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمتميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم. وهكذا تنمو احلامك وتكبر. ان جهاز الانتقاء السمعي / الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو ومشغل اسطوانات فيديو. وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية. ان كنت لا تصدّق ما نقول، فصدّق احلامك.

System-207X (BK) نظام قطع هاي ـ فاي متوسط الحجم ومزوّد مشغّل اسطوانات على الجهتين، بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم. وتقنيّة الكاسيت المزدوجة.

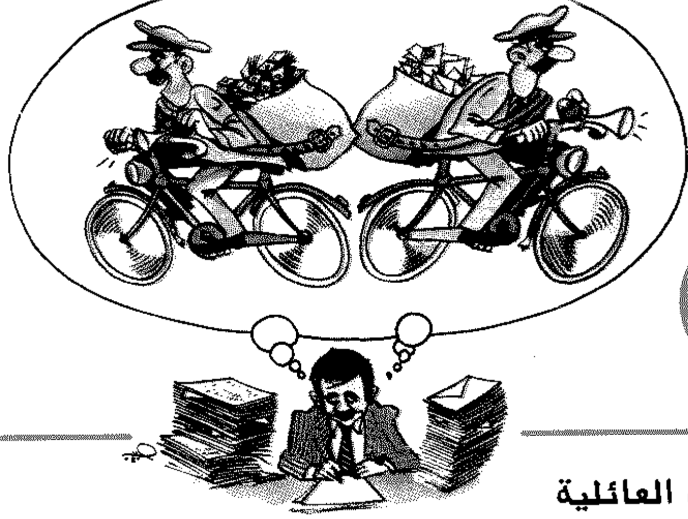
DX-110H (BK) مشغّل اسطوانات سمعي رقمي وصغير الحجم مزوّد اشعة لايزر شبه موصلة وذات ضوء مرئي، لضمان اداء اطول عمراً.

AD-207X (BK) جهاز إنتقاء سمعي ـ فيديو مع نظام توصيل لسبعة اجهزة وامكان التسجيل المزدوج السمعي / الفيديو.

فليكن حلمك

شارب
SHARP
شركة شارب، اليابان

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

"الى أسرة ريدرز دايجست العزيزة،
في خضم القصص المكفهرة التي "تتحفنا" بها الصحف والتلفزيون
تبقى الروايات الانسانية في مجلتكم ينبوع حب وامل يثلج قلوبنا "
أ. ج.، نيويورك

السعادة الحقيقية

"أنقذوا أبي!"

أدرك دوغ بيرغ أن مكروهاً وقع حين رأى صبياً يعدو على الرصيف البحري في مدينة فيرهوب بولاية ألاباما. وصاح الصبي:" هناك شخص يغرق! استدعوا الشرطة."

أوعز دوغ الى صديق له بأن يتصل بالشرطة فيما هرع هو نحو طرف الرصيف الذي يمتد في عمق خليج موبيل. وما شاهده بعد ظهر ذلك اليوم في الخامس والعشرين من يونيو (حزيران) ١٩٨٥ سمره في مكانه.

الى يمين دوغ كان مركب شراعي من دون ربان يتجه نحو الشاطىء. وعلى مسافة مئة متر الى غرب الرصيف كانت امـرأة تتخبـط في المـاء مـع ولـدين صغيرين. وعلى بعد مئات الأمتار داخل المحيط بدا خيال رجل كبقعة صغيرة في الأفق.

كانت عائلة أودونيل أبحرت في رحلة على متن مركبها. وفيما الأم وابنتها وصديقة الابنة يلعبن في الماء قذفت موجة مفاجئة الأب من على ظهر المركب الى المحيط. وسبح في اتجاه المركب، لكن الريح نفخت في الأشرعة وشد الجزر البحري المركب الى العمق. وحين أدرك الأب بعد المسافة التي قطعها في ملاحقة المركب أعياه الارهاق فبات عاجزاً عن العودة. وصار يسبح ثم يطفو في محاولة لاستجماع قواه.



دوغ بيرغ.

Mobile Press Register (July 22, '84), © 1984 by The Mobile Press Register.
Guideposts (March '83), © 1983 by Guideposts Associates, Inc.
Photo: Mobile Press Register

غاص دوغ، وهو طالب ثانوي في سنته النهائية، في مياه الخليج المتلاطمة الأمواج وسبح في اتجاه الأم والفتاتين. ولدى وصوله اليهن طمأنه الى أنهن بخير. لكن إحدى الفتاتين زعقت: "أنقذ أبي! أرجوك خلص أبي!"

كان دوغ سباحاً متمرساً قوي البنية طويلها. لكنه لم يتلق أي تدريب على أساليب الانقاذ. وانطلق بقوة وعزم نحو السابح المتعب. واذ التفت خلفه لمح الشابين فريدي كرايل ومارك تونستال في طريقهما لانقاذ الأم والفتاتين.

استغرقت سباحته الى الأب نحو ثلاثين دقيقة. وبقوى منهكة لف يده تحت إبط الرجل وحول عنقه وباشر رحلة العودة الى الرصيف.

وبعد فترة وجيزة غمرت المياه المنقذ والضحية. لكنهما بطريقة عجيبة استمدا القوة للمثابرة. ثم ما لبثا أن نزلا مجدداً تحت الماء مما اضطر دوغ الى الوقوف هنيهة على أرض الخليج والغريق على كتفيه لابقاء وجهه خارج الماء كيما يتنفس.

وبعد دقائق وصل دوغ الى مرمى السمع من كوكبة المتفرجين الذين احتشدوا لمراقبة عملية الانقاذ. ومنحه ادراكه أنه اقترب من شاطىء الامان قوة إضافية. وأخيراً وطأ الاثنان مرتفعاً رملياً الى جانب الرصيف حيث تمكنا من الوقوف على أقدامهما. وسرعان ما حضر مركب نقل الغريق فيما سبح دوغ الى الشاطىء.

شكر ألفرد أودونيل منقذيه الثلاثة وقال لهم: "لو كنت ثرياً لأصبحتم أنتم كذلك."

لكن دوغ بيرغ شعر بأنه نال جزاءه. وهو قال: "أحسست بالفخر لاني ساهمت في إنقاذ حياة بشرية."

غراهام هيث في "برس ريجستر" ■

الجار الصالح

أليسون ديجينيرو رجل في الثانية والسبعين يتمتع بروح الاستقلالية والتحرر. فبعد وفاة زوجته عام ١٩٧٨ اعتمد على منظمة للعون الاجتماعي في تنقلاته اذ كان عاجزاً عن قيادة السيارات. ثم اكتشف هذا الرجل المعول على نفسه أن المنظمة تتلقى دعماً من الحكومة الأمريكية. ولم ترض هذه المعلومات ديجينيرو، أو "دي - جي" كما يحب هو أن يدعى: "كنت في حاجة الى يد معينة لا الى إعانة مالية. ولم أشأ أن تغطي الدولة نفقات تنقلاتي." وهكذا باشر دي - جي نشاطه. فأبلغ المنظمة أنه استغنى عن خدماتها. ثم راح يتصل بالجيران



أليسون ديجينيرو

Photo: Lowber Tiers

والأصدقاء في فيرو بيتش بولاية فلوريدا سائلا إياهم عن استعدادهم لتأسيس مجموعة عون متطوعة للمساعدة في التعويل على النفس. وتدفقت أجوبة "نعم" بوفرة. وانطلاقاً من مسعى التعويل على النفس هذا تمكن دي - جي من تأسيس مجموعة "جيران يعينون جيراناً" التي تساعد الكثيرين. وهو يؤكد: "نحن نحتاج الى متطوعين لا الى أموال. التبرعات المالية مرفوضة، فنحن لا نتكلف أي مصاريف. لا أموال ولا مجلس ادارة، نحن مكتفون بالحب."

ويساعد المتطوعون جيرانهم في وسائل شتى، فيؤمنون وجبات الطعام وترتيب المنازل والنقليات والاسعاف في حالات الطوارئ. لكن دورهم الاهم هو مساعدة الناس على اكتشاف مواردهم الشخصية واقناعهم بمساعدة أنفسهم.

ويرى دي - جي هذه الجهود مرضية كثيراً. وهو ما زال يتفرغ لعمله الخاص في صنع محلول تنظيف النظارات الذي بدأه عام ١٩٤٩.

ويقول: "أنا رجل سعيد. الحياة جميلة حين تساعد في تعزية الناس وصون كبريائهم وارشادهم الى سبيل استخدام الموارد التي منحهم اياها الله عز وجل."

ويتكلم أليسون ديجينيرو انطلاقاً من خبرة خاصة في الحياة. فهو ضرير منذ ثماني سنوات.

لوبر تيرز في "غايدبوستس" ■

معجزات صغيرة

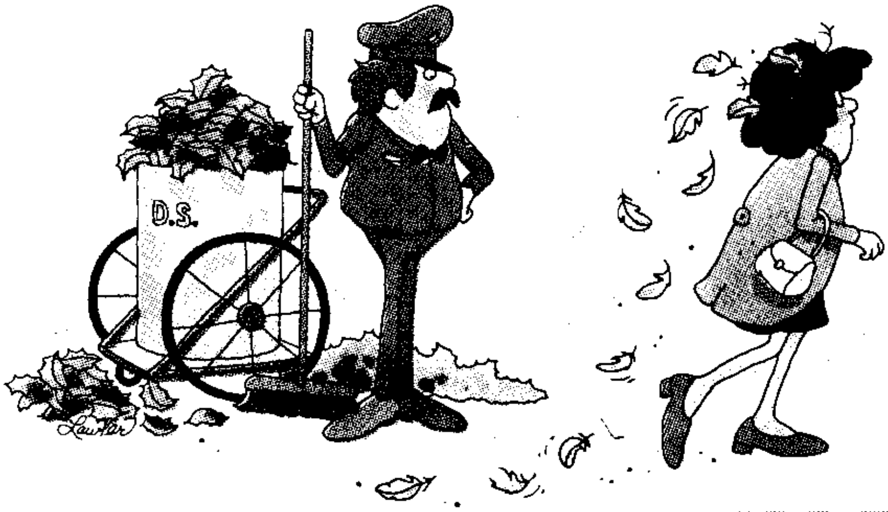
- أن تقف على الميزان في الصباح الذي يعقب تناولك المعجنات والموز والحلوى وتكتشف أن وزنك لم يزد غراماً واحداً.
- أن تكتشف أن ثمن الشيء الذي اشتريته يفوق المبلغ الذي دفعته.
- أن ترى أمين الصندوق في المصرف يرفع لافتة تقول "الى الشباك الثاني من فضلك" بعد أن يسلمك قسيمة الايداع.
- أن تكتشف بعد اغلاق أبواب السيارة والمفاتيح داخلها أنك أغفلت رفع زجاج احدى النوافذ.

ج.ع.

الجمال مسألةٌ مالية!

دخلت امرأة محلا لبيع الازهار وسألت هل يسعها شراء "باقة حسنة ونضرة بـ٣٥ دولاراً." وبعدما شرحت لها البائعة ماذا يمكنها أن تأخذ بهذا المبلغ قالت المرأة: "آه، ألن يكون ذلك جميلا؟" فأجابت البائعة: "كلا، سيكون حسناً. فالجميل يبدأ بـ ٤٥ دولاراً."

ج.ل.



صور من الحياة

حكمة اسكافي

حمل رجل حذاءه وقصد إسكافياً في الشارع ليجده نائماً. وأيقظه من نومه وراح يؤنبه على خموله قائلا: "اذا عملت باجتهاد، فستجمع المال وتؤسس محلا. واذذاك تتخلص من العمل هكذا على الرصيف."

– وماذا بعد ذلك؟

"إذا ثابرت على عملك، أمكنك توسيع المحل وتوظيف العمال لمعاونتك. وعندئذ تستطيع النوم كلما شئت."

وهنا ابتسم الاسكافي وقال: "أليس هذا عين ما أفعله الآن؟"

ف.م.

من المعجم السياحي

من يكثر الاسفار لا بد من ان يتعلم تفسير العبارات الخاصة بالنشرات السياحية. فوصف احد الامكنة بأنه "يبعث على الاسترخاء التام" يعني انه مكان مهجور. والقول انه "ذو جو ساحر وعلى شيء من البساطة الريفية" يعني عدم توافر الماء في الداخل. وقولنا: "ادارة واحدة وملكية واحدة طوال ٣٥ سنة" يعني ان احداً لم يرغب في اقتنائه خلال ربع قرن. وعبارة "مسبح قريب" مرادفة لقولنا ان الفندق يخلو من مسبح خاص. اما وصفه بأنه قائم على مساحة واسعة فيعني ان على السائح ان يقطع ثلاثة كيلومترات على القدمين من شقته الى غرفة الطعام.

ب.ب.

قسائم الجدود

في أحد الاعياد اجتمعنا كلنا على الغداء في منزل أهل زوجي. وبعد فراغنا من الطعام جاءت حماتي وفي يدها وعاء مملوء قسائم. وطلبت من كل منا نحن البالغين سحب قسيمة. وتبين أن كلا منها تدعو صاحبها الى تأدية عمل معين، كتنظيف الصحون وتجفيفها واعادة كل شيء الى موضعه. ولما أنطلق كل الى عمله توجه والدا زوجي الى الدار للاستمتاع بأحفادهم خلال ذلك الوقت.

م.ا.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لأي ضريبة، وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف أو أي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان، ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة. وارباحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومة الى المصرف او أي عنوان تختاره. وقد تخضع هذه الارباح لقوانين الضرائب في مكان اقامتك.

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقة، اشترك اذن الآن، ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي. وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وقوائم الارقام الرابحة المصادق عليها. ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير، املأ القسيمة وأرسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط).

الشيك مدفوع لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg. Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املأ القسيمة. وارفق شيكاً مدفوعاً لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ■ ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهراً للاشتراك في برنامج السحب الكندي.
- ■ ٣٥٠ دولاراً اشتراكاً تجريبياً لمدة ٦ أشهر.

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة:

الاسم الكامل ____________________

____

الشارع ____________________

____

ص.ب ________ المدينة ________

هاتف ________ تلكس ________

او ادفع بواسطة بطاقة:

American Express
☐ Card N° ____________________

Expiration
Month ________ **Year** ________

Signature ____________________

ARRD 02 86

CAPITAL DISTRIBUTION SERVICES:
OFFICIAL LICENSEE OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.


صَبَاحَ الخَيْر!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيويّة والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنيّة .
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجِح .
PI 2960

المختار
من ريدرز دايجست
فبراير (شباط) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

مرض خطر، يضرب جهاز المناعة
في الجسم ويصيب الرئتين والدماغ والجلد
والجهاز الهضمي، وينتشر بين الشاذين ومدمني المخدرات.
العالم يحاول وقف زحف هذا الداء الذي يهدد كل المجتمعات

إليْزا تطارد الايْدز والناس في هلع

طوال شهرين ظل مريض عمره ٣٨ سنة يكافح غدداً متورمة وسعالا عنيفاً واسهالا متواصلا وطفحاً جلدياً مؤلماً. وظن أنه التقط عدوى استوائية خلال اجازة أمضاها في مصر. وبعدما أخفقت الادوية المنزلية قصد مستشفى كلود برنار في باريس.

أدهشت لائحة الاعراض الدكتور ويلي روزنبوم، وهو اختصاصي بالامراض الوبائية يتلقى تقارير من وكالة مراكز مكافحة الامراض في الولايات المتحدة التي تدير برامج وطنية للوقاية من الامراض ومكافحتها وتشرف على أبحاث تقصي مصادر الاوبئة وتقديم المعلومات

عن الامراض المعدية. وقبل دقائق من دخول المريض مكتبه قرأ آخر نشرة تلقاها وهي مؤرخة ٥ يونيو (حزيران) ١٩٨١ تصف خمس اصابات بداء غريب سمي في ما بعد "علة نقص المناعة المكتسبة" أو "ايدز" (١).

وجاء في التقرير أن هذا المرض يسحق ضحاياه عبر شل جهاز المناعة لديهم فيخلفهم من دون دفاع في مواجهة الامراض التي تدعى "الانتهازية". هذه الامراض تسببها جراثيم موجودة دائماً في الجسم، وحين لا يصدها جهاز المناعة الذي نهكه "الايدز" تستشري وتهاجم الرئتين والدماغ والجهاز الهضمي والجلد. وكان جميع المصابين شباناً وذكوراً وشاذين جنسياً.

بدا أن هذه الاوصاف تنطبق تماماً على مريض الدكتور روزنبوم. وأجريت له فحوص طوال أسبوعين لاستبعاد أي أسباب أخرى لمرضه، وعولج بالمضادات الحيوية وعقاقير الشحيمات (ستيرويد) من غير جدوى.

ثم وصل تقرير من وكالة مراكز مكافحة الامراض يورد عشر حالات أخرى بينها مريضان أصيبا بسرطان نادر يدعى "ورم كابوسي". وعلى غرار الحالات الخمس الاولى كان جميع المصابين يعانون نوعاً نادراً من ذات الرئة يدعى "نوموسيستس كاريني" ويقول الدكتور روزنبوم: "كنا شخصنا ذات الرئة في مريضنا، غير أننا لم نجزم بنوع الجرثومة المسببة للمرض." وأخيرا بعد ساعات في المختبر استطاع الدكتور روزنبوم كشف الجرثومة المجهرية التي نادراً ما كانت تُرى. وهو يقول: "عندئذ اصبحت على يقين من أننا نواجه العلة عينها التي وصفتها وكالة مراكز مكافحة الامراض."

وفي النهاية قضى المريض بعدوى فيروسية في الدماغ. ترى هل كانت هذه الاصابة حالا مفردة التقطت من اتصال بجهة خارجية أم ان الداء الوبيل بدأ يضرب في أوروبا؟

تذكر الدكتور روزنبوم مريضين أقر أحدهما بانه شاذ، ماتا من جراء اصابتهما بذات الرئة في العامين ١٩٧٨ و١٩٨٠. وأخذ يستفسر من زملائه ومن الاطباء في مستشفيات أخرى في باريس طوال الاشهر القليلة التي تلت، فعثر على ثلاثة مرضى آخرين ارتاب في كونهم مصابين بالايدز. ولكن باستثناء هذه الحالات بدا انه لم تقع أي اصابات بهذا الداء.

وفي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ أرسل اليه أطباء من مستشفيات أخرى في فرنسا أوصافا لاصابتين: شابان، ذكران، شاذان، يعانيان انهيار المناعة وورماً كابوسياً. فوجد روزنبوم أن "لا مناص من مواجهة الحقيقة، لقد ظهر الأيدز في فرنسا."

أطفال وعجائز - بقي لغزان محيّران: كيف التقط المرضى هذا الداء، وما العامل الذي قضى على جهاز المناعة لديهم؟ في الولايات المتحدة حيث أعلنت وكالة مراكز مكافحة الامراض أكثر من ١٥٠ اصابة بالايدز وبضع اصابات جديدة كل أسبوع، أخذ الاختصاصيون بالأوبئة

(١) Acquired immune deficiency syndrome (AIDS)

يتقصون أنماط حياة ضحايا هذا الداء. السواد الاعظم منها كان من الشاذين النقّالين، وكان بعضهم يقيم علاقات مع ٦٠ شخصاً وأكثر سنوياً. وهذا هو الدليل الحقيقي الاول الذي لفت الى عامل عدوى، وربما كان فيروساً ينتقل داخل مجتمع الشاذين.

بعد ذلك وردت تقارير من الولايات المتحدة عن مدمني مخدرات التقطوا العدوى وأصر كثيرون منهم على أنهم من المستقيمين جنسياً. وظن الاطباء أن هؤلاء ربما التقطوا الداء من طريق إبر ملوثة استعملها قبلهم شاذون مصابون بالداء ومدمنون للمخدرات.

ثم جاء تشخيص الايدز في بنسلفانيا لدى طفل عمره ١٠ أعوام مصاب بالنزاف (هيموفيليا). وتبين أن عامل تخثر الدم الذي تلقاه جاء من دم أخذ من متبرع كان مصاباً بهذا الداء.

وفي سان فرنسيسكو ظهرت أعراض الايدز على طفل عمره ٢٠ شهراً. وحدث ذلك بعد سلسلة من عمليات نقل الدم اليه، وبينها عملية نقل صفيحات (لويحات) دموية مستخرجة من دم رجل تبين في ما بعد انه كان مصاباً بالداء. وهذه الملاحظات كشفت سبب الداء في ما يزيد على ١٢ مريضاً آخر مصابين بالنزاف وفي مرضى نقل اليهم دم بمن فيهم جدة عجوز عمرها ٨٠ سنة.

يقول الدكتور روزنبوم: "أضاف ذلك بعداً مخيفاً الى واقع الحال. فنتيجة وجود فيروس الايدز في موارد الدم بات المئات، بل الالوف أو حتى الملايين من الناس، معرضين للاصابة بالداء."

ويتعذر عملياً منع الشاذين من التبرع بالدم. وكثيرون من الذين يمكن أن يشكلوا خطراً ينكرون كل ما من شأنه أن يقطع عنهم مصدر الرزق.

والى ذلك فان حاملي الفيروس الآخرين، أي الذين تبدو عليهم أعراض طفيفة أو لا تظهر عليهم أعراض قطعاً، يستحيل ابعادهم عن التبرع بالدم من دون ابتكار فحص يفرزهم عن سواهم. لكن ابتكار مثل هذا الفحص يوجب اكتشاف فيروس الداء وعزله أولا.

ولكن بما أنه سجلت في أوروبا كلها عشرون اصابة فقط، سبع منها في فرنسا، فان الاهتمام بمثل هذا المشروع الاستقصائي جاء ضئيلا في البداية. وفي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٣ نشر روزنبوم بياناً في صحيفة باريسية وصف فيه أعراض الايدز وذكر رقم هاتف مكتبه. ويقول متذكراً: "في غضون يومين تأكدت لدينا ثلاث حالات أخرى." ولم تعد ثمة مشكلة في تأليف فريق للتقصي، ولكن انقضت تسعة أشهر قبل أن تظهر الدلالة الاولى.

"بصمات" القاتل - أواخر ١٩٨٢

أدخل مستشفى بيتييه - سالبترير حيث كان روزنبوم يعمل، رجل شاذ في الثالثة والثلاثين تجلت عليه أعراض الايدز الخفيفة. وأخفقت الصور الاشعاعية والتحاليل الكيميائية في كشف عامل العدوى. وأعرب أحد أعضاء فريق الاستقصاء عن رأيه في أن تورم الغدد اللمفاوية في جسم المريض ليس من أعراض الداء، بل هو رد فعل قناعي ضده،

وهي الطريقة التي يفصح بها الجسم عن صراع يجري داخله.وحتى ذلك الحين كان معظم الابحاث يجرى على مرضى في مراحل متقدمة من الداء بحيث تكون المناعة لديهم انهارت تماماً. ولكن في حال عدوى حديثة العهد نسبياً فان تحليل الانسجة اللمفاوية يمكن أن يكشف الفيروس القاتل.

ان تحديد أنواع الفيروسات يتطلّب مهارات اختصاصيين بالفيروسات وبالكائنات المجهرية. لذلك استدعى فريق الاستقصاء ثلاثة اختصاصيين بارزين بالفيروسات هم الاستاذ لوك مونتانييه والطبيبان جان - كلود شرمان وفرنسواز باريه - سينوسي من معهد باستور. وبعد جلسة مناقشة شاملة اقتنع العلماء الثلاثة بأن داء الايدز، على ما يبدو، ينجم عن فيروسٍ رجعي، وهذه عائلة من الفيروسات ظن لمدة طويلة انها لا تغزو الا الحيوانات.

وتقرر اجراء فحوص مخبرية لتأكيد دور الفيروسات الرجعية او استبعاده. وسحن الباحثون عينة في حجم حبة الحمص ووضعوها في مزيج مغذ كي تتكاثر فيها الخلايا والفيروسات التي تضيفها طوال أسابيع. واذا كان عامل العدوى فيروساً رجعياً فان الفحص بالمواد المشعة الذي يجرى كل ثلاثة أيام خليق بكشف أي نشاط لخميرة تدعى "المناسخ العكسي" (٢) وتنطوي عليها كل الفيروسات الرجعية.

وأبرزت المحاولة السادسة دليلا لا ريب فيه على المناسخ العكسي. وأوضح الاستاذ مونتانييه ذلك قائلا: "هنا انحصر نطاق البحث في هذه العائلة من الفيروسات." وبعد ذلك حاول فريق الاستقصاء اكتشاف ما اذا كان الفيروس المسبب للداء هو أحد نوعين من الفيروسات الرجعية المعروفة بمهاجمتها الخلايا البشرية. غير أن مقابلته بعوامل مناعية مختلفة لم تؤكد انطباقه على أي منها. وكشفت صورة للفيروس أخذت بالمجهر الالكتروني ظواهر شكلية تختلف جوهرياً عن العوامل المقارنة. وأخيراً أطلق الفريق على هذا الفيروس الخفي اسم "الفيروس المترافق مع الورم اللمفاوي" واختصاراً «LAV» (٣).

غمرت الاثارة أعضاء فريق باستور، فدأبوا طوال أسابيع على تعقب آثار الفيروس القاتل. ومع أنهم لم يتمكنوا من رؤيته وهو يقوم بعمله، فانهم اكتشفوا تحت المجهر أن خلايا "ت - ٤"، وهي فصيل من العناصر الطليعية في جهاز المناعة لمكافحة الداء، تتعرض للعدوان ويقضى عليها، وهكذا يغدو الجسم مجرداً من أي دفاع ضد العدوى. وعلى رغم ذلك بقيت أسئلة عدة من دون أجوبة: ما هي العلائم المميزة لهذا الفيروس؟ ما نوع الاجسام المضادة التي ينتجها؟ هل يمكن وقف نشاطه؟

كخطوة أولى عمد أعضاء فريق المختبر الى استدراج الفيروس الى جينات (مورثات) البكتيريا لكي تنسخها ألوف المرات. وبعد ذلك استخدموا الذبذبة فوق الصوتية لتفسيخ "الجدائل" الوراثية

(٢) Reverse transcriptase

(٣) Lymphadenopathy — associated virus

هل أنت في خطر؟

هل يمكن أن تلتقط العدوى من اتصال عرضي بشخص شاذ؟ يقول الاستاذ لوك مونتانييه من معهد باستور: "لم يتوافر دليل حتى الآن على أن الفيروس ينتقل عبر أي طريق اخرى غير الدم والمنيّ. والمعلومات المتوافرة من علماء الاوبئة تؤكد هذه الحقيقة. فلو كانت ثمة وسيلة لانتقال العدوى غير هذين السائلين من سوائل الجسم، لظهرت اصابات بداء الايدز أكثر مما ظهر فعلا."

وفي حين يبقى الشاذون أكثر الناس تعرضاً للعدوى، فقد تم تشخيص داء الايدز لدى مدمني المخدرات الذين يتشاركون في الابر مع حاملي الداء، ولدى نساء يعاشرن رجالا يمارسون الجنس الطبيعي والجنس الشاذ معاً، ولدى أطفال ولدتهم أمهات موبوءات. وتتجمع الادلة على أن المرض نشأ في افريقيا الاستوائية حيث هو واسع الانتشار ويصيب النساء مثلما يصيب الرجال. وباعتماد فحص التشخيص الجديد لمنع التبرع بالدم الموبوء، فان المصابين بالنزاف وسواهم ممن يحتاجون الى مشتقات الدم أو الى عمليات نقل دم كامل لم يعودوا معرضين للخطر.

المنسوخة واستخدموا الخمائر لاعادة تشكيلها في مجموعات مستقلة. وبعد تحليل المحتوى الكيميائي لكل مجموعة حددوا موقعها في الجديلة الوراثية. وأخيراً استعان عالم المجهريات البريطاني سيمون واين - هوبسون بدماغ الكتروني ليخرج صورة طباعية طولها ثلاثة أمتار تظهر "بصمات" الفيروس القاتل (٤).

فحص الزامي - في أقل من سنتين من الجهد العلمي الباهر استطاع فريق الاستقصاء أن يعزل فيروس الايدز ومناسخه ويحلله ويفرز صفاته المميزة، وهو الذي يعتبر أحد أكبر "المجرمين" الذين جرى تعقبهم في تاريخ الطب. وقال الدكتور روزنبوم في ذلك: "لم يكن ثمة شك في أننا حققنا خطوة جبارة نحو قهر هذا الداء."

وحالما تأكدت طريقة عمل الفيروس باشرت فرق أبحاث عدة، بما فيها فريق معهد باستور، تجربة الادوية التي من شأنها وقاية جهاز المناعة منه أو تخفيف أعراضه.

ويقول شرمان: "قد يستغرق العمل سنوات. ولكن حتى الآن أظهر عقارنا HPA 23 قدرة على كبح هذا الفيروس لدى عدد من المرضى." ولوحظت نتائج مماثلة في التجارب التي أجريت بمركبات مختلفة في الولايات المتحدة.

وأدى كشف بصمات الفيروس «LAV» الى تحقيق تقدم نحو تطوير لقاح ضده. وهذا أيضاً سيستغرق سنوات من الجهد. وأخيراً يأتي الفحص التشخيصي

(٤) نشر الدكتور روبرت غالو وفريق من المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة صورة مماثلة لبصمات فيروس الايدز الذي دعاه «HTLVIII»

"اليزا" (٥) وهو اليوم يمنع انتشار الداء عبر التبرع بالدم الموبوء في الولايات المتحدة وفرنسا وبضعة بلدان أخرى. ويتم هذا الفحص باستخدام طبق مسطح من البلاستيك فيه تجاويف غير عميقة تحوي مقادير صغيرة من فيروسات الايدز الخامدة التي لا خطر منها. ويوضح ذلك أحد الفنيين في مصرف للدم: "عندما يتبرع أحدهم بدمه نضع قطرات من مصله في أحد التجاويف ونضيف اليها بعض الكيميائيات ثم نراقب تغيّر لونها." فاذا ظهر عليها صبغ خفيف دل ذلك عادة على أن في دم المتبرع أجساماً مضادة من نوع «LAV — HTLVIII» مما يعني أنه حامل للفيروس أو موبوء بالداء. وفي الحالين يطرح الدم الذي تبرع به.

ان فحص "اليزا" سيساعد على اغلاق الباب في وجه أرهب وسيلة لنقل العدوى. وقد أقرت الحكومة الفرنسية من فورها بامكانات هذا الفحص وجعلته إلزامياً لجميع المتبرعين بالدم.

وتتقدم أعمال البحث والاجراءات الحكومية سريعاً منذ ظهور الفيروس. ويقول روزنبوم: "بفضل جهود معهد باستور وجهات أخرى كثيرة يبني العلماء اليوم سوراً لمحاصرة فيروس الايدز."

ستانلي انغلبارت ■

(٥) فحص الماصّ المناعي المتصل بالخمائر أو Enzyme-Linked immuno-sorbent assay (ELISA)

متى عرف السبب...

قطعت مسافة طويلة لألقي خطاباً في مأدبة. وكان المضيف أكد لي أن عدد الحاضرين لن يقل عن ٣٥٠، ولذا شعر بالحرج حين لم يحضر سوى ٣٠ شخصاً. وظل طوال الوقت يعتذر الي ويلقي باللائمة على الطقس وعلى ارتباط المدعوين بمناسبات اجتماعية أخرى. ثم نظر الي وقال: "لا يمكنني ان أتصور ماذا حدث لكل هؤلاء الناس، فأنا أكدت لهم أنك ستأتي."

ب.ل.

العجة والشجاعة

كانت المذيعة تقدم ذات ليلة عرضاً تلفزيونّياً لطريقة قلب عجة البيض. واكدت لمشاهديها أن كل ما يحتاجون اليه هو استمداد الشجاعة من قناعاتهم. ثم قذفت العجة في الهواء فسقطت وانفلشت على الموقد. لكن المذيعة لم تفقد رباطة جأشها بل قالت: "وكما ترون، اني لم استمد الشجاعة من قناعتي."

ا.ك.



بازار اسطنبول

آه من سحر الأغاني
التي ينشدها التجار في بازار اسطنبول الأسطوري

"يا سيد، هل تحب مشاهدة بعض السجاد البديع؟ انه الأبخس ثمناً في البازار الكبير. لا تشتر. أنظر فقط. لا؟ غداً ربما؟ حسناً، خذ بطاقة المتجر!"

قبيل التاسعة صباحاً دخلت بازار اسطنبول الكبير، وهو أشهر الاسواق المسقوفة في العالم وأكبرها. وكانت بواباته السبع عشرة الضخمة مفتوحة. في هذه المدينة العظيمة التي يناهز عدد سكانها الملايين الستة والتي عرفت باسم القسطنطينية حتى العام ١٩٢٦، يبرز البازار الكبير مثل "صندوق فرجة" للجمهورية التركية التي تأسست في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣.

Photo: Kurt Scholz / Shostal Assoc.

"نبيع غلايين صغيرة ثمن الواحد منها ١٧٠٠ ليرة تركية(★) وما فوق. هل تبغي شراء أحدها؟ أنت لا تدخن؟ حسناً، ما رأيك في أحد هذه الغلايين الكبيرة؟"

في وقت من الأوقات عكس البازار ثراء امبراطورية امتدت من هنغاريا (المجر) الى شبه الجزيرة العربية ومن مصر الى جبال القفقاس (القوقاز). وهو يضم نحو ٣٥٠٠ متجر، ويتغير هذا العدد كلما قرر متجران مجاوران الاندماج في متجر واحد وكلما انقسم متجر الى اثنين. وينتشر البازار على مساحة مئتي ألف متر مربع مشكلا مدينة مغلقة ضمن اسطنبول. وفي أيامنا يكسب نحو ٢٥ ألف تاجر وبائع وساع وحمّال رزقهم ضمن تخوم البازار. وتقدر قيمة السلع المعروضة للبيع في أي لحظة بأكثر من مليار دولار.

أبواب مشرعة - "أتريد جرس الجمل هذا؟ انه برونزي. وزنه خمسة عشر كيلوغراماً. ربما كان الجائزة الأولى في مباراة مصارعة الجمال قبل مئة وخمسين سنة. انه يرفع قيمة دكاني. سعره ٨٥ ألف ليرة فقط. هل تريده؟"

شيد البازار على يدي السلطان محمد الثاني الفاتح الذي أخضع القسطنطينية عام ١٤٥٣. وكانت آنذاك من أغنى مدن العالم وأكثرها حيوية، وهي التي تقف بين قارتين وتسيطر على خطوط التجارة بين آسيا وأوروبا. وبني البازار، مثل قصر السلطان والجوامع العظيمة، وفقاً لمقاييس مهيبة. فالقناطر تعلو ستة أمتار وتمتد فوق شوارعه وأزقته الأربعة والستين المتشابكة.

ونتيجة الحرائق والترميم الكيفي تحول البازار متاهة يضيع فيها الغرباء. ولم يعد التجار يلتزمون الشوارع المخصصة لهم، كشوارع صانعي المرايا وصانعي اللحف والصاغة والاسكافيين، بل انهم يشيدون حوانيتهم حيثما يجدون فسحة لذلك. وتتفاوت المتاجر بين حوانيت ضيقة مغلقة ومؤسسات مترفة تزينها ثريات ومفروشات فخمة وواجهات أنيقة. ويبلغ سعر المبيع الحالي لمتجر في شارع فوركاب الانيق، طوله أربعة أمتار وعرضه ثلاثة، نحو ١٥٠ مليون ليرة تركية. ويتهافت الصاغة على متجر كهذا.

ويمكن الزائر أن يشتري سلعاً مختلفة تراوح بين قلادة حجار كريمة بثمانين مليون ليرة وسروال بسيط. ويعتبر تجار البازار أنفسهم أفراد عائلة واحدة. والحقيقة أن هناك أواصر قربى تربط الكثيرين منهم. وكثيراً ما يرشدونك الى دكان مجاور منافس لتجد فيه مطلبك. والأمن مستتب تماماً، فلا خوف من السرقة. ويترك التجار أبواب حوانيتهم مشرعة حين يغادرونها ليتحدثوا الى جيرانهم.

بعد الشاي - دخلت دكاناً غريباً يملكه "لويس" شلبي، وهو رجل نبيل المظهر تبدو عليه أمارات الأناقة والكياسة ويتكلم لغات عدة ويعتبر ملك البازار غير المتوج. قدم الي قدح الشاي التقليدي ثم بادرني: "لقد أسس جدي هذا الدكان قبل

(★) المبالغ النقدية الواردة في هذا المقال هي كلها بالليرة التركية، والدولار الامريكي يساوي نحو ٥٧٥ منها.

ما ينيف على القرن." وكانت الصواني الفضية واللوحات الزيتية والأواني البلورية تملأ أرجاء المكان.

وفيما نحن نتحادث باع مساعدوه عدداً من السلع الصغيرة. أما شلبي فاشترى خلال عشرين دقيقة صحناً صينياً نادراً وطاساً فضية من صنع البرتغال وسواراً فيروزياً قال لبائعه: "سعره مرتفع جداً، لكنني سأتحنن عليك وأشتريه."

وفجأة انتصب كالرمح وصرخ بالفرنسية: "أين كنت يا سيدتي؟ كنا نسأل عنك طوال السنة! وها أنت! كيف حال أولادك؟ وكيف باريس؟ أرجوك أن تتفضلي وتجلسي. كم يسعدني مرآك!" وانسللت خارجاً من دون أن أنبس بكلمة.

لا تجرى أي صفقة في السوق بطريقة مختصرة وناشفة. فمن دون متعة المفاصلة تفقد الحياة بهجتها عند تجار البازار. فبعد أن يقدم اليك التاجر قدح شاي ساخن يعتبر رفضه بمثابة اهانة، تبدأ اللعبة:

"دعني أريك الآن شيئاً سوف يعجب خاطرك."

– حسناً، أرني اياه، ولكني قد لا أقرر شراءه اليوم.

"يا سيدي، أؤكد لك أن هذا لا يهم."

والحقيقة تقال أن ما يقدمه اليك جميل فعلا. وتعلم علم اليقين أنه سيبدو رائعاً حين تضعه في دارتك. وتعود في اليوم التالي فترى الشيء حيث تركه بالأمس. وتستمع الى خطابه حول الطقس فيما أنت تسترق النظر الى الشيء. ثم يستفسر عن أحوال عائلتك متحفاً إياك بأخبار أهل بيته.

وتذهب في اليوم التالي المصادف الاحد في رحلة يكون أرشدك فيها الى المكان الافضل لتناول الغداء. لكنك تعود اليه صباح الاثنين لتسأله عن زكامه. ويؤكد لك أنه أفضل حالا شاكراً لك اهتمامك. وبعد تردد هنيهة تجمع قواك وتسأله ما هو السعر النهائي والادنى لتلك السلعة.

ويجيبك مبتسماً: "يقول دليلك السياحي: أعط التاجر نصف مطلبه ثم اقتسم الباقي معه. لكن هذه قطعة ثمينة ونادرة. أنا متأكد من أن كل أصدقائك سيعجبون بها. واليك اقتراحي الأخير: أعطيك اياها مع حسم ١٥ في المئة. أسعار جيدة للقوم الجياد. ماذا قلت؟"

وبعد مصافحة حارة تخرج حاملا رزمة تحت ابطك وبركات الله تنهمر على رأسك.

الذهب والسجاد – الذهب هو ربما أكثر السلع تداولا في البازار. ويتم بيعه في أشكال مختلفة، من رقيات تعلق فوق مهود الرضع وتبلغ قيمتها ٨٥ ألف ليرة الى سلاسل ثقيلة وعملات مختلفة. وهناك نحو ٨٠٠ تاجر ذهب في البازار.

ومعظم السلع المبيعة في البازار متجذرة في التراث التركي. وعلى رغم أن هذه السوق العظيمة تعكس الحنين الى عهد ولى الى الابد فان التركيز يبقى على حيوية الفنون الشعبية التركية وتنوعها وسحرها. فهناك الجزع أو العقيق اليماني، وهو حجر شبه شفاف ضارب الى الخضرة أو البياض وتشتهر به الأناضول. وينحت هذا الحجر الكريم في شكل آنية

وعلب ومنافض وفناجين قهوة وحجار شطرنج. والمرشوم ومعناه بالألمانية "رغوة البحر" معدن رخف ضارب الى البياض يكثر في السهول الغرينية الواقعة غرب الأناضول (أرض الشمس) وتصنع منه الغلايين الشهيرة التي تمتص القطران الضار حسبما يدعي المدخنون.

الكثير من السلع المعروضة في الدكاكين العتيقة أما مزيف واما مستعمل. وعلى رغم ذلك يمكنك اكتشاف أشياء جميلة. ففيما أنا أنقب في محتويات أحد الحوانيت الصغيرة وقعت على فخارة مصقولة ومدهونة تبين لي لاحقاً أن عمرها ٤٠٠ سنة. وهي من صنع نيقية (ازنيق حالياً) المدينة الأناضولية التي زخرف فنانوها الخزف الزهري الرائع لمساجد اسطنبول في القرن السادس عشر. ورسم على هذه الفخارة التي كانت في حال ممتازة باقة زنبق. واقتصرت ألوانها على أبيض "مقلة العين" التقليدي وأحمر البندورة (الطماطم) وأخضر التفاح من العصر الذهبي لصناعة نيقية الخزفية.

ولسوء حظي كان البائع يعرف قيمتها. ولكن حتى ان كنت مستعداً لدفع ٧٨٠ ألف ليرة طلبها لما تمكنت من أخذها معي. فالاثريات الأصيلة يمنع تصديرها، ومن يحاول تهريبها الى خارج البلاد يعاقب بشدة.

أما السجاد الشرقي فهو السلعة الأكثر رواجاً في البازار. فهناك نحو مئتي دكان لبيعه. أما أفضل بائع سجاد في السوق فهو برهان أونلوسوي، وهو رجل بارع قوي البنية ناحلها في عقده الرابع. انه أنموذج للشباب المفعمين بالنشاط الذين يضطلعون تدريجاً بمقدرات البازار. يتقن الألمانية والفرنسية فضلا عن التركية، ويمارس مهنته بتكريس جدي لا يتميز به سوى العلماء. ويقول لي: "أبي ملك دكاناً في البازار قبلي. وأصابتني حمى السجاد وأنا دون العشرين." ويخزن برهان في محله نحو ألفي سجادة.

أيام السلاطين – انبهرت عيناي من توهج الألوان الأولية التي تطغى على السجادة التركية، خصوصاً الأحمر الفاقع. كما حيرتني الرسوم المعقدة على سجادات الصلاة. وأوضح لي برهان: "السجاد نتاج الحياة البدوية. انه ينسج على أنوال محمولة. وكان يصنع أصلا لاضفاء الدفء والراحة على الخيم الباردة."

يبلغ ثمن سجادة عادية طولها متران وعرضها متر ونصف متر نحو ١٢٥ ألف ليرة. لكن برهان باع عدداً من النماذج النادرة بملايين الليرات. وأوضح لي أن تمدين تركيا هو الذي أدى الى طرح هذه الكمية الكبيرة من السجاد في الاسواق. ففي كل سنة يتدفق نحو مئتي الف فلاح أناضولي الى اسطنبول طلباً للعمل فيبيعون أمتعتهم المتوارثة. ومنحت هذه السوق الناشطة بعض القرى فرصاً جديدة للازدهار، اذ أخذت الشركات تسوّق إنتاج سكانها من السجاد المصنوع يدوياً.

ويعبر البازار يومياً قرابة مليون شخص كطريق مختصرة بين منطقة وأخرى. فالسوق المسقوفة هي أفضل ملجأ أثناء انهمار المطر. وفي الصيف

تشكل جدران المحال الكثيفة عازلا للحرارة الخارجية اللاهبة. كما يتوافد كثير من السكان المحليين الى البازار للتنزه وتمضية الوقت. ولا يزيد عدد القاصدين للشراء على خمسة عشر ألفاً يومياً. ومعظم هؤلاء من ذوي الدخل المتوسط الذين يؤمون البازار لشراء أثواب القماش والسلع الجلدية والأواني المطبخية التي غالباً ما تكون أسعارها هنا أرخص مما هي في المدينة.

ومررت بواجهات مليئة بأخفاف الحريم المطرزة بالذهب وسترات الجلد المغطاة بالفرو والمسدسات المزيفة المرصعة بعرق اللؤلؤ. وفيما أنا أتسكع في الجهة الخلفية المنعزلة للسوق خلتني أجول في أيام الملكة فيكتوريا أو أيام السلاطين والقياصرة. وبدا لي كأن حضارة كاملة تتحفز للانبعاث. فهنا نظارات أوبرا بالية استعملت بالتأكيد في مسرح اسطنبول الملكي الفخم. وهناك خناجر مطلية بالفضة تستخدم حالياً كفتاحات رسائل. وهنالك علب سجائر فضية وذهبية. وترى ساعات جيب بريطانية الصنع في حال ممتازة، ومجموعات فاخرة من خزف السيفر ربما احتست فيها سيدات الحريم الشاي المعطر.

وحانت ساعة الاغلاق في السابعة والنصف مساء. فانضممت الى الجماهير المرهقة السائرة نحو أقرب بوابة. وفي الخارج هاجمتني المدنية بكل عصبيتها: سيارات الأجرة تطلق أبواقها بغضب وعربات النقل الكبيرة المكتظة تجتاح الشوارع العريضة. وأحسست كأنني خرجت لتوي من كبسولة الزمان التي تحفظ روح الشرق الغامض.

ارنست هوسر ■

كذبة احتياطية

كان شقيقي يملأ استبياناً يهدف الى تأمين الانسجام بين الطلاب الجامعيين في غرف المنامة. وجواباً عن السؤالين: "هل تمهّد أغطية فراشك دائماً؟" و"هل تعتبر نفسك شخصاً مرتباً؟"، وضع علامة امام كل سؤال تفيد بـ"نعم".

وقرأت أمي أجوبته وسألته لماذا يكذب وهي تعرف أن ما كتبه ليس صحيحاً. فصاح "ماذا؟ هل تريدين أن يضعوني في غرفة مع شخص زري؟"

د.ك.

المعرفة القليلة

سألني أستاذي هل أعرف القول المأثور: "ان المعرفة القليلة شيء خطر."

ولما أجبته بنعم قال لي بلهجة لاذعة: "حسناً يا عزيزي، أنت اليوم خطر داهم على البشرية."

ف.ر.

بلاتيني
حلمٌ على كرة

تمريراته ذهبية وشوطاته الحرة هائلة
ورفساته القصيرة نحو المرمى تكاد تكون خارقة.
وأهم من كل ذلك أنه يسجل أهدافاً
بقدمه اليمنى وقدمه اليسرى وبرأسه على السواء

دخلت مباراة نصف نهائي بطولة كرة القدم الاوروبية للعام ١٩٨٤ الوقت "الضائع". واستبد القنوط بـالفريق الفرنسي. فلم يبق حتى نهاية المباراة سوى خمس دقائق والفريق البرتغالي متفوق بهدفين في مقابل هدف واحد.

ومرة ثانية بدا أن حلم فرنسا في الفوز بأولى دوراتها العالمية الكبرى أخذ يتلاشى.

فجأة مرّر ميشال بلاتيني الكرة الى جان - فرنسوا دوميرغ الذي ركلها مسجلا هدف التعادل. وهبّ ٥٦ ألف متفرج ملأوا



ملعب مرسيليا يحتفون في ثورة جنونية من الابتهاج. وقبل انتهاء المباراة بثوان سدّد بلاتيني الكرة وسجل الهدف الذي حقق الظفر. وهكذا تأهل ذوو القمصان الزرق للمباراة النهائية ضد اسبانيا.

هل سيفلت "الفوز العظيم" من فرنسا؟

يعرف الفريق الفرنسي بالأداء الباهر، لكنه أخفق غالبا في تحويل هذا الأداء أهدافا في مباريات حاسمة. ولكن هذه المرة كان في يده سلاح ماض هو اللاعب ميشال بلاتيني البالغ من العمر ٢٨ سنة، وهو أعجوبة في الهجوم والدفاع. بلاتيني

Photo: Mundial / Gemma

هذا يمكنه أن يحقق كل شيء. فتمريراته ذهبية وشوطاته الحرة هائلة ورفساته القصيرة نحو المرمى تكاد تكون خارقة. وأهم من كل ذلك أنه يسجل اهدافا بقدمه اليمنى وقدمه اليسرى وبرأسه على السواء.

كيف تسنى لهذا الشاب أن يكتسب هذه البراعة؟

يقول بلاتيني: "في طفولتي لم أهتم لشيء سوى كرة القدم.". وجيران آل بلاتيني في مدينة جوف بمقاطعة اللورين يتذكرون جيداً الصخب الذي كان يحدثه الصبي كل مساء بعد عودته من المدرسة وهو يقود مباريات لا تنتهي بكرة القدم مع أولاد الجيرة. حتى في تلك المرحلة تفوق في هذه اللعبة. ولكي يحفظ التوازن كان يلعب وحده ضد ستة أو سبعة من أنداده. وشجعه والداه في ميوله الرياضية ولم يعترضا حين ترك المدرسة لدى بلوغه السابعة عشرة من العمر ليخصص وقته لكرة القدم مع فريق مدينته الذي كان والده مدرباً له.

عام ١٩٧٢ بعد تسجيل ثمانية أهداف في بطولتين دوليتين للناشئين، وقّع ميشال عقداً مع الشعبة الاولى في نادي نانسي - لورين الرياضي، وأصبح قلب الهجوم في الفريق ويحمل الرقم ١٠ على قميصه، وهو رقم السعد الذي لا يزال محتفظاً به.

واصل ميشال تحسين مهاراته. وحين اختير للعب مع المنتخب الفرنسي للمرة الاولى عام ١٩٧٦ سجل هدفاً حاسماً ضد تشيكوسلوفاكيا. وبين العامين ١٩٧٦ و١٩٧٨ فاز فريقه في المباريات التسع التي لعبها في "بارك دي برانس" بباريس الذي يعتبر محجة كرة القدم الفرنسية، وكان هذا انجازاً مدهشاً توّج بالهدف الذي سجّله بلاتيني قاهراً فريق باريس - سان جرمان وحائزاً بطولة فرنسا للعام ١٩٧٨. وعندما شارف تعاقده مع نانسي الانتهاء حاولت كبرى الاندية الفرنسية أن تتعاقد معه. غير أنه تعاقد لمدة ثلاث سنوات مع فريق سانت - اتيان الذي كان حينئذ نبراس اللعبة في فرنسا.

لن أنساكم أبداً - في تصفيات كأس العالم للعام ١٩٨٢ واجه الفريق الفرنسي مصاعب في الصمود. وكان يتألف في معظمه من لاعبي فريق سانت - اتيان. وكان لقاؤه وفريق هولندا في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ فرصته الاخيرة للتأهل. وفي الدقيقة الحادية والخمسين، والنتيجة على تعادل سلبي، استحق فريق القمصان الزرق ضربة حرة من مسافة ٢٢ متراً من المرمى. وكالعادة نيطت الضربة ببلاتيني. وحقق اللاعب الماهر احدى أروع شوطاته وأحرز للقمصان الزرق بطاقة دخول مباريات كأس العالم التي أجريت في اسبانيا في يوليو (تموز) ١٩٨٢.

ومع اقتراب دورة كأس العالم أخذت شهرة بلاتيني تتنامى. وبذل نادي جوفنتوس الايطالي الشهير في تورينو كل جهد لاصطياد ملك الكرة الفرنسي عارضاً عليه دارة تشرف على مدينة تورينو وسيارة "مازيراتي" فخمة وراتباً

شهرياً قيل انه بلغ ١٠٠ مليون لير ايطالي (نحو ٥٨ ألف دولار)، ويعتقد أن هذا أكبر أجر يدفع لاي لاعب في الفريق.

رضخ بلاتيني للاغراء. وربما كان جوفنتوس أعظم ناد في أوروبا، اذ ضم أكبر عدد من النجوم بمن فيهم باولو روسي وروبرتو بيتيغا. ويقول بلاتيني موضحاً: "لم يسعني أن أضيّع الفرصة في ممارسة كرة القدم على أعلى مستوياتها."

في شهر مايو (أيار) أصبح انتقاله رسمياً على أن يبدأ تنفيذه في شهر أغسطس (آب). ولا ريب في أن ذلك كان ضربة قاسية للفرنسيين. ولكن قبل شهرين من دورة كأس العالم، كان التساؤل الذي شغل الناس على رغم أن بلاتيني ما زال كابتن الفريق الفرنسي: ماذا سيكون مصير الفريق في اسبانيا؟

وحدثت المفاجأة وتأهلت فرنسا للدور نصف النهائي الذي ستواجه فيه الالمان الغربيين حاملي اللقب. وفي النهاية بعد فترة من الوقت الاضافي وضربات الجزاء الحاسمة فازت ألمانيا بشق النفس وبثماني نقاط في مقابل سبع، وتفوقت عليها ايطاليا في المباراة النهائية بثلاثة أهداف في مقابل واحد.

وآلمت هذه الخيبة بلاتيني فوجه كتاباً مفتوحاً الى الفرنسيين نشرته مجلة "باري - ماتش" وجاء فيه: "سأكون في ايطاليا بعد أسبوعين، لكني لن أنساكم أبداً. ولقد حرصت على ادخال فقرة خاصة في العقد تضعني في تصرف الفريق الفرنسي. وهذا أقل ما أستطيع فعله."

"توريني" في فرنسا - انتقال بلاتيني الى تورينو جلب له المجد الذي يرافق النجم الاجنبي، الا أن ذلك لم يجعل الغرور يقوى عليه. فزوجته كرستيل التي اقترن بها وهو في فريق نانسي وولداه مارين (٤ أعوام) ولوران (٦ أعوام) هم أهمّ ما في حياته. انه مولع بالاطفال ويريد أن ينجب ولدين بعد. وفي يوم عطلته يطير الى "الملعب الكبير" في سانت - سيبريان. فهذا المجمّع الرياضي الذي يرعاه بلاتيني مع نجم كرة المضرب الفرنسي يانيك نواه يعلّم لعبتي كرة القدم وكرة المضرب للاولاد وللبالغين.

خلال الموسم الاول الذي قضاه بلاتيني مع جوفنتوس (١٩٨٢ - ١٩٨٣) لم يحقق الفريق نجاحاً بارزاً، غير أن بلاتيني احتفظ بامجاده بتسجيله ١٨ هدفاً والفوز بلقب "كابوكانونيير" الذي يمنح لمن يسجل أكبر عدد من الاهداف في البطولات الايطالية.

لكن الموسم الثاني جاء بسلسلة من الانتصارات له وللفريق: بطولة ايطاليا وكأس الكؤوس وأفضل هداف في كالشاو و"الكرة الذهبية الاوروبية" التي تقدمها الى أفضل لاعب أوروبي هيئة محكمين دوليين من الصحافيين الرياضيين.

هتف جيوفاني آنييلي مدير شركة "فيات" للسيارات ورئيس نادي جوفنتوس: "بلاتيني هو عبارة عن مانوليتي مضافاً اليه نيجنسكي." وقد استحوذ ولع جنوني على هواة الكرة في ايطاليا. وكلما دخل فريق جوفنتوس باحة الملعب هب ألوف الايطاليين واقفين

لينشدوا المارسييز (النشيد الوطني الفرنسي) ويلوحوا بالاعلام الفرنسية.

لكن القدر كان يخبىء ضربة لبلاتيني. ففي شهر أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٣ قضى الحظ بأن ينتقى فريق جوفنتوس من بين ١٤ منافساً محتملا في مباريات كأس اوروبا لمنازلة فريق باريس - سان جرمان الذي يضم أصدقاء بلاتيني القدامى. وتعين عليه أن يبذل قصاراه للتغلب عليهم في ملعب بارك دي برانس وتحت أنظار الامة الفرنسية كلها.

وكانت المباراة أسوأ من أشد مخاوف بلاتيني. وباستثناء شوطتين ممتازتين أذهلتا المشاهدين كان النظارة يصفّرون هازئين بـ"التوريني" كلما مسّ الكرة. وقال بلاتيني: "في ذلك الوقت آليت على نفسي ألا ألعب في فرنسا مرة أخرى."

ركلة النصر - في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ انضمت فرنسا الى الدول المؤهلة لدورة كأس أوروبا في كرة القدم. وكان غياب بلاتيني خليقاً بأن يعتبر كارثة وطنية. ألم يقطع وعداً عام ١٩٨٢: سألعب على نحو أفضل في المرة المقبلة؟ وهو لم يكن بالرجل الذي يخالف وعده.

ونزل الفريق الفرنسي المؤلف من أحد عشر نجماً الى الملعب بقيادة بلاتيني. وأجاد من دون أخطاء وسحق الفريق البلجيكي بخمسة أهداف في مقابل لا شيء. وقهر الفريق اليوغوسلافي بثلاثة في مقابل اثنين وتخطى فريق البرتغال بثلاثة الى اثنين في الثواني القليلة الاخيرة من المباراة المثيرة التي أجريت في مرسيليا. وسجل بلاتيني ثمانية أهداف من الاحد عشر التي سجلتها فرنسا في المباريات الثلاث.

في ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ بدأت المباراة النهائية بين فرنسا واسبانيا. وملأ الهواة الفرنسيون مدرج بارك دي برانس وهم يصلّون ليتحقق لهم الفوز "مرة واحدة بعد." وفي النصف الاول من المباراة بقي الفريقان متعادلين سلباً، صفراً الى صفر. وفي الدقيقة السادسة والخمسين أعطى الحكم الفريق الفرنسي ضربةحرة من مسافة ١٧ متراً من المرمى. وأخذ الجمهور يصيح "بلاتيني! بلاتيني!" وسدّد بلاتيني ركلة قوية طيرت الكرة فوق خط الدفاع. وانقض حارس المرمى وأمسك الكرة بين مرفقه ووركه، لكنها انزلقت من تحت ذراعه واستقرت وراء خط المرمى. وقال بلاتيني في ما بعد: "لم تكن هذه أصفى ضربة حرة لي، الّا أنها كانت الاهم بلا ريب." فهي منحت فرنسا أفضلية نفسية حاسمة وفوزاً بهدفين في مقابل لا شيء.

وتوهج وجه بلاتيني وهو يتسلم أول كأس ظفر دولية حظيت بها فرنسا أبداً، ليس اعتزازاً بانجازه الشخصي بمقدار ما هو لفرحة الملايين من الناس الذين علقوا آمالهم عليه. فما يهم قبل كل شيء هو أن يقدم الى المعجبين به انجازاً رائعاً يرضيهم. وفي ذلك يسع المرء دائماً أن يثق بملك الكرة الفرنسي.

كاترين غاليتزين ■

١٠ أطعمة تضمن رشاقتك وتحفظ صحتك

الموز. النخالة. القنبيط. الدجاج.
السمك. الحليب. الفطر. البرتقال. المعجنات. البطاطا

تزخر لوائح الكتب الأكثر مبيعاً هذه الايام بأسماء مؤلفات تتناول الحميات الغذائية. ويجد فيها القارىء من الاخبار المثيرة أكثر مما يجد من المعلومات الواقعية. وحتى ان استطعت فرز المعقول من السخيف فسيتعين عليك أن تواجه معضلة التكيف مع خطة غذائية تختلف عن الخليط الذي اعتدته. فكيف يتسنى لنا اذاً أن نحسّن عاداتنا في تناول طعامنا من دون الغوص في تغيير غذائي جذري؟ احدى الخطوات الصحيحة السهلة التطبيق تقتضي التأكد من ادخال مقدار أكبر من أنواع الاطعمة المفصلة في ما يأتي لانتقاء وجباتنا:



الموز

النافع فيه: البوتاسيوم.

الموز طعام ذو محتوى منخفض من الوحدات الحرارية والدهن، وهو المثال الاكمل للغذاء اللذيذ العميم الفائدة. انه يحوي عدداً من العناصر المعدنية أبرزها البوتاسيوم الذي هو أحد أهم عناصر الجسم. وللبوتاسيوم فعل موازن للصوديوم وصلة مباشرة بالموازنة الصحيحة للسوائل وبتقوية العضلات اجمالا. ويؤدي نقص البوتاسيوم الى الضعف والارق وحتى اختلال انتظام نبض القلب. حافظ على مؤونة جسمك الطبيعية من البوتاسيوم بتناول موزة واحدة يومياً مقطعة مع مشتقات الحبوب (cereal) او محشوة في زلابية أو مثلجة على سيخ.



فطائر النخالة

النافع فيها: الالياف.

تحوي نخالة القمح (قشره) كمية ذات شأن من مادة السيلولوز الليفية التي يعتقد أنها تساعد في درء خطر سرطان القولون وسواه من الامراض المعوية. كما تبين أن الاطعمة الغنية بالالياف تساعد في خفض مصل الكولسترول ذي العلاقة

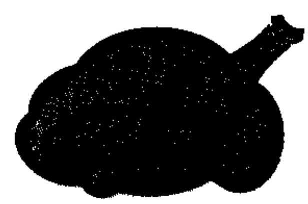
بالامراض التاجية واختلالات الدورة الدموية. وتناول فطيرةالنخالة (bran muffin) طريقة مستطابة لادخال الالياف في غذائك.



القنبيط

النافع فيه: الفيتامينان "أ" و"ج".

ان مقدار كوب من القنبيط (broccoli) المسلوق سلقاً خفيفاً يحوي ٤٠ وحدة حرارية فقط. ومع ذلك فانه يوفر ما بين ٧٥ و١٠٠ في المئة من الحاجة اليومية المقدرة لشخص بالغ من الفيتامين "أ". وهذا الفيتامين ليس ضرورياً لصحة البصر فحسب، بل انه يساعد أيضاً في المحافظة على وظيفة المناعة في الجسم كما يبقي العظام والاسنان سليمة. والى ذلك يحوي القنبيط الفيتامين "ج" (C) الذي، على غرار الفيتامين "أ"، يظن أنه حلقة لدرء خطر السرطان. ان القنبيط في وجبة سريعة أو ممزوجاً مع السلطة أو كطبق اضافي مستقل يجب أن يدخل لائحة طعام كل انسان.

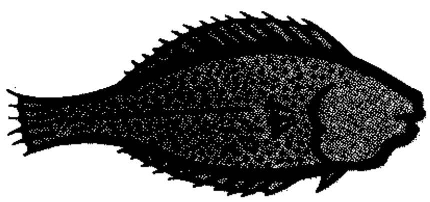


لحم الدجاج

العنصر المفيد فيه: البروتيين الهبر.

يتركب البروتيين من الاحماض الامينية. ويشمل الدور الاساسي الذي تؤديه هذه الاحماض في حفظ الصحة انتظام عمل المناعة في الجسم والتوازن الهرموني وتناسق القوة العضلية وحتى مرونة الجلد. ولحم الدجاج من أفضل مصادر البروتيين. انه سهل الهضم ويحوي مقداراً أكبر من البروتيين في الغرام الواحد بالمقارنة مع لحم البقر. كما أنه مصدر جيد لعناصر الكبريت والفوسفور والسيلينيوم والنحاس.

ملاحظة: لضمان أدنى محتوى من الدهن يستحسن نزع الجلد ثم شي اللحم.

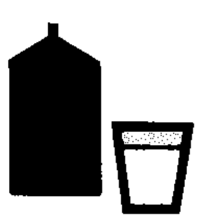


السمك المفلطح

النافع فيه: الدهن غير المشبع.

تشير الابحاث التي أجريت حديثاً الى أن الدهون غير المشبعة (polyunsatura-ted fats) في لحم السمك المفلطح تساعد فعلا في تحسين الصحة العامة للشخص من طريق خفض مستوى الكولسترول في الدم. ولحم السمك المفلطح يحوي مستويات من الدهون غير المشبعة أدنى كثيراً مما في اللحم الهبر الاحمر أو حتى لحم الدجاج. وهو مصدر ممتاز للبروتيين، اذ ان مقدار ١١٥ غراماً منه يوفر أكثر من ثلث الكمية الموصى بها للشخص البالغ يومياً.

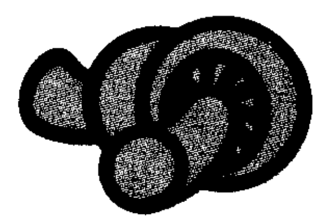
الحليب الخالي من الدسم



العنصران المفيدان فيه: الكلسيوم والفوسفور.

هذان المعدنان الاساسيان والمتكاملان يتوافران في الحليب بنسبة مؤاتية لامتصاص هذين العنصرين والافادة

منهما. الكلسيوم ضروري لتنظيم الوظائف العضلية ولحفظ الاسنان والعظام قوية (★) ويدخل الفوسفور في معظم الوظائف الايضية بما فيها انقباض القلب والعضلات وعملية الهضم وتحول الطاقة الخلوية. أما ما لسنا في حاجة اليه فهو الدهن الفائض في منتجات الحليب الكامل الدسم. والحليب الخالي من الدسم بنسبة ٩٩ في المئة يوفر الحل الامثل: كمية قليلة من الدهن تساعد في امتصاص المغذيات وخصوصاً الفيتامينين "أ" و"د" اللذين ينحلان في الدهن، وهما يضافان عادة الى الحليب.

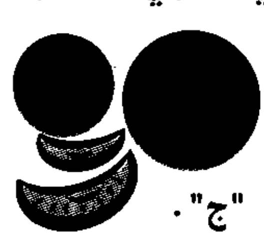


الفطر

النافع فيه: محتوى منخفض من الوحدات الحرارية والدهن.

ان الذين يستصعبون قضم الجزر أو جذوع الكرفس يجدون في الفطر النيء بديلا مستطاباً. ان مقدار كوب من الفطر الطيب يحوي ٢٠ وحدة حرارية فقط. والفطر أيضاً عنصر مطيب يضاف الى السلطة والحساء والاطباق الرئيسية.

والفطر غني بالبوتاسيوم والفوسفور ومعزز بكمية نافعة من البيوتين من عائلة الفيتامين "ب". لكن الفطر قد يكون لبعض الناس مصدر ازعاج من فعل حساسية. لذا تناوله بحذر اذا كنت تشكو من حساسية للاطعمة التي تحوي خمائر.



البرتقال

الفائدة فيه: الفيتامين "ج".

البرتقالة ثمرة ذات نفع عظيم توفر طوال أيام السنة مصدراً ممتازاً للفيتامين "ج". كما انها تحوي مجموعة مفيدة من المغذيات في شكلي الكلسيوم والبوتاسيوم، وهي مصدر غني للفيتامين "أ". وللحصول على أكبر فائدة من مغذيات البرتقال، اضافة الى نفع الالياف فيه، يجب أن تؤكل الثمرة كلها ولا يكتفى بشرب عصيرها. ان البرتقالة الكاملة أقل حلاوة من عصير البرتقال (الذي يضاف اليه السكر أحياناً كثيرة) ولذا فهي مفيدة للذين يساورهم قلق على مستوى السكر في دمهم.

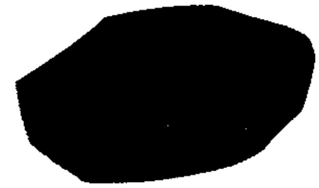


المعجنات

النافع فيها: الكربوهيدرات - الفئة الاولى.

في الماضي كان يظن أن المعجنات تؤدي الى السمنة، لكنها ظفرت أخيراً بالاقرار الحق بأنها مصدر ممتاز للكربوهيدرات التي هي المورد الرئيسي للطاقة التي تحرك كل وظائف الجسم، بدءاً بالعمل العضلي وانتهاء بعملية الهضم وتمثل الطعام. فالعملية الطويلة لهضم الكربوهيدرات المعقدة في المعجنات تساعد على خفض مستوى السكر في الدم وعلى اطلاق متواصل للطاقة وتوفير نشاط اضافي.

(★) راجع موضوع "نخار العظم داء صامت يرعب النساء" في الصفحة ٥٧ من هذا العدد.



البطاطا

النافع فيها: الكربوهيدرات - الفئة الثانية.

البطاطا، على غرار المعجنات، لها سمعة لا تستحقها بأنها محرمة على متبعي الحمية. والواقع ان ثمرة بطاطا معتدلة الحجم تحوي قرابة ١١٠ وحدات حرارية فقط. لكن الزبدة أو القشدة التي تضاف اليها هي التي تحوي المادة الدهنية. ومن جهة أخرى فطبق البطاطا المسلوقة او المشوية المتوج بالخضر وبقليل من الجبن القليل الدسم يؤلف وجبة مشبعة وصحية.

والى الكربوهيدرات المعقدة تحوي البطاطا مجموعة من العناصر المعدنية كالمغنيزيوم والحديد والفوسفور والبوتاسيوم. استمتع بتناول البطاطا مع قشرتها لتحظى بأقصى منافعها الغذائية.

هنيئاً لك ومريئاً!

جوان فريدريتش ■

فندق "يا ليت"

شاء بائع متجول أن ينزل بفندق في بلدة صغيرة ليس فيها سوى فندقين في حال مزرية. وقاد سيارته في الشارع الرئيسي الى أن رأى أحد السكان فسأله: "في أي من الفندقين تنصحني بالنزول؟"

أجاب الرجل: "لا فرق. اذا نزلت في أي منهما فستتمنى لو نزلت في الفندق الآخر."

ب.ت.

كلاب وأرانب

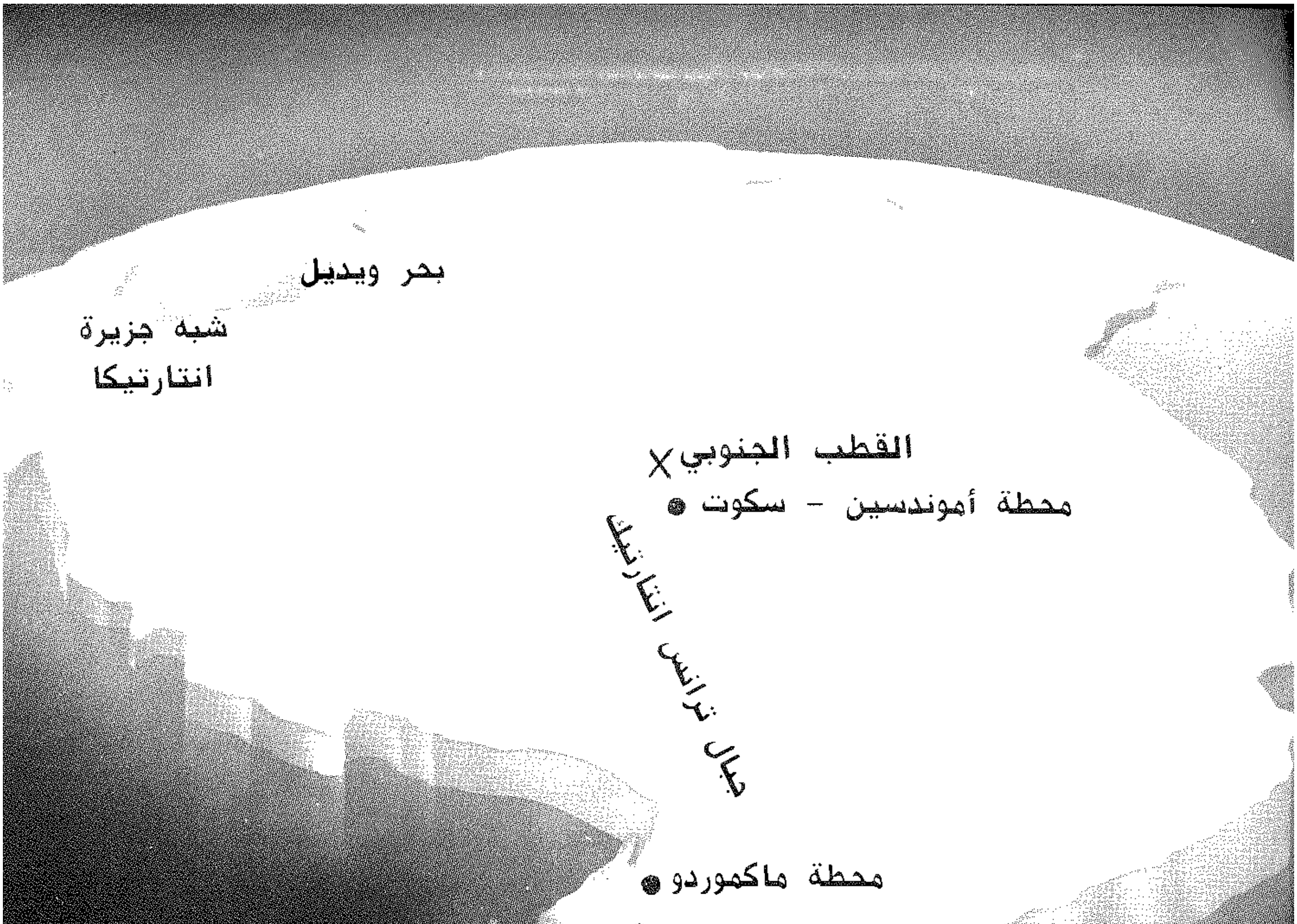
كانت غرفة الانتظار في عيادة الطبيب البيطري مزدحمة حين دخلت وشقيقتي مع عزيزنا "سنوبي". وأتى بعدنا رجلان مع كلبين كبيرين وجلسا في المقعد بجانبنا وسرعان ما لفتا الحاضرين.

قال الرجل الجالس الى جانبي: "لم أعرف في حياتي أعظم من كلبي تروبر في مطاردة الارانب." وقال الآخر مناظراً: "أفهم ماذا تقصد. وأنا لم أر أرنباً في مزرعتي منذ ثلاث سنوات بعدما اقتنيت كلبتي كويني."

واستمر الصيادان في هذه المناظرة على مدى نصف ساعة بينما كلباهما نائمان عند أقدامهما. وأخيراً التفت أحدهما الي وقال: "أحسنت في وضع هرتك في صندوق نظراً الى وجود كل هذه الكلاب هنا."

وفي تلك اللحظة ظهرت مساعدة الطبيب وقالت لي ولشقيقتي: "الطبيب مستعد لفحص أرنبكما."

غ.س.



رحلة الى أسفل الكرة الارضية

كتب أحد الرواد الأوائل: "يا الهي! انه مكان رهيب!" لكن زائراً حديثاً وجد القطب الجنوبي منطقة مذهلة رائعة الجمال

وطأت قدماي القطب الجنوبي ورحت أتفرس في نواحي العالم. فرأيت في اتجاه الهند قبة الالمنيوم لمحطة أموندسين - سكوت الأمريكية وهي تعكس السماء المتألقة. واتجهت جرافة صوب أوستراليا لتحفر بعض ثلج يستخدم كماء استقاء. وفي الجوار خفقت أعلام ست عشرة دولة تشترك في الأبحاث الجارية في منطقة القطب الجنوبي (انتارتيكا). وتراقص العلم الامريكي فوق رأسي محدداً المحور الدقيق الذي

في جولة سريعة حول العلم الأمريكي. فالفرصة غير متاحة كل يوم كي تتمشى "حول العالم" قبل الفطور. لكن الاجهاد ضغط رأسي وسبب الهواء البارد الجاف نزفاً في أنفي.

وتوقفت في عيادة المحطة حيث عاينتني الدكتورة نانسي ساكس وذكرتني: "انك تعلم أن هذا أبرد مكان على وجه البسيطة، لكنك كالآخرين تنسى أن المناخ هنا أجف منه في الصحارى والارتفاع يزيد على ١٦٠٠ متر." ثم أضافت: "انك تشكو من غثيان المرتفعات الموقت، وجسدك يخسر كميات من الماء مع كل نفس تأخذه."

تركت ساكس عملها كطبيبة طوارىء في ولاية ايلينوي لتمضي سنة في القطب الجنوبي. وعما قريب ترحل طائرة الامدادات الاخيرة لتنعزل ساكس مع ثمانية عشر شخصاً آخرين لأشهر طويلة من الشتاء المظلم المكفهر. ولا أمل لهم في الرحيل طوال هذه الفترة إلا في حالات الطوارىء الملحة جداً.

في ذلك الصباح عينه كانت الحرارة "مرتفعة" الى ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر. وهو نهار صيفي ممتاز بالنسبة الى القطب الجنوبي (الفصول معكوسة في الجنوب). وخلال فصل الشتاء تهبط الحرارة الى مستويات متدنية جداً قد تبلغ ٧٣ درجة مئوية تحت الصفر. ومع ذلك يبقى ٩١١ عالماً وموظفاً ينتمون الى ١٣ بلداً في ٣٦ قاعدة في القطب.

وهنالك ١١٥ أمريكياً يشتون في ماكموردو وفي القطب وفي محطة بالمر، يفوقهم عدداً ٣٠٠ سوفييتي يخدمون في محطاتهم على مدار السنة. لكن هذا الخلل في التوازن العددي ينقلب في الربيع حين يتوافد نحو ١٤٠٠ عالم ومقاول وعسكري تابعين للمؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم. ومع استحداث مخيمات ميدانية صيفية يرفرف العلم الامريكي فوق ٤٥ موقعاً أو نحوها.

وتبدأ العملية في أواخر أغسطس (آب) عندما تحط في ماكموردو طائرات تنقل فرق بناء. وفوق الجليد العائم يستخدم الرجال الجرافات الضخمة والمكاشط وناسفات الثلج والمحادل العملاقة لانشاء مدرجين مستقلين.

وبحلول نوفمبر (تشرين الثاني) تشرق الشمس على مدار الساعة وتنشط ماكموردو وكأنها مدينة الذهب. وتقف أبنيتها وسقائفها وأكواخها المعزولة الخمسة والثمانون عند السفح المغطى بالرماد لجبل اريبوس، وهو بركان يرتفع نحو ٣٨٠٠ متر وينفث بخاراً من فوهته الجليلة. ويتناول أكثر من ٨٠٠ شخص وجباتهم في غرفة الطعام، وهي مآكل تجلدت منذ وصولها بالسفينة السنة الماضية. ويحتفل الجميع بعيد الشكر الموافق الخميس الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني) بمباراة تقليدية في كرة القدم على الجليد. وفي يناير (كانون الثاني) تشق كسارة طريقاً لسفينة شحن وناقلة نفط. ومن ثم يقبل فصل الشتاء فتنعكس وجهة الهجرة. وتغادر الطائرة الأخيرة في أواخر فبراير (شباط).

ألواح الشوكولاتة – صرح الرئيس الامريكي رونالد ريغان عام ١٩٨٤ أن



أعلام الدول المشاركة في أبحاث قارة القطب الجنوبي.

الهدف من هذه العملية التي تكلف ١١٠ ملايين دولار سنوياً هو الحفاظ على "الوجود الأمريكي الناشط والمؤثر" في القارة. ويعود هذا الالتزام الى العام ١٩٥٧ حين تعاونت الولايات المتحدة مع اثنتي عشرة دولة في الأبحاث الجيوفيزيائية على الجليد. وبرهن هذا التعاون الدولي عن نجاح باهر تجلى في المعاهدة التي أبرمتها الأطراف المعنية عام ١٩٥٩ لتكريس القارة مع محيطها الجليدي وبحارها للسلام والعلم.

ومع حلول العام ١٩٨٥ باتت ست عشرة دولة أطرافاً استشارية في معاهدة انتارتيكا. بعض هذه الدول، كالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لا يطالب بملكية أراض في القارة ولا يعترف بشرعية أي مطالبة من هذا النوع. لكن سبع دول أخرى تطالب بحقوق ملكية مستندة الى ما تسميه حقوق الاكتشاف. وقد وافق الجميع على ترك المسألة من دون بت وعلى الالتزام ببنود المعاهدة (★). وعلى رغم أن الفائدة الرئيسية من الأبحاث في تلك الاصقاع هي التقدم العلمي، إلا ان بعض الدول يأمل أن تنطوي الموارد المعدنية في القارة على قيمة اقتصادية.

وفي الموسم الأخير وفد ٣٦٥ رجلا وامرأة ينتمون الى جامعات ومؤسسات دراسات ليعملوا في ١١٠ مشاريع أقامتها المؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم في القطب الجنوبي.

وشاركت بعض العلماء في تحمل الهدير الراعد لمحركات طائرة "ل س – ١٣٠ هيركوليز" فيما نحن نحلق على ارتفاع سبعة آلاف متر فوق سطح الجليد اللامع. وأطلق هؤلاء العلماء في وقت سابق غاز ميثان خاصاً وراحوا الآن

(★) الدول المطالبة هي بريطانيا وفرنسا والنروج والارجنتين وتشيلي وأوستراليا ونيوزيلندة. والدول غير المطالبة هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان وألمانيا الغربية والبرازيل وبولونيا والهند وبلجيكا وجنوب افريقيا.

يجمعون عينات من الهواء لمراقبة اتجاهات الريح وسرعة انتشار الغاز. وفي تجويف متجمد راقبت علماء الحياة المجهزين ببزات مطاطية خاصة ينبثقون كالفقمات من البحر القارس حاملين إسفنجاً ومحاراً جمعوهما من القعر. وفي محطة اذاعة لاسلكية سمعت "الصافرات" الغريبة التي تبثها ومضات البرق في شمال كندا، فتحلق بعيداً في الفضاء قبل أن تعود الى نقطتها المغناطيسية المعاكسة على الأرض. ويحلل العلماء هذه الصافرات لجمع معلومات دقيقة عن امتدادات غلافنا الجوي.

وبدأت أهمية القارة القطبية في الحفاظ على التوازن الهش لمناخ الأرض تظهر حديثاً. فجليدها يؤدي دور مكيف هواء عملاق في الجزء القاعدي من أرضنا. وهو أحد المحركات الأساسية للمناخ العالمي.

وحتى الأشياء التي تبدو تافهة ظاهرياً، كالنباتات البنية المغمورة التي تنمو تحت بحر الجليد، تؤدي دوراً بعيد الأثر. فعندما يذوب الجليد في الصيف تترسب المواد الغروية الى قعر البحر لتصبح أساس سلسلة الغذاء في المحيط البارد.

ويؤدي الجليد أيضاً دور مختبر فضائي ثابت. فالنيازك المتساقطة هناك تحفظ لمئات آلاف السنين. وفي العام ١٩٨٢ وجدت شظية تزن واحداً وثلاثين غراماً ونصف غرام، وتبين أن مصدرها القمر.

واحات الراحة – قدت عربة شحن صغيرة تسير على سلاسل عوض الإطارات، وبصحبتي مارتن بوميرانتز من معهد بارتول للأبحاث التابع لجامعة ديلاوير في نيوارك. وتوجهنا لزيارة فلكيين أمريكيين وفرنسيين قرب محطة القطب الجنوبي. وهناك شاهدت مراقب (تلسكوبات) دقيقة ومعدات حساسة تقيس تقلبات الشمس. وأوضح بوميرانتز: "هنا لا وجود لظلمة تعترض النهار. كما تنعدم الرطوبة واضطرابات الهواء فلا تشوه أعمال الرصد."

ان هذا التعاون الدولي هو السمة المميزة للعلوم الانتارتيكية. ففي العام ١٩٨١ مثلا تشارك ثلاثة عشر أمريكياً مع عدد مماثل من الروس في رحلة أبحاث في بحر ويديل دامت ٤٧ يوماً. وفي ذلك يقول جون بيريندت من المعهد الجيولوجي الأمريكي في ولاية دنفر: "لسنوات ونحن نمازح زملاءنا السوفيات بأننا نحصل على المال اللازم للأبحاث بسبب وجودهم هنا وأنهم ينالون أموالهم بسبب وجودنا."

وتنسق اللجنة العلمية للأبحاث الانتارتيكية، وهي منظمة دولية غير حكومية، عدداً من المشاريع. وأكبر هذه المشاريع "بيوماس" الذي يبحث في بيولوجيا مياه القارة القطبية ويشارك فيه ١١ بلداً. ويركز المشروع على دراسة الكريل الشبيهة بالقريدس (الاربيان) والتي تعتبر أكبر مصدر بروتييني بحري غير مستغل.

وأنجزت الولايات المتحدة وسيلة هبوط رائعة وفريدة في نوعها بغية تأسيس مخيمات علمية في أماكن نائية. وعاينت ذلك شخصياً حين انضممت الى بعثة إنزال حاولت نصب مخيم في جبال ترانس

انتارتيك على مسافة ٤٣٥ كيلومتراً من القطب.

بعد ثلاث ساعات طيران مالت طائرة "هيركوليز" الضخمة المجهزة بزحالق على ارتفاع مئة وخمسين متراً فوق موقع الهبوط. ولم يظهر أي أثر لصدوع خطرة أو لجليد أزرق صلب على الثلج المحتفظ بنقائه الأصلي. ولكن كيف لأي طيار أن



Tobias Heldt/The Image Bank

موقع أبحاث على سهل الجليد.

يجزم بذلك؟ وما لبثت الزحالق الخلفية أن لامست الثلج. وراحت الطائرة تهدر فوق السطح الناصع وهي تسير بسرعة ١٦٠ كيلومتراً في الساعة، مخلفة سحابة من رذاذ الجليد في شكل ذنب الديك طولها كيلومتر ونصف كيلومتر. ثم اندفعنا مجدداً في الهواء وتفحص الطيار الشق الحاصل على مسافة ثلاثة كيلومترات. وأكد لنا: "انه يبدو نظيفاً. هلموا لنهبط."

وحطت الطائرة بهدوء في المكان الصحيح. وفيما هي تبطىء دفع الرجال أكياس الحمولة من الأبواب الخلفية. وسرعان ما قفز قائد المخيم وتبعه مساعدوه الثلاثة. وكانت أولى مهماتهم تختصر برفع العلم ونصب خيمة ومن ثم الاتصال لاسلكيا بمحطة ماكموردو.

ومع وصول طائرات أخرى ينمو المخيم ليصبح واحة راحة بيتية. فتجهز الأكواخ المدفأة ذات الأرضية الخشبية بالأواني المطبخية وماكينات صنع القهوة وأجهزة الفيديو. وبعد موسمين أو ثلاثة يفكك ذلك كله ويخلى بواسطة الطائرات. وآخر ما ينقل هو العلم.

زمن الاستحقاقات - ليست كل المخيمات الميدانية متقنة. فمرة انطلق غانتر فور، وهو عالم بالكيمياء الحية في جامعة ولاية أوهايو، من ماكموردو ليمضي شهرين في خيمة صغيرة على النجد الجليدي. ورافقه في هذه الرحلة طالب دراسات عليا. واقتصرت مهمتهما على دراسة رقعة غامضة من الجلاميد لم تعاين حتى الآن إلا بالصور الجوية.

وأخبرني فور: "إن ما ينال منك هناك هو الريح. ففيما أنت تعمل تحت سماء رائعة تخرج الريح فجأة من مخازنها المجهولة المصدر. وتتعذر عليك الرؤية لأكثر من ستة أمتار. وتصدر الخيمة جلبة صاخبة تشل قدرتك على التفكير. واذا ما انهارت الخيمة فإن أملك الوحيد في النجاة هو الاحتماء في الكهف الجليدي حيث تخزن معدات الطوارىء. وقد تبقى العاصفة اثني عشر يوماً متتالياً، وأنت تواجه مصيرك في كل لحظة. ومع هذا كله تصر على العودة دائماً. والله وحده يعلم السبب."

وعلى رغم أن القارة المتجمدة تعتبر مكاناً قاسياً على البشر فان بيئتها

حساسة جداً. فخارج أحد المخيمات النيوزيلندية مسدت جلد فقمة نفقت بعدما ضلت طريقها. وقد حفظ جلدها المكسو بالفرو على نحو عجيب بعد مرور ٧٨٠ سنة على نفوقها بحسب التحاليل العلمية. ووجدت في أماكن أخرى جيف حيوانات نفقت قبل ألفي سنة.

ويحرص العلماء على نقل القمامة جواً مهما تكن ضئيلة. فحيث يحفظ الهواء البارد والناشف اللحم الحي لفترات تتجاوز الألفي سنة، لا بد من أن تبقى الصحون الورقية وبقع الزيت الى الأبد.

وفيما أنا أقف على القطب الجنوبي مراقباً امتدادات الجليد الفسيحة، كنت أرى أنتارتيكا التي قد تكون على عتبة عصر جديد. صحيح أن دول المعاهدة أبرمت اتفاقات مهمة حول صيد الأسماك وحماية البيئة، لكن الكثير من الأمور يبقى معلقاً. فان صادف أن اكتشف هناك مخزون كبير من النفط والمعادن قبل وضع نظام ثابت للتنقيب والاستثمار، فاننا قد نشهد تسابقاً دولياً مشابهاً للهجمة على الذهب إبان تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية. وبطبيعة الحال ستكون النتيجة فوضى شاملة.

جون ديسون ■

آرمسترونغ والتمساح

روى لويس آرمسترونغ، موسيقي الجاز الامريكي الراحل:

"كنت صبياً في لويزيانا حين طلبت مني امرأة عجوز أن أملأ لها دلواً ماء. وذهبت الى النبع. وعندما غطست الدلو في الماء رأيت عينين شريرتين تحدقان الي. فقفزت مرتاعاً وعدوت من حيث أتيت. فقالت لي العجوز: "يا لويس، أين الدلو" فأجبتها: "يا آنسة هالي ماي، لا أستطيع ملء دلوك، ففي النبع تمساح كبير."

قالت العجوز: "يا لويس، ان التمساح يعيش هناك منذ سنوات طويلة، وربما ارتاع منك بمقدار ما ارتعت أنت منه." فأجبتها: "يا آنسة هالي ماي، اذا كان ذلك التمساح ارتاع مني حقاً بمقدار ما ارتعت منه، فلا بد من أن الماء أصبح ملوثاً ولم يعد صالحاً للشرب."

ج.د.

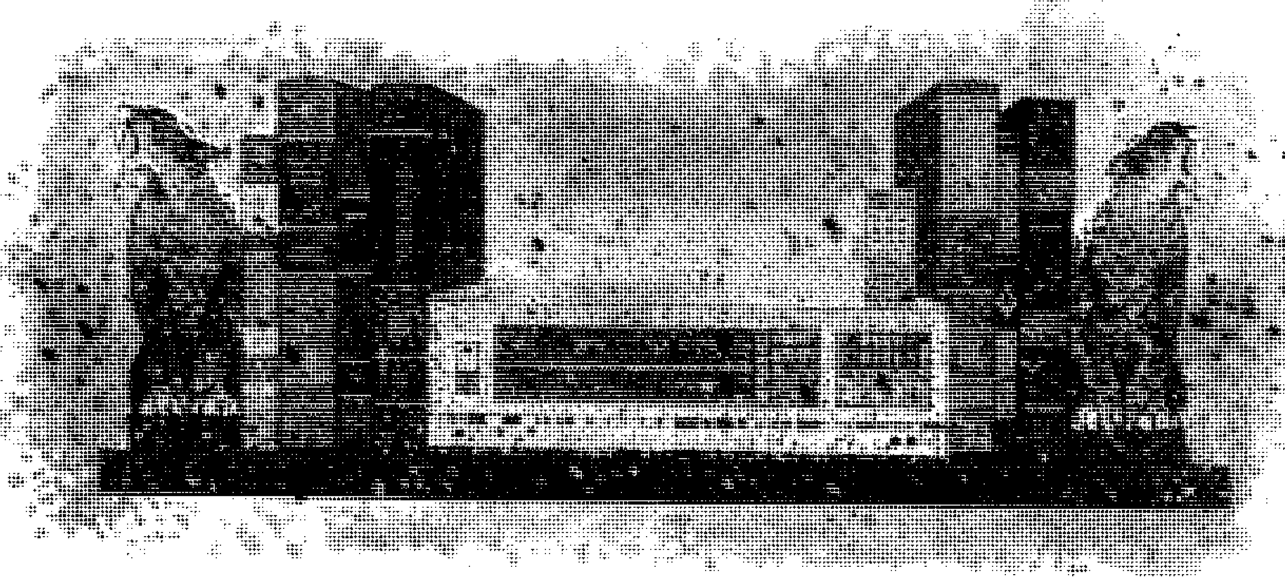
السائحة والحوذي

وقفت امرأة تزور مدينة نيويورك لتتأمل عربة خيل أنيقة متوقفة أمام متنزه سنترال بارك. وتفحصت الحصان من رأسه الى ذيله وتلمست رأسه وجسّت قوائمه. وأخيراً تحولت الى الحوذي قائلة: "هل أنت الحوذي؟"

– كلا، أنا الحصان. ومعظم الناس لا يميزون بيننا.

ج.ب.

لو كانت النمور تحسن القراءة...



...لما انقرض النمر المسيّف الأسنان

ان كنت انتصرت مرة في مصارعة مع نمر مسيف الأسنان، فالرجاء رفع ما تبقى من يدك اليمنى.

وتجيب: "النمـر المسيف الأسنان انقرض قبل آلاف السنين!"

حسناً، اني أرضى بأي من أقربائه بديلا: أسد الجبل أو النمر أو الوشق.

ماذا؟ أما من جواب؟ ان ذلك لا يفاجئني. فلو انحصر الامر في عراك بالأسلحة الطبيعية التي ولدنا بها مع أي من أصدقائنا المكتسين الفرو، لكانت النتيجة محتومة.

إن أسناننا وأظفارنا تكاد تكون عديمة الجدوى. وحواسنا ليست مدعاة الى الفخر. فمجال الرؤية لدينا أخف منه لدى الطيور، وقدرتنا على السمع أقل كثيراً من قدرة الخفافيش. وحين نصل الى حاسة الشم فإن كلباً مزكوماً قادر على جلب العار الينا والخزي.

لكن إذا صح كل ما قيل، فكيف يا ترى بقينا نحن بهذه الأعداد الوافرة فيما انقرض النمر المسيف الأسنان قبل زمن بعيد؟ والجواب بسيط. هو لم يحسن القراءة، خلافاً لنا.

على رغم كل ضعفنا فنحن نملك ميزتين رائعتين نتفوق بهما على كل منافسينا ذوي الفـرو: نحن يمكننا استنباط أفكار معقدة، كما يمكننا شرحها للآخرين من بني جنسنا.

دعونا نرجع الى العصـر الحجري للحظات قليلة:

في احدى الليالي خاطب جورج أحد جيرانه من سكان الكهوف بعد تناولهما طعام العشاء: "أتدري يا فريد؟ النمر

الهرم الذي يقطن هذه المنطقة يفترس الكثير من الأيائل، وسينتهي بنا الأمر الى الرحيل اذا كنا حريصين حقاً على تأمين مأكل عائلتينا".

وأجاب فريد: "كنت في معرض التفكير ذاته. فذلك الهر هو من الضخامة بحيث يفوق قدرتنا على مواجهته."

ووافق جورج: "هذا صحيح. لكن اذا حفرنا جورة الى جانب الينبوع حيث يستقي ورمينا قطعة لحم فيها، فقد يكون مغفلا الى حد القفز الى الجورة ليحظى باللحم".

وهتف فريد: "فكرة عظيمة!" وأضاف: "واذا ركزنا قضيباً مسنوناً في قعر الحفرة فقد يقع عليه، مسهلا لنا عملية التخلص منه."

وهكذا استنبط فريد وجورج طريقة للتفوق بالحيلة على النمر المسيف الأسنان. ومع مرور الزمن أصبح في الامكان تشييد ناطحات السحاب واختراع التلفاز والطائرة.

لقد حل جورج وفريد وكل الآخرين مشاكلهم بمناقشتها والتحدث فيها. والكلام مجد ما دمنا نتذكره بحذافيره. لكن هذا أمر غير مستطاع في بعض الأحيان. ولحسن الحظ توفر لنا اختراع مدهش يسمى الكتابة.

تعتبر الكتابة تقدماً هائلا على الكلام لأنها لا تنسى. فهي مثالية لحفظ السجلات عن ممتلكاتنا وديوننا واكتشافاتنا العلمية والتقنية. ونظراً الى القيمة العالية لهذه السجلات فاننا نحفظها في المكتبات.

ولا تملك المكتبة أجوبة متكاملة عن كل أسئلتك، لكنها حتماً تحتوي على كتب ومقالات دوّن في طياتها مدى تقدم الفكر البشري في مسألة معينة. فاذا كانت الفئران تزعجك مثلا، فلست مضطراً الى أن تقبع في المطبخ الليل بطوله وأنت متسلح بمقلاة، منتظراً متى يطل فأر برأسه من الفتحة تحت المجلى. فهناك أشخاص آخرون واجهوا المشكلة نفسها ودرسوها عن كثب واستنبطوا فخاً لا ينهكه نعس ولا يزعجه انتظار.

غالباً ما يخيل إلينا أننا أول من واجه المشكلة التي نحن في صددها. وهنا يكمن خطأنا. وفي سياق الفكرة هذه أتذكر ولداً عرفته ظن أن أحداً لم يتعرض لمصابه. ففي الخامسة من عمره فقئت عينه بعصا، واستؤصلت لاحقاً بعدما تسببت في التهاب امتد الى العين السليمة وأتلفها. ولدى بلوغه السادسة من عمره أصبح ضريراً. ثم أرسل الى مدرسة داخلية حيث انغلق على نفسه متحرقاً بمشاعر الحنين الى أسرته.

ولم يكن يدري بأمر لويس، ذاك الصبي الصغير الذي عاش قبل زمن بعيد في فرنسا. كان لويس إبن سرّاج، لذا وجد في متناوله الكثير من الأدوات المستعملة في صناعة الجلود. وكان مرة يلهو وهو بعد في الثالثة من عمره، فوجد مخرزاً سمل به عينيه فبات ضريراً. وحين شب لويس تحسر لعجزه عن القراءة والكتابة. فاستعان بمرقم، وهو آلة شبيهة بالمخرز الذي أعماه، خرم به نقطاً صغيرة على ورقة. وهكذا اخترع أسلوب كتابة للمكفوفين لا يزال يحمل اسم عائلته: برايل.

لم يكن على صديقي أن يخترع أسلوباً، بل يكفيه تعلم أسلوب برايل. وساعده ذلك فعلا، لكنه كان بطيئاً في القراءة فواصل ازعاج أهل بيته الى أن أتاه أخوه بفونوغراف مع علبة أسطوانات خاصة. ووضع اسطوانة في الآلة فتلا عليه صوت قصة "المخمل الوطني". لقد فكر أحدهم في وسيلة أخرى لحل مشكلة القراءة لدى المكفوفين، ألا وهي "الكتاب الناطق".

وحين التحق صديقي بالجامعة راح زملاؤه يقرأون له فروضه.

وتعلم الطباعة على الآلة الكاتبة بحيث تمكن من تدوين مقالاته وامتحاناته.

ومرة طرح عليه أحد أساتذته الجامعيين سؤالا: "ماذا تنوي أن تفعل بكل هذه الشهادات؟" وكان صديقي على وشك الحصول على شهادة الماجستير.

أجاب: "سأعلِّم."

– في مدرسة العميان، إيه؟ حسناً، ستكون لك مهنة مثيرة.

"لا، في الجامعة."

وذهل الاستاذ: "آه! وكيف ستتمكن من قراءة ما يكتبه طلابك؟"

أجاب صديقي بثقة: "لا بد من وجود طريقة لذلك." وقد صدق حدسه.

في بادىء الأمر قرأ له الأصدقاء والأهل مقالات طلابه، فيما كان هو يملي التصحيحات والعلامات. ثم دخلت آلة التسجيل، فراح طلابه يسجلون عليها كل أعمالهم. وبات في امكانه الانفراد بمسجلته والاستماع اليها وطبع ملاحظاته واقتراحاته على آلته الكاتبة الكهربائية. انها عملية أنعم من الحرير!

وسأعترف لكم: ان الصديق الذي أصفه هو أنا.

قبل ما يزيد على خمسين سنة أمسكت بمرقمي الأول، وبجهد مضن نقشت الأحرف الأولى على لوحة برايل. والآن أجلس في مكتبي الخاص في قسم الأدب الانكليزي في جامعة مرموقة وأنا أحرر هذه المقالة مستعيناً بجهاز الكتروني. ولأن هذا الجهاز مزود مركب جمل ناطقاً ففي امكانه إعادة قراءة ما كتبت على مسمعي.

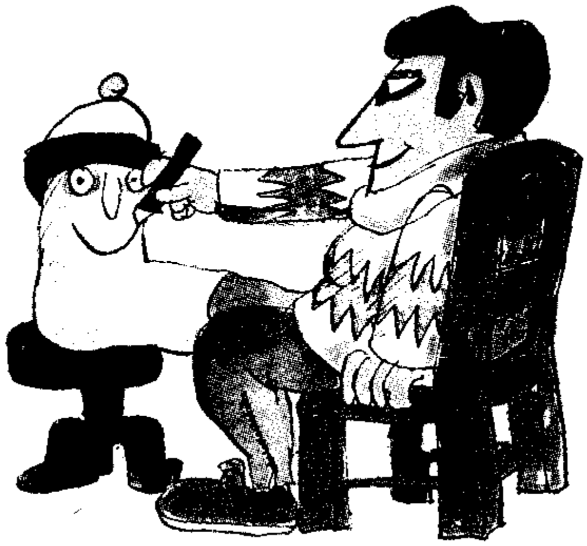
طوال أكثر من ثلاثين سنة من ممارستي مهنة التعليم قلّ اتكالي على العائلة والأصدقاء وازداد اعتمادي على التكنولوجيا. وأنا مدين خصوصاً لمنظمات مثل "التسجيل للمكفوفين" التي يسجل قارئوها المتطوعون كتباً على أشرطة سمعية يستعملها أناس مثلي. إن هذه التطورات جعلت مهنتي ممكنة، وأكثر من ذلك جعلتها سهلة.

وحالي ليست فريدة في نوعها. انها مجرد إيضاح انه مهما تكن حالك فلا بد من أن يكون أحد قبلك اختبر الوضع نفسه. كما لا بد من أن يكون شخص فكر في المشكلة وأتى بحلول ناجعة لها.

لا تسنَّ أسنانك بل فطنتك. اكتشف ما فكر فيه من سبقوك، فقد تفيدك أفكارهم في حل مشكلتك. بهذه الطريقة حافظ جنسنا البشري على بقائه في حين أخفقت أجناس أخرى. فاذا توقفنا عن تشغيل رؤوسنا فنحن نخاطر بأن نرمى على رف التاريخ لنجمع الغبار مع كل الذين عجزوا عن التكيف مع ظروفهم.

روبرت راصل ■

الضحك خير دواء



فضولي

شاهد فضولي رجلين واقفين قرب بئر وهما يرددان: "اثنا عشر... اثنا عشر..." فاقترب منهما وسألهما: "لماذا ترددان هذا الرقم؟" وانذاك حملاه وأسقطاه في البئر وراحا يرددان: "ثلاثة عشر... ثلاثة عشر..."

سملالي عبدالله
تارودانت، المغرب

كيف تعمّر مئة سنة

راحت امرأة تفتش عن كتاب أضاعته، فسألها زوجها: "ما عنوان الكتاب؟" أجابت: "كيف تعمّر مئة سنة." وانبرى الزوج قائلا: "لقد أخفيته في القبو بعدما أخرجته أمك من المكتبة."

د.خ.

شاب مهذب

دخل موزع بريد شاب منزلا من غير أن يطرق على الباب. وفوجئت ربة البيت بدخوله وقالت: "اسمع: لا يجوز أن تفتح باباً قبل أن تقرعه وتسمع الجواب، إذ ربما كان المرء في الداخل عارياً."

– لا تجزعي يا سيدتي. فعادتي ألا أفتح الباب قبل أن أنظر جيداً من ثقب المفتاح.

ب.ب.

الطبيب المعالج

قال طبيب نفسي مرموق لزوجته: "اني مرهق كثيراً، وأظن أن علي استشارة طبيب نفسي."

– الا أنك أشهر طبيب نفسي في البلد يا عزيزي!

"أعرف ذلك، لكن الأجر الذي أتقاضاه على المعاينة مرتفع جداً."

صحيفة "سلكتا"، المانيا

شهادة امرأة

حين سألت القاضية امرأة من الشهود عن سنها أجابت: "في مثل سنك يا سيدتي."

صحيفة "لا أوبينيون"، بوينس آيرس

ملدون العاشق

حين وقع ملدون المجنون في حبائل الغرام بات لا يعي كيف يسترعي اهتمام الحبيبة

لا يسع أحداً أن يفهم لماذا ترغب سيدة ثرية وأنيقة كالآنسة ديدس في تعليم الصف الابتدائي الثالث في مدرسة ديلمور بلايت. لكنها في أي حال جاءت الى المدرسة يفوح منها عبق العطور والثروة وقد تكوم شعرها الكستنائي فوق رأسها.

وقفنا مشدوهين نكاد لا نصدق أن حسن حظنا جعل هذه المرأة الجميلة معلمتنا.

وقعنا كلنا، نحن الصبيان، في غرام الآنسة ديدس. ولكن لم يكن بيننا من بلغ به الوله الحد الذي بلغه لدى أعز أصدقائي إدي ملدون المجنون. في البداية كان إدي يتطوع لتنظيف مماسح اللوح الأسود مضحياً بفترة الاستراحة، سواء أكانت مماسح اللوح الأسود تحتاج الى تنظيف أم لا. ولكن بالنسبة الي كان الحب شأناً والاستمتاع بالاستراحة شأناً آخر. فالله تعالى لم يشأ أن يخلط أحد بين هذين الشأنين. غير أن إدي بات يتخلى عن كل الاستراحات ليقدم المساعدة الى الآنسة ديدس. وهكذا حرمتني الآنسة رفقة صديقي فبدأت أحس كراهية نحوها.

وزاد الطين بلة أن إدي أخذ يدرس بجد لكي يبرهن عن حبه للآنسة ديدس. وأضحى البطل المجلي في مسابقاتنا الاسبوعية في التهجئة. وكانت هي تبدي اعجابها بادائه حين يتهجأ احدى تلك الكلمات السخيفة التي لن يستعملها أحد في صفنا كله أبداً، فتهتف: "أحسنت يا ادوارد. هذا مدهش!"

لكن الآنسة ديدس ارتكبت خطأ فادحاً حين قالت لنا ذات صباح: "أيها التلاميذ، أحسب ان من المهم لكل منكم أن يتعلم كيف يتحدث الى جمهور من الناس. ولذا سنطبق على مدى أسابيع برنامجاً تدريبياً ندعوه: اعرض واشرح. وفي كل يوم يحضر أحدكم شيئاً ذا أهمية مما عنده ويعرضه على الصف ثم يتحدث عليه."

ارتعدت فرائص ثلاثة أرباع التلاميذ وأنا منهم، واستبد بنا الهلع. فنحن أبناء الريف لا نملك شيئاً على الاطلاق، ناهيك بالشيء ذي الاهمية. ونظرت الي الآنسة ديدس ثم ابتسمت قائلة: "باتريك، هل تريد أن تكون البادىء؟"

أحسست أن أحشائي تعتلج في جوفي. وتساءلت: ماذا يسعني أن أحضر الى الصف؟ هل أحضر الحفارة من مزرعتنا؟

وقالت الآنسة موجهة كلامها الى أحد أبناء المدينة الذي كان يلوح لها بشدة: "حسناً، أنت يا لستر ستكون البادىء."

في اليوم التالي أحضر لستر الى الصف مجموعة الطوابع البريدية التي يملكها وألقى علينا محاضرة حولها استغرقت نحو ساعة خيم خلالها جو ثقيل من الملل على الصف كله. وأخيراً قالت الآنسة ديدس: "أحسنت يا لستر، كان ذلك مدهشاً. هل لك أن تنظف لي مماسح اللوح الاسود اليوم؟"



ونظرت من فوري الى إدي المجنون. رأيته يتثاءب. وكان من عادته أن يتثاءب ليخفي سورات الغضب التي تستبد به أحياناً. وسررت في دخيلتي.

في الاستراحة وقف إدي ويداه غارقتان في جيبي سرواله يراقب لستر في الباب الخلفي لصفنا وهو يضرب المماسح بقوة.

الدجاجة المنتوفة - يوماً بعد يوم دأب التلاميذ من أبناء المدينة على احضار أشياء مختلفة وكل منهم يحاول أن يبز سابقيه. أحضروا مجموعات نقود ومجموعات بطاقات بريدية ومجموعات دمى وسوى ذلك، حتى انتهى الامر أخيراً عندنا نحن أبناء الريف.

وقف رودي غريدل أمام الصف وهو يرتعش والعرق يتفصد من كل عرق في جسده، ثم فتح علبة سيجار مهشمة وقال: "هذه مجموعتي من أعقاب السجائر. اني ألتقطها عن الطريق. وتلاحظون أن ليس بينها ما ينقص طوله عن ٣٥ مليمتراً. واذا بلغ طول العقب هذا الحد او تجاوزه فاني احتفظ به. بعض الناس يلتقطون أعقاب السجائر ليدخنوها. غير أني أجمعها لأغراض تثقيفية فقط. شكراً لاصغائكم."

وعاد الى مقعده.

تحولت أنظار التلاميذ كلهم الى الآنسة ديدس. كانت شفتاها مزمومتين في تعبير بليغ عن القرف. وفجأة أخذ إدي ملدون المجنون يصفق. وسرعان ما حذونا جميعاً حذوه فصفقنا لرفيقنا رودي وهتفنا له استحساناً ونحن وقوف. لقد أرشدنا الى السبيل الذي سنتبعه. ومنذ الآن سيصبح برنامج "اعرض واشرح" عرضاً مثيراً للاهتمام حقاً.

أحضر فارلي كارب جلد ظربان دبغه بيديه وألقى علينا محاضرة شائقة حول طريقة الدبغ، حتى انه أقر بارتكابه بعض الاخطاء في العملية. لكنه أمل بعد ما

تعلمه من تجربته الاولى أن جلد الظربان التالي الذي سيدبغه ستنبعث منه رائحة كريهة أقل بنسبة ٥٠ في المئة من هذا في أدنى تقدير.

ومن حسن طالع ماني فوغ أنه جرح قدمه بضربة فأس ذات حدين قبل موعد عرضه بثلاثة أيام. وهكذا أتيح له أن يفك الضمادات ويعرض علينا الجرح الذي قطّبته أمه بخيط رفيع يستعمل لربط شص صيد السمك. كان منظراً يثير الاشمئزاز، لكن المحاضرة تبقى مفيدة خصوصاً اذا تعيّن على احدنا يوماً أن يقطع الحطب بفأس ذات حدين كما يفعل السواد الأعظم من أبناء الريف.

وبدأت آثار برنامج "اعرض واشرح" تظهر على الآنسة ديدس واكتسى وجهها مسحة من الجهامة وأضحت نزقة ومتوترة الاعصاب. وأظنها اختلت بنفسها مرة في غرفة المعاطف وبكت، إذ بدت عيناها حين خرجت محمرتين وجاحظتين. وفي هذا الوقت أحضرت لورا آن سترادل فرخة بدا أن جميع الفراخ الأخرى في دار آل سترادل نقدتها حتى نتفت نصف ريشها. أوقفت لورا آن الفرخة على طاولة الآنسة ديدس وحملت قضيباً لتشرح لنا الظاهرة. وفي هذه الأثناء اقترفت الفرخة المسكينة عملا غير لائق تحت وطأة الارهاق الذي تعرضت له.

وشهقت الآنسة ديدس من هول ما رأت، فيما أطلقنا نحن تلاميذ الصف الثالث ضحكة مدوّية.

هنرييتا! - أحضر التلاميذ الى البرنامج عدداً كبيراً من الاشياء حتى شعرت باليأس والضيق. وأخيراً جئت الى الصفّ بضفدع رهسته سيارة، وأخذت أشرح كيف أن شاحنة ضخمة مرت فوق الضفدع التعس وأحالته رقاقة ملتصقة بأديم الرصيف حيث جفت، الى أن جئت وسلختها عن الرصيف واحتفظت بها لتغدو أثراً للأجيال المقبلة. وكانت محاضرة ناجحة. وعلى رغم ذلك ظلت الآنسة ديدس جالسة هناك متهالكة في مقعدها تهوىء وجهها بحزمة من أوراق مسابقة الحساب. وتراءى لي أن لونها اكتسب روعة خضراء، ولكن ربما كان ذلك وهماً.

ولم يبق من تلاميذ الصف سوى مرغريت فيشر وصديقي إدي. وكنت أعرف أن إدي عازم على احضار بعض أعضاء ذبيحة نحرت حديثاً بحيث لا يكون النتن دب فيها. لكن مرغريت قلبت خطته.

أحضرت مرغريت صندوقاً من الورق المقوّى وحملته مزهوة الى مقدم غرفة الصف. وتراجعت الآنسة ديدس الى زاوية قصية ويداها ترتعشان خوفاً وتغطيان فمها بينما مرغريت ترفع غطاء الصندوق. وفجأة برز من الداخل رأس هرة ورؤوس أربعة جراء ناعمة. واذا بالجميع يعبرون عن دهشتهم بالآه والأوه. وأثنت الآنسة ديدس على مرغريت وقالت لها ان فكرتها كانت مدهشة باحضار الهرة وجرائها الى الصف، ثم كافأتها بأن طلبت منها أن تنظف مماسح اللوح الأسود في ذلك اليوم.

وجُنّ جنون إدي وقال: "لم يعد في امكاني أن أستعين بأشلاء الذبيحة بعد

هذا. ويتعيّن عليّ أن أفكر في شيء له صفار في رقة جراء الهرة."

قلت له: "ما رأيك في هنري؟"

قال: "أجل، هنري يصلح للمهمة، ولكن ليس له صفار."

قلت: "آه، ولكن ثمة أشياء يمكننا أن نزعم أنها صفار هنري. إنما في هذه الحال ينبغي أن تطلق على هنري اسماً مؤنثاً."



كان الجميع يراهنون على أن إدي المجنون سيفاجئهم بشيء مميز يكون خاتمة مدهشة لهذا البرنامج الاستعراضي. ودخل إدي حاملا دلواً معدنياً كبيراً. وخيم جو من الترقب على الصف كله، وتقدم إدي ليعرض ما لديه. حتى الآنسة ديدس كانت تترقب الحدث، ربما لأنها كانت تتوقع أن يأتيها أحد ذوي الحظوة لديها بشيء يخلّف أثراً لا يُنسى.

وفي زهو عارض مجرّب رفع إدي غطاء الدلو وقال: "والآن، سيداتي وسادتي، أقدم اليكم هنرييتا ملدون، الأفعى التي أربيها." ثم رفع الصلّ عالياً ليراه الجميع.

وشهقت الآنسة ديدس هلعاً حتى اهتزت الأوراق على الطاولات.

وأضاف إدي: "...هذا ليس كل شيء، اليكم فراخها أيضاً." ورفع بيده حفنة من ديدان الثرى راحت تتلوى بين أصابعه. عندما طرق الصوت مسمعي للوهلة الاولى حسبته صادراً عن صفارة سيارة اطفاء. وتعالى الصوت ببطء وأخذ يزداد حدة وارتفاعاً مما جعل زجاج النوافذ يهتز وكل شعرة في رؤوس الطلاب تقف في منبتها ذعراً. وصعقنا حين أدركنا أن الأوتار في الحنجرة البشرية يمكن أن تُصدر مثل هذا الصوت الراعد الغريب، خصوصاً أوتار حنجرة معلمة في الصف الابتدائي الثالث.

وهرع الاستاذ كوب مدير المدرسة الى الصف وأخرج الآنسة ديدس ليهدئ روعها. وبعدما أغلقا الباب وراءهما تحولتُ الى إدي وقلت له: "أظنك لن تنظف ممسحة اللوح الأسود بعد اليوم كرمى للآنسة ديدس."

أجاب إدي بصوت حزين: "أجل، أظنك على صواب." ثم أشرقت تقاطيع وجهه وهتف: "لكن عليك أن تُقر بأن ما قدمته كان عرضاً مدهشاً حقاً."

باتريك ماكمانوس ■

الطريق الى قلب امرأة هو باب مطعم فاخر. ا.ج.

غريق في نهر الذهب

في نهر أميريكان الذي يتدفق اليه المنقبون طالبين الذهب علق شاب تحت نصف طن من الصخر

صباح يوم مشرق من أيام يوليو (تموز) ١٩٨٤ أكب منقبان هاويان على رفع الوحل من قاع نهر أميريكان في كاليفورنيا بحثاً عن الذهب. وكان مايك أستل طالباً جامعياً في الثالثة والعشرين يرتدي لباساً من المطاط خاصاً بالغطاسين للوقاية من المياه الجليدية، ويوجه خرطوم مضخته الى قعر النهر المليء بالحصى. أما ابن خاله ديف بورغس فهو مندوب مبيعات في السادسة والعشرين، وكان يشرف على عملية رفع الوحل وهو واقف في الماء على مقربة من الضفة. كان ينتعل حذاء قديماً من المطاط الخفيف ويرتدي سروالا قصيراً ويرتعش برداً من رطوبة النهر.

وما ان طفا مايك على سطح المياه حتى صرخ في ابن خاله محاولا أن يطغى على هدير رافعة الوحل وقال له: "لا بد من أنك ترتعش. إرتدِ لباس الغطس علّه يقيك البرد." فأجابه مايك: "لا تقلق فأنا بخير."

لكن مايك ظل قلقاً عليه، فالقرابة لم تكن الرابط الوحيد بينهما، اذ كانا صديقين حميمين ترعرعا معاً وترافقا في صيد الطيور والأسماك وكثيراً ما خيما سوية في العراء.

وكان مايك يعلم جيداً أن على المرء أن يكون شديد الحذر في هذه الجبال.

وأعاد مايك أنبوب التنفس الى فمه وغطس ثانية ثم راح يضخّ الحصى والرمل من ثغرة عمقها متران وطولها متران حفرها مع ابن خاله الليلة الماضية كي يتراكم فيها الحصى والرمل اللذان يحملان الذهب

يريان صخرة ضخمة تهوي من الأجمة فوقهما وتندفع نحوهما. فصرخ مايك: "حذار يا ديف!" لكن الاوان كان فات، فاصطدمت الصخرة بصدر ديف وقذفته الى الوراء فانقلب في النهر مسمراً تحت الجلمود في احدى زوايا الحفرة. وكان رأسه مغموراً بنحو ثمانية سنتيمترات من الماء. واستقر الجلمود



والمنجرفان مع التيار.

وكانت المضخة تسحب الرمل وترسله عبر الخرطوم الى شبه صندوق لغسله ثم يتولى ديف نخله.

وبينما مايك ماضٍ في عمله سمع صوتاً حسبه في البدء صوت الرعد في البعيد. ثم عاد فحسبه صوت مدفعية. وما لبث أن أدرك مذعوراً أنه جلمود صخر.

فاندفع الى سطح الماء في وقت كان ديف يلتفت نحو مصدر الضجة. واذا بهما

الذي يبلغ عرضه نحو مترين ونصف متر على رجليه.

وما كان من مايك الّا أن اندفع الى قاع الحفرة وثبّت رجليه في الارض ووضع يديه حول الجلمود محاولا تحريكه بكل ما أوتي من قوة. لكن الصخرة لم تتحرك قيد أنملة.

وحدق ديف الى مايك بعينين ملؤهما

Illustration: Ken Laager

الرعب، وكان خدّاه منتفخين لأنه حاول أن يضبط نفسه تحت الماء. وسرعان ما نزع مايك جهاز التنفس من فمه ووضعه في فم ديف الذي نال منه الذعر فبدأ يتخبط. فانتبه مايك عندذاك الى أن جهاز التنفس تعطل.

أما ديف فشعر أن صدره يكاد ينفجر من شدة الضغط. وتاق الى الشمس والهواء اللذين لا يبعدان سوى سنتيمترات عن وجهه. وفكر في زوجته لوري التي تنتظره بفارغ الصبر في منزلهما في ساكرامنتو وهي حبلى بطفلهما الاول في شهرها الخامس. وراح ديف يصلي في نفسه: "رباه، أتوسل اليك أن تخرجني من هنا." وبدى يشعر بحواسه تتوقف عن العمل وبالحياة تفارقه تدريجاً. وردد في داخله: "عليّ أن أصمد." لكنه سرعان ما فقد الوعي.

في هذه الاثناء كان مايك يحاول إقحام قطعة حديد تحت الصخر، لكنها غارت في الوحل والحصى. عندذاك نظر الى ديف فلاحظ انه اصبح بلا حراك وقد شحب وجهه على نحو مخيف وازرقت شفتاه وجحظت عيناه وهما تحدقان الى لا شيء.

وصعد مايك الى الضفة وأطفأ محرك آلة التنقيب فعمّ السكون المكان. وراح ينادي بصوت خافت محاولا أن يستعيد أنفاسه: "النجدة!" ثم صرخ بصوت أعلى: "ساعدونا! في النهر رجل عالق تحت الماء."

نخوة الرجال – على بعد حوالى ٦٥ متراً كان المنقب ستيف هاغر (٤٩ عاماً) يحفر بمعول يدوي ثقباً في أحد الصخور. فتوقف عن العمل وسأل منقباً آخر يعمل الى جانبه ويدعى بوب اليس (٣٧ عاماً): "ما هذا الصوت؟"

فأجابه اليس: "قد تكون صخرة تدحرجت من أعالي الجبل كما يحصل عادة في هذه المنطقة." وبعد لحظات رفع ستيف رأسه ثانية وكان هدير المحرّك في أعلى النهر توقف. فسمع صرخة. عندذاك نادى اليس وقال له: "انها لصخرة حقاً! هيا لنرى ماذا جرى."

وكان بوب دور (٤٣ عاماً) وهو مهندس يعمل في أجهزة التبريد يتناول وجبة الفطور مع زوجته جويس في مقطورتهما قرب الجسر القديم على خليج شرتيل. وكان يحتسي قهوته عندما سمع صراخاً بعيداً فخرج محاولا تحديد مصدره.

وقالت له زوجته: "إنه آت من النهر." فأجابها: "معك حق، يبدو أن أحدهم في مأزق. تعالي نرى ما الأمر."

وما إن وصلا الى ضفة النهر حتى توقفا وقد صعقتهما الدهشة أمام المنظر الذي رأياه: جسد ديف بلا حياة يرقد تحت سطح الماء. وانضم دور الى الرجال الثلاثة وراحوا يصارعون الجلمود الذي لم يتزحزح.

أما جويس فوضعت يديها حول فمها وشرعت تركض في كل اتجاه طالبة النجدة. ثم جثت على ركبتيها وبدأت تصلي بصوت خافت.

وكان جو سول (٣٣ عاماً) قطع مع اثنين من أصدقائه مسافة ٧٢٥ كيلومتراً من لوس انجلس بحثاً عن الذهب. وخيّموا على مقربة من الجسر القديم على ضفة النهر.

وعندما تعطّلت رافعة الوحل لديهم قرروا أن يقصدوا أقرب مدينة لاصلاحها. وكانت تربط الرجال الثلاثة صداقة متينة. فقد هاجر جو من هنغاريا (المجر) عام ١٩٧٥ وأصبح مواطناً أمريكياً في العام ١٩٨٢ وراح يعمل في حقل الميكانيك. أما صديقه وزميله السابق أندراس سزافوست (٣٣ عاماً) فهنغاري الاصل أيضاً. وأما الرجل الثالث فيدعى كريستوف (كريس) كليزكز (٢٨ عاماً) وهو أستاذ الرياضة البدنية في احدى جامعات كراكوف في بولونيا يزور الولايات المتحدة للمرة الاولى. ولما كان كريس لا يجيد الانكليزية فقد راح الاصحاب الثلاثة يتحدثون بمزيج من البولونية والهنغارية.

وكانوا سحبوا رافعتهم من الماء عندما سمعوا نداء الاستغاثة. وهرول جو الى الجسر ورأى تجمعاً في النهر. فصرخ في كريس وأندراس: "تعالا، في الأمر خطب."

لا نبض! – وصل كريس الى ضفة النهر وراح يحدق الى المشهد المريع. وكان في العام ١٩٧٣ متطوعاً في جمعية إنقاذ الغرقى في كراكوف حيث تعلّم الانعاش بالتنفس عبر الفم. لكن الفرصة لم تسنح له سابقاً لتطبيق ما تعلّمه.

واذ انضم جو وأندراس الى الرجال الأربعة الآخرين أمسك كريس رأس ديف وضغط أنفه ثم غطّس رأسه في الماء وأطبق بفمه على فم ديف وراح ينفخ بقوة. واحد، اثنان، ثلاثة. وعندما ضاق نفسه رفع رأسه خارج الماء وتنفس ملء رئتيه وعاد لينفخ ثانية.

وكان كريس تعلّم في الدروس التدريبية التي تلقاها أن رئتي الغريق لا تمتلئان دائماً بالماء. فبعد انغمار مفاجىء في الماء البارد غالباً ما تنقبض الحنجرة وتغلق مجرى الهواء الى الرئتين. فكان عليه اذاً أن ينفخ بشدة حتى يخرق هذا الحاجز. وراح يعيد الكرة، فيغطس لينفخ ويطفو ليتنفس، حتى شعر بصداع قوي وبدوران كاد يفقده الوعي. فنادى جو طالباً منه أن يحل مكانه.

وبعدما تعلم جو طريقة الانعاش بدأ ينفخ في فم ديف. وبعد بضع نفخات انبعثت فقاقيع هواء من فم ديف، فراح جو ينفخ بقوة أكبر وقد اطمأن قليلا، اذ كان يعلم أن الفقاقيع تدل على أن الحنجرة انفتحت والهواء بدأ يملأ الرئتين.

وفي هذه الاثناء انضم كريس الى الآخرين محاولا رفع الصخرة. لكنها لم تتحرك من مكانها. وتذكر بوب أن لديه جهاز ارسال في سيارته يمكن استعماله لطلب النجدة، فهم اذا استطاعوا انقاذ الغريق سيحتاجون الى سيارة اسعاف. وقال: "سأطلب سيارة اسعاف وأعود للحال."

وفي غضون لحظات وصل بوب دور الى مقطورته وأدار جهاز الارسال وشرع يطلب النجدة: "الموجة ١٩، الموجة ١٩. حوّل. لدينا حال طارئة." لكن أحداً لم يجبه. وأدرك درو أن الجبل يشكل حاجزاً يصدم الارسال. فما كان منه الا أن قاد سيارته الى موقع مكشوف لا تشكل الجبال فيه حاجزاً وأعاد الاتصال: "الموجة ١٩، لدينا حال طارئة." فرد عليه صوت طلب منه

تحديد موقعه لارسال المساعدة اليه.

وكان مايك حلّ مكان جو في عملية الانعاش بالتنفس. وبات يشعر بارهاق شديد ويرتعش من البرد، فطلب من كريس أن يساعده. فهرع كريس وجسّ نبض ديف. لا نبض!

ثم نظر الى مايك بصمت وتمنى لو يمكنه أن يخفف القلق الشديد الذي رآه في عينيه. وخطر له أنه حتى لو أتقن الانكليزية لعجز عن ايجاد الكلمات المناسبة.

وفجأة طرأت على بال مايك فكرة. فأسرع الى ضفة النهر وأدار محرك رافعته ثم هرع الى جوار ديف ممسكاً بخرطوم المضخة الذي وجهه الى الرمل تحت جسم رفيقه آملا أن تسحب المضخة الحصى والرمل من تحته وتخفف من ضغط الصخرة عليه. ونجحت الفكرة وبدأت المضخة تسحب الحصى فاتحة ثغرات صغيرة تحت جسد الغريق.

"يحيا! يحيا!" – في هذه الاثناء عمل ستيف وبوب على إقحام قضيب فولاذ يزن ١٢ كيلوغراماً تحت الصخرة بهدف رفعها. واذ راح الخرطوم يبتلع الحصى شعرا فجأة أن الصخرة تحرّكت قليلا فأصبحت إحدى رجلي مايك طليقة وسرعان ما تحررت الثانية. وسارع مايك الى حمل ابن خاله من ذراعيه في حين أمسكه كريس برجليه ورفعا الجسد الهامد من تحت الصخرة. وصرخ مايك: "لقد نجحنا."

ونقلا ديف الذي بقي عالقاً تحت الماء مدة ربع ساعة الى ضفة النهر حيث ألقياه على ظهره وأدارا رأسه جانبياً.

عندئذ طلب كريس من جو أن يتابع عملية الانعاش في حين بدأ هو يضغط صدر ديف بقوة واتزان ويدلك قلبه. وفجأة سمعت قرقرة في معدة ديف وخرج سائل من فمه الى فم جو. فأجفل هذا وانقلب على جنبه يتقيأ. وصرخ كريس بالبولونية: "انه ما زال حياً!" وانسابت الدموع من عينيه، فرفع ذراعيه الى السماء وقال بالانكليزية متلعثماً: "يحيا! يحيا!"

وعانقه ستيف وبوب ورددوا معاً بفرح: "يحيا!" وما لبثت سيارتا اسعاف واطفاء أن وصلتا بعد ١٥ دقيقة. وكان ديف الذي بدأ يستعيد وعيه يسعل ويبصق الدم بغزارة، الأمر الذي يدل على تمزق أوعية دموية في الرئتين.

وللحال وضع المسعفون ديف على حمالة وأدخلوه سيارة الاسعاف لنقله الى مستشفى أوبرن فيث كوميونيتي.

وعندما خرج طبيب الطوارىء الدكتور وليم بوريس من غرفة المعاينة خاطب مايك: "الامل ضئيل، وهو قد يفارق الحياة في أي لحظة."

وبعد ساعتين وصلت لوري الى المستشفى فقال لها ديف بصوت منخفض: "سأكون بخير." وأضاف مازحاً: "اذا كنت تعتقدين أنني سأموت قبل أن يرى طفلنا النور، فلا بد من أنك جننت."

والغريب أن الاشعة لم تظهر أي كسور في العظم، وتوقف النزف في الرئتين. وأعطي ديف البنيسلين لمعالجة ذات الرئة التي أصيب بها ومسكنات لتخفيف الألم الناتج من الرضات.

وبعد يومين من الحادث غادر ديف المستشفى متكئاً على عكازين.

اما اليوم فقد تعافى كلياً الا من بعض الاوجاع التي يشعر بها بين حين وآخر في وركه الأيسر.

ويعتقد أطباء المستشفى أن شباب ديف وصحته الجيدة ساهما في انقاذه. ويقول الدكتور بوريس ان الانعاش عبر الفم والاسعافات الاولية التي تلقاها ديف بعيد الحادث هي من العوامل الاساسية التي أدت الى انقاذه.

أما ديف فيقول: "أنا مدين بالكثير للذين رفضوا التخلي عني والاستسلام لليأس. لذا فانني لن أعيش بعد اليوم من أجلي أنا فقط، بل سأعيش ايضاً من أجلِ الذين أعادوا الي الحياة."

وأضاف: "وأخص بكلامي هذا كريس كليزكز. وهو عاد الى بولونيا، لكنني كلما تنشقت الهواء شعرت أنه لا يزال معي."

كريس ماكاي ■

نقطة اللقاء

بدأتُ محاضرتي في صف الممرضات والممرضين الذين يتابعون دورة حول "الجوانب النفسية للشيخوخة" بالآتي: "لدي مريضة لا تتكلم ولا تفهم الكلام. وهي تمضي الساعات الطوال في نطق كلمات غير واضحة. وليس لديها الحس الكافي لتمييز الاشخاص والامكنة والاوقات. الا أنها تعرف اسمها وتستجيب له. ولقد عملت معها طوال الأشهر الستة الماضية، وما برحت لا تكترث لمظهرها ولا تبذل أي جهد لمساعدة المعتنين بها. ولا بدّ من هرس طعامها لان فمها خال من الاسنان. وقميصها مبلل معظم الوقت لأن لعابها لا يكفّ عن السيلان. وهي لا تمشي ولا تنام في مواعيد منتظمة. وغالباً ما تصحو في منتصف الليل وتزعج الآخرين بصراخها. وتبدو غالب الاحيان قريبة الى القلب وسعيدة، لكنها تثور مراراً كل يوم لأسباب غير ظاهرة. وتبقى ثائرة الى أن يأتي أحد إليها ويهدىء روعها." وسألتُ طلابي عن رغبتهم في الاعتناء بهذه المريضة، فلم يتطوّع أي منهم للامر. وحينَ قلت اني استمتعت كثيراً بعملي معها نظروا اليّ كلهم كمن لا يصدّق. وإنذاك عرضتُ عليهم رسم الشخص المقصود، وهو طفلتي ذات الاشهر الستة.

ترى ما الذي يجعل العناية بامرأة في التسعين أصعب منها بطفلة في شهرها السادس، علماً أن الاثنتين تتشابهان في امور كثيرة؟ ان المسألة تتجاوز كون الطفلة تزن سبعة كيلوغرامات والعجوز ٤٥ كيلوغراماً. وبعد مناقشة الموضوع قرّ رأينا على أن الطفلة تجسد الحياة الجديدة والامل والامكانات التي لا تُحدّ. أما العجوز فتجسد نهاية الحياة وآخر النموّ. ولكن علينا تبديل موقفنا بحيث نعترف بأنّ اولئك الذين شارفوا النهاية يستحقون عنايتنا كمن هم على عتبة البداية. فهؤلاء وأولئك اذا تركوا وحدهم لا يستطيعون البقاء.

الدكتور بول رسكن، "مجلة الاتحاد الطبي الامريكي"

الجدة امرأة أُعطيت حظاً اضافياً في الأمومة. ر. ا.

العصفور الأعمى

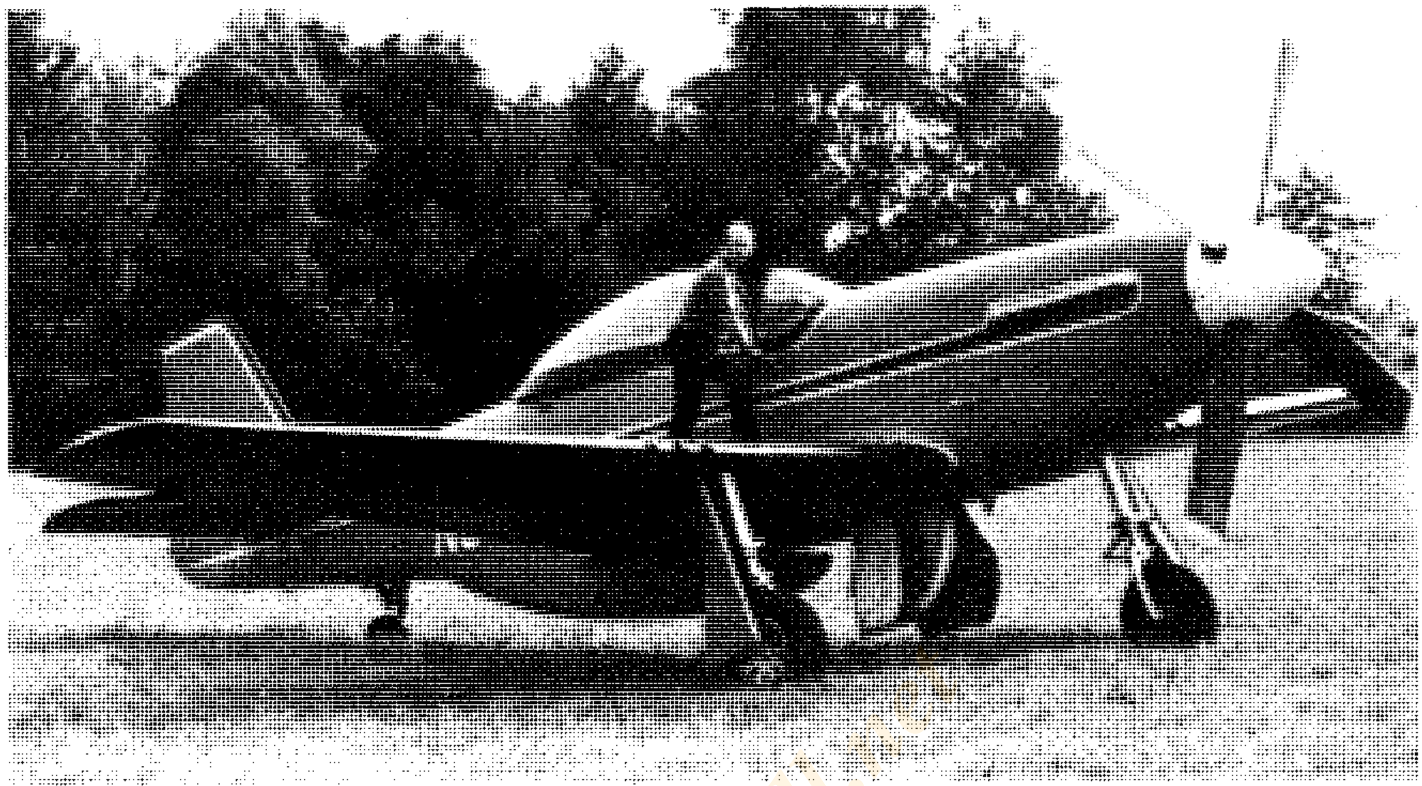
" انك تذكرني بعصفور أعمى يجيد الطيران لكنه لا يستطيع أن يحلق"

كان الطقس رائعاً صباح ذاك اليوم من شهر نوفمبر (تشرين الثاني). وكنت أحلّق فوق مدينة فريدريكسبورغ بولاية فرجينيا في طائرتي المقاتلة وهي من طراز "ب ٥١ موستانغ" وتعود الى الحرب العالمية الثانية وقد أعيد تصميمها. ورأيت أمامي المكان الذي كنت أبحث عنه: بلدة كالبيبر في ولاية فرجينيا.

كنت على ارتفاع ٤٦٠٠ متر، فعمدت الى انزال طائرتي بسرعة ووجدت البقعة التي أبحث عنها، ثم انحدرت. وكانت سرعتي تزيد على ٦٥٠ كيلومتراً في الساعة عندما أعدت الطائرة الى وضعها السوي. وحلقت في مستوى الأشجار وتوجهت الى الطريق الريفي الصحيح. ثم عددت ثلاث ثوان وأديت أفضل تحليق عمودي في حياتي.

أدركت انني خرقت عدداً من قوانين الطيران الامريكية، بما فيها الطيران المنخفض والطيران في محاذاة الابنية وتأدية البهلوانيات دون ارتفاع ٤٥٠ متراً. خرقتها جميعها أنا الموظف في جمعية الطيارين المحاربين وأستاذ الطيران الصارم! لكنني لم أشعر بالأسف لخروجي المفاجىء الوحيد على قوانين الطيران وأنظمته. وما همّ أن أكون على خطأ أو صواب، فاللحظة لحظتي الى الأبد.

شتات طفولة - كنت في سني السادسة عندما طلّق أبي أمي وتركنا بلا معيل في مدينة نيويورك. كنا في العام ١٩٤٣ والمرحلة عصيبة. وعملت والدتي في مصنع أسلحة ثم تزوجت رجلا يدعى جاك. وكان جاك يصاب بنوبات غضب شديدة فأصبحت الحياة معه سلسلة من المشاجرات الليلية الحادة تتبعها في بعض الأحيان أصوات ضرب. وأذكر ان امي كانت تبكي باستمرار.



دادلي هنريك يركب طائرة من طراز "ب ٥١ موستانغ".

في احدى الليالي قال لي جاك انه سيخرج مع والدتي وأمرني بملازمة الفراش. ثم أطفأ النور وخرج.

وكان من عادتي أن أتسلل من الفراش وأراقبهما من النافذة وهما يبتعدان في السيارة. واذ عبرت الغرفة في الظلام أضيء النور فجأة واذا بزوج امي يقف في الباب وبيده حزام وحبل صغير. وشتمني وراح يزعق في وجهي لانني لم أمتثل لاوامره. ثم رماني على الفراش وقيّد يدي وقدمي بهيكله وانقض علي يضربني الى أن بدأت أنزف. وبينما هو ماض في ضربي أصاب رباط الحزام فمي فقلع احدى اسناني الأمامية. عندئذ فك جاك قيودي وغادر الغرفة. ولا بد من أن تكون أمي سمعت ما جرى تلك الليلة.

وعشت على هذا المنوال مدة سنتين. وفي احدى الليالي قدمت والدة أبي لزيارتنا من مدينة ويلمينغتون في ولاية ديلاوير. وبعد شجار عنيف مع والدتي قادتني جدتي الى سيارة كانت تنتظر في الخارج وابتعدنا. وكانت تلك المرة الاخيرة أرى فيها والدتي.

أمضيت السنوات الثماني اللاحقة في ويلمينغتون. وكانت جدتي امرأة طيبة لكنها صارمة جداً. فهي تكاد لا تستعمل أبداً كلمة "حب" في حديثها. وفي هذه الاثناء تزوج والدي ثانية وذهب ليعيش مع زوجته الجديدة في ولاية تكساس. كان يأتي لزيارتنا بين الحين والآخر. لكنني لم أعرفه جيداً. فهو بالنسبة اليّ مجرد رجل وهبني كثيراً من الهدايا.

أما جدتي فكانت تعمل في مؤسسة كبرى ولا يتوافر لها الوقت لرعايتي. وكنت أراها قبل ذهابي الى المدرسة وبعد السادسة مساء عندما تعود الى المنزل. وفي المدرسة كنت فظاً ومشاكساً أتشاجر دائماً مع سائر الأولاد.

وهكذا ما ان بلغت الخامسة عشرة من عمري حتى طردت من المدرسة. فسجلتني جدتي في مدرسة خاصة ذات نظام صارم في برين ماور بولاية بنسلفانيا عُرفت بتدبير أمر الاولاد أصحاب المشاكل. وأظن أن انتسابي الى هذه المدرسة كان اول الأمور الايجابية التي حدثت لي، اذ رسخت في نفسي التربية الحسنة والصارمة في آن. لكنني لم أستطع الخضوع للنظام هناك ايضاً فطردت مرة اخرى وكان لي من العمر ١٦ عاماً.

فجر جديد - عدت الى احدى مدارس ويلمينغتون الحكومية. ومرت نهايات الاسبوع مملة اذ لم يكن لي أي عمل أؤديه. وفي يوم سبت ركبت حافلة أوصلتني الى قاعدة نيوكاسل الجوية التي تقع خارج المدينة. وفي حظيرة طائرات الحرس الوطني في ديلاوير رأيت طائرة للمرة الاولى عن كثب. كانت مقاتلة من طراز "ب ٥١ موستانغ" من الحرب العالمية الثانية. فأخذت بسحرها ورحت أدور حولها وألمس جناحيها ومروحتها ثم قفزت على الجناح وانسللت الى الركن الخاص بالطيار. وللحظة ظهر أحدهم وراح يصرخ: "يا ولد، أخرج من الطائرة!" فأصابني الذعر وشرعت أنزل منها. عندذاك أحسست يداً تربت كتفي وتدفعني الى داخل الطائرة. فاستدرت واذا بي أواجه ضابطاً يرتدي بزة الطيران ويقف على الجناح بشعره الأحمر وعينيه الودودتين.

كان الطيار يدعى جيمس شوتويل. وقبل أن أغادر المدرج ذاك اليوم أصبحت أناديه "جيم". وفي ما بعد رحت أزور نيوكاسل في نهاية كل أسبوع. وأخبرني جيم أنه كان طياراً مقاتلا في المحيط الهادىء إبان الحرب. وبعد عودته تخرّج في الجامعة وحاز اجازة في الهندسة الكهربائية ومضى ليعمل في شركة هندسة في مدينة جورجتاون بولاية ديلاوير.

وكانت الاسابيع التي تمر تقربني أكثر من جيم شوتويل. فأخبرته بما عانيته في حياتي. وكان يواسيني بمودة وحرارة. فأدركت انني وجدت أول صديق حقيقي لي، لذلك كان لا بد من أن يطرأ تغيير جذري على حياتي.

كنت اجلس مع جيم تحت جناح طائرته ونتحدث في الطائرات وفي بعض المواضيع كالرياضيات والتاريخ والفيزياء. كان الأمر رائعاً. وهو عرّفني الى سائر الطيارين، فأثّر ذلك في نفسي إذ أحسست للمرة الاولى في حياتي انني أنتمي الى مجموعة.

وفي يوم من الأيام أخبرت جيم أنني عازم على ترك المدرسة والبحث عن عمل. فنظر اليّ برصانة وقال لي: "انك تذكرني يا دادلي بعصفور أعمى. انه يتقن الطيران لكنه لا يستطيع أن يطير لأنه لا يرى. فكلما ارتفع عن الارض اصطدم بأشياء تثبط عزيمته. تراه هائماً لا ينجز أمراً في حياته. فهو لا يدري كيف يتجه. أما أنت يا داد ففي يديك كل الوسائل. استخدمها إكراماً لله. فمهما عملت في حياتك عليك أن توطد أمراً واحداً: أن تدرك اهدافك في هذه الحياة. فكدّ في الأمر."

ولكن بعيداً عن جيم وعن القاعدة الجوية لم تتغير حياتي قط. وبقيت أجلب المتاعب لنفسي وبقيت علاماتي المدرسية سيئة. وأخيراً قررت جدتي إرسالي الى كاليفورنيا لأعيش مع عمتي. وأخبرت جيم بالأمر. وبعد بضعة أيام أتى لزيارتنا وسمعته يحادث جدتي لساعات. لكن مجيئه لم يغير شيئاً. وفي نهاية شهر أغسطس (آب) ١٩٥٣ حزمت أمتعتي وركبت طائرة الى لوس انجلس.

كانت عمتي لطيفة جداً، وحاولت مساعدتي بجميع الوسائل. وافتقدت نيوكاسل وجيم لكنني سعيت جاهداً لأتكيف مع محيطي الجديد. وكانت رسائل جيم تبهج أيامي.

وفي احدى ليالي مارس (آذار) ١٩٥٥ رنّ جرس الهاتف. فأجابت عمتي. وأحسست في كلامها خطباً. وعندما وضعت السماعة أخبرتني برفق أن جيم شوتويل لقي حتفه. فقد تعطل محرك طائرته وهو عائد من مهمة تدريبية الى نيوكاسل. وكان في وسعه أن يهبط بمظلته، لكنه اختار أن يبقى في الطائرة ويقودها بعيداً عن المناطق الآهلة حتى فاتت فرصة النجاة. وتفجرت داخلي أحاسيس لم أعهدها من قبل. حاولت أن أتمالك نفسي فلا أبكي، لكنني لم أفلح. فالامور كلها بدت لي متفككة مضطربة.

وتوقفت تدريجاً عن ذرف الدموع وبدأت أفكر في جيم وفي الامور الكثيرة التي قالها لي. وظلت ذكرى تشبيهي بالعصفور الأعمى تعاودني. ولطالما عرفت أن ما قاله جيم فيّ صحيح. ولكن حتى تلك الليلة عجزت عن جمع شتات حياتي. وفي النهاية غلبني النعاس واستيقظت مع الفجر وأنا أتصبب عرقاً بارداً. لكن فكري كان جلياً، فقد عرفت بادراك غريزي أن شيئاً ما تبدل. أصبحت الآن أدرك أين أسير في حياتي وماذا أفعل لأبلغ غايتي.

على طريق النجاح – في تلك السنة تطوعت في سلاح الجو الامريكي وأصبحت موجهاً في برج المراقبة. فأتممت وظيفتي العمل الذي بدأه جيم، إذ انعكس موقفي السلبي خلال مدة خدمتي وتجدد إيماني بالله والانسان. وعزمت على النجاح.

وفي العام ١٩٥٩ بدأت بحماسة سنة من الدراسة المكثفة والعمل الشاق ونلت اجازة طيار. وسرعان ما توظفت كأستاذ طيران. وتبين أنني موهوب في الطيران البهلواني. وبفضل التعليم والعروض الجوية التي أديتها في نهاية كل اسبوع ذاع صيتي.

ولما أتى العام ١٩٧١ كان رصيدي ألوفاً من ساعات الطيران وكنت أديت أكثر من مئة عرض وألقيت المحاضرات على اساتذة الطيران المتدرجين.

وفي خريف ذاك العام عرض علي أحد أطباء نيويورك أن أقود طائرة من طراز "ب ٥١ موستانغ" من مصنعها في نيوارك بولاية نيوجرزي الى القاعدة الجوية في ماناساس بولاية فرجينيا. فرسمت بدقة خط طيران يوصلني الى الجنوب من ماناساس. وحسبت انني اذا ملأت الخزانات ٦٨٠ ليتراً من الوقود لتمكنت من زيادة ٣٠ دقيقة طيراناً قبل أن أبلغ مقصدي.

وفي ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) في تمام السابعة والنصف صباحاً صعدت الى الطائرة المتوقفة في نيوارك وانعطفت جنوباً فوق رأس ماي البحري في ولاية نيوجرزي ثم توجهت الى كامبريدج وأدرت ميمنة الطائرة نحو كالبيبر.

أما المكان الذي خرقت فيه قوانين الطيران الامريكية ذاك الصباح فكان مقبرة ماونت كارمل بابتيست. تحت شاهدة ضريح هناك ترقد بقايا صديقي الكابتن جيمس شوتويل. لقد مضت ١٦ سنة قبل أن أجد الفرصة الملائمة لازور قبر الرجل الذي غيّر مجرى حياتي. وأنا زرته محلقاً بطائرة مماثلة للتي ركبتها يوم التقيته في نيوكاسل. وكان هذا التحليق العمودي صرخة نصر عرفاناً بالجميل وتحية للطيار المقاتل.

أما اليوم فتحيي هذه اللحظة في بالي امثولتين عظميين. اولاهما ان في وسع الانسان أن يؤثر في حياة الآخرين كما أثبت جيم شوتويل، وثانيتهما أن المرء يستطيع انجاز كل أمر تقريباً بالعمل الدؤوب وبمساعدة ضئيلة يقدمها صديق.

دادلي هنريك ■

صلاة

ربِّ اجعلني لا أصلي كي أتقي الاخطار، بل لاواجهها من دون خوف.
اجعلني لا أستعطف لتخفيف آلامي، بل لتكون لي القوة للتغلب عليها.
اجعلني لا أبحث عن حلفاء لاخوض معركة الحياة، بل عن قوتي الذاتية.
اجعلني لا أتمنى الخلاص من لهفة خوفي، بل الصبر حتى أكسب حريتي.
هبني الا أكون جباناً فأشعر برحمتك في نجاحي لوحدي.
ولكن اجعلني أشعر بسندك في خيبتي.

طاغور، شاعر هندي

حيث الوسامة عاهة!

الممثل ايلاي والاش، الذي لا يمكن أن يخلط أحد بينه وبين النجم الوسيم كاري غرانت، قال ساخراً: "ممثل ووسيم؟ عندما يفترض في ممثل وسيم أن يقاسي معاناة، لا يمكنكم أن تصدقوه. فالوسامة حينئذ تغدو عاهة فيه."

وأضاف: "أنا مثلا أشبه الحرباء. وجهي طري وتقاطيعه يمكن أن تتخذ أي شكل. يمكنني أن أحاكي أي عرق تريد وأي لون: مكسيكي، ايطالي، صيني، راعي بقر أمريكي. وما كنت لاقدر على ذلك لو كنت مجرد وجه وسيم آخر."

د.ف.

سرّ النجاح أن تنضج أفكارنا من غير أن نشيخ.

ك.س.

يبدأ في الخامسة والثلاثين ويتفاقم ببلوغ سن اليأس فيقصر القامة ويتسبب في كسور قد تكون مميتة

نخار العظم داء صامت يرعب النساء

حين كانت آن ترنر في أوائل الأربعينات من عمرها صدمت سيارتها من الوراء. وشعرت لاحقاً بألم في الظهر ظنته نتيجة للحادث الذي سبب تمزقاً عضلياً. ووصف لها الاطباء المعالجة الفيزيائية والتدليك والمعالجة الصوتية بالذبذبة العالية، لكن الألم تفاقم وقالت: "أصبحت عاجزة عن النهوض من سريري في الصباح."

وبعدما قاست آلاماً متقطعة طوال عشر سنين استشارت طبيباً أخذ في معالجتها منحى مختلفاً. وهي تقول: "قاس طول قامتي وقارنه بطولي المسجل على اجازة السوق التي حزتها وأنا في الخامسة والعشرين. واكتشف أن طولي نقص بمقدار خمسة سنتيمترات."

عرفت آن ترنر حينئذ لماذا كان ظهرها يؤلمها: ان فقراتها العظمية تنهار. والسبب ترقق العظم (١) وهو مرض يفقد العظام حجمها وقوتها. وبما أن تناقص عظامها كان تدريجاً وبطيئاً فان الصور الاشعاعية الاولى لم تكشفه. وتبين أن نقصاً في امتصاص المواد المعدنية (الفوسفور في حال ترنر) كان سبب الداء. وعندما عولج خف الالم. كذلك أبطىء تقلص حجم عظامها ولكن تعذرت اعادتها الى حالها الاولى.

ويقول الدكتور وليم بيك رئيس الاطباء في أحد مستشفيات سانت لويس بولاية ميسوري ورئيس هيئة الاحصاء الطبي لمرض ترقق العظم التابعة لمعاهد الصحة الوطنية: "ترقق العظم داء صامت لا يعطي أي انذارات مبكرة. وأول أعراضه في معظم الاحيان كسر عظمي في العمود الفقري أو الورك أو الرسغ. وتصبح العظام هشة الى حد أنها قد تنكسر لدى النهوض من السرير في الصباح.

ولما كان هذا الداء يصيب النساء بنسبة تراوح بين ستة وسبعة أضعاف أكثر مما يصيب الرجال فقد دعي داء نسائياً. وجميع النساء اللاتي تجاوزن الخامسة والثلاثين يصبن بتناقص في

---

(١) Osteoporosis نخار العظم أو تخلخله.

العظم الى حد ما، وهذا يزداد بحدة في بعض الحالات مع اقتراب المرأة من "سن اليأس" (انقطاع الطمث).

يسبب داء ترقق العظم ملايين الكسور في العظام كل سنة لدى أشخاص بلغوا الخامسة والاربعين أو تجاوزوها. بعض ضحاياه يعاني انكساراً في فقرات الظهر لا تقتصر نتائجه على نقص في الطول وازدياد في الألم، بل تتعداهما الى تقوس الظهر والتحدُّب الذي يدعى "سنام الأرملة". وقد يكون أشد مظاهر الداء انكسار عظم الورك المفاجىء. ففي بعض الحالات تنكسر عظمة الورك قبل السقوط والاصطدام بالارض، وربما يكون الانكسار سبب السقوط.

مقاييس الخطر - لكي نفهم ما هو ترقق العظم ينبغي أن نعرف كيف تنمو عظامنا.

نحن نعتقد أن عظامنا مادة صلبة حجرية. لكنها ليست كذلك. انها كتلة متبدلة على الدوام غنية بالكولاجين (٢) وتحوي مواد معدنية عدة أبرزها الكلسيوم والفوسفات. وثمة مقادير متناهية في الصغر من العظام تتفتت في استمرار وتبدل. وهذه العملية التي تدعى "اعادة الصياغة" تساعد على بقاء العظام قوية. وفي السن الخامسة والثلاثين نصل عادة الى ذروة الكتلة العظمية في أجسامنا. وتستمر عملية اعادة الصياغة، لكننا في هذه المرحلة نخسر العظم بدلا من أن نكسبه. ويصاب الرجال بنقص جزئي في العظام ولكن بنسبة مستقرة. أما النساء فأنهن قد يخسرن اثنين أو حتى أربعة في المئة من كتلتهن العظمية سنوياً على مدى السنوات التي تعقب سن اليأس. وبعد الخامسة والستين يستقر معدل نقص العظام لدى الانثى. وفي السبعين يصبح المعدل لدى النساء عموماً على مستوى النقص لدى الرجال.

وتحتاج عملية اعادة الصياغة الى الكلسيوم وسواه من المغذيات التي تختزن داخل العظام. لكن الجسم يحتاج الى الكلسيوم في وظائف عدة أخرى. فالكلسيوم الذي يجري مع الدم يؤدي دوراً مهماً في تنسيق الحوافز العصبية التي تنظم نبض القلب والتقلّصات العضلية. وتنشأ معضلات صحية عندما يتدنى منسوب الكلسيوم في الدم تدنياً بالغاً. في هذه الحال يتعين على الجسم أن يسترد الكلسيوم من العظام. ومع مرور الزمن يسبب هذا الاسترداد نخراً في العظام وضعفاً فتتخذ مظهراً اسفنجياً مسامياً. وهذا هو داء الترقق.

حتى وقت قريب لم تتوافر وسيلة لاكتشاف هذا المرض في طور مبكر. فالصور الاشعاعية تكشف تناقص العظم حين يبلغ نسبة ٣٠ أو ٣٥ في المئة، وحينئذ يكون الداء متقدماً جداً. وثمة ثلاث تقنيات غير ضارة بالانسجة تعطي نتائج جيدة. الاولى مقياس امتصاص الفوتون المنفرد (٣) الذي يحدد تناقص العظم في الرسغ والقدم. والثانية مقياس امتصاص الفوتون الثنائي (٤) الذي يحدد تناقص العظام في العمود

---

(٢) مادة غروية.

(٣) Single-photon absorptiometry

(٤) Dual-photon absorptiometry

الفقري والورك ويعتبر تقدماً مهماً على التقنية الاولى. هذان الجهازان يعملان على أساس مقارنة طاقة الاشعة السينية (أشعة اكس) قبل اختراقها العظم وبعده، مما يتيح للاطباء ان يقيسوا كثافة العظم (ثقله النوعي) ومحتواه من المعادن. والجهازان كلاهما لا يعرضان المريض لمقدار كبير من الاشعاع. أما التقنية الثالثة فهي تطبيق للتصوير الطبقي المحوري (٥) وتقيس مدى تناقص العظام في العمود الفقري. ويقول الدكتور بيك: "هذه الاجهزة دقيقة جداً في حساباتها. لكنها غير متوافرة على نطاق واسع حتى الآن."

ويعتقد الدكتور بيك والباحثون في داء ترقق العظم أنه في غضون بضع سنوات قد يصبحون قادرين على اكتشاف المرض في مرحلة مبكرة من طريق فحص الدم. والمستويات المحدّدة لبعض المواد ذات الصلة بالعظام يمكن أن تبين متى يصبح تناقص العظام أسرع مما يجوز.

ومثل هذه الفحوص سيكون لها أعظم نفع بالنسبة الى النساء المعرضات لأقصى نسبة من الخطر، أي النساء اللواتي هن من العرق الأبيض والمتحدرات من أصل أوروبي شمالي والنساء الآسيويات. الطويلات القامة والناحلات معرضات أكثر من القصيرات القامة وذوات البنية القوية. والسمراوات أقل تعرضاً للخطر، وذوات البشرة السوداء هن الاقل تعرضاً.

الحمل يزيد حجم الكتلة العظمية، لذا فالنساء اللواتي لم ينجبن معرضات للداء بدرجة أعلى. أما العوامل الاخرى التي تساهم في انقاص الكتلة العظمية فمنها تأخر البلوغ وانقطاع الطمث (سن اليأس) واستئصال المبيضين جراحياً وفقدان الشهية العصبي وملازمة الفراش لمدة طويلة والنشاط المفرط للغدة الدرقية أو للغدد المجاورة للدرقية (وهي غدد صغيرة تساعد في تأييض الكلسيوم والفوسفور) أو للغدد الكظرية وأمراض الكلى وبعض أشكال التهاب المفاصل وبعض أنواع السرطان. وهناك عقاقير مثل الكورتيزون والستيرويدات المتصلة به تزيد من سرعة تناقص العظم. كما يمكن أن يساهم في هذا التناقص التعاطي المزمن للملينات المعوية ومضادات الحموضة المحتوية على ألومنيوم والافراط في الكحول والتبغ.

خط السلامة – بالنسبة الى بعض الناس يساعد اكتشاف الداء مبكراً في ابطاء معدل تناقص العظام قبل أن تحدث الكسور. ولكن في حالات أخرى يعجز الاطباء عن ابطاء التناقص او وقفه. وحتى الآن ليست هناك طريقة مؤكدة بالبرهان لزيادة الكتلة العظمية أو عكس تقدم الداء. ويقول الدكتور جون كاناري أستاذ الطب والمدير المشارك لبرنامج معالجة ترقق العظم في جامعة جورجتاون في العاصمة الامريكية واشنطن: "لهذا السبب لا نزال نصر على الوقاية."

وقد كشف الباحثون ثلاثة أساليب أساسية لتحسين حظ المرأة في تجنب داء ترقق العظم:

---

(٥) Computerized axial tomography (CAT) scan

المصادر الرئيسية للكلسيوم

الطعام	المقدار	الكلسيوم بالمليغرام
● الالبان ومشتقاتها		
حليب قليل الدسم (١ أو ٢ في المئة)	كوب	٣١٠
حليب مقشود	كوب	٣٠٠
حليب كامل	كوب	٢٩٠
مخيض الحليب	كوب	٢٩٠
حليب جاف من دون دسم	ملعقتان كبيرتان	١٠٥
بيض مخفوق بالقشدة	كوب	٣٣٠
لبن كامل الدسم	كوب	٣٠٠
لبن قليل الدسم	كوب	٤٠٠
جبن موتساريلا (مقشود جزئياً)	٢٨ غراماً	٢١٠
جبن بارما	٢٨ غراماً	٣٤٠
جبن سويسري	٢٨ غراماً	٢٧٠
جبن أبيض (٢ في المئة دسماً)	كوب	١٦٠
● الخضر		
ملفوف أخضر	كوب	٣٦٠
لفت	كوب	٢٥٠
كرنب	كوب	٢٠٠
قنبيط صيني	كوب	٢٥٠
بروكولي (قنبيط افرنجي)	كوب	١٥٠
● الاسماك		
سردين معلب (مع الحسك)	١١٢ غراماً	٥٠٠
سلمون أحمر معلب	١١٢ غراماً	٢٩٠
اسقمري معلب	١١٢ غراماً	٣٠٠
● البندق واللوز		
بندق برازيلي وعادي	نصف كوب	١٢٥
لوز	نصف كوب	١٦٠

الغذاء. من الواضح أن الغذاء المتوازن حيوي لصحة العظام. وتناول مقدار كاف من الكلسيوم هو حجر الزاوية في أي نظام غذائي يهدف الى الوقاية من داء ترقق العظم. وتوصي هيئة معاهد الصحة الوطنية النساء في السنوات التي تسبق سن اليأس بتناول ١٠٠٠ مليغرام من الكلسيوم يومياً، أي مقدار ما في ثلاثة أكواب من حجم ٢٤٠ سنتيمتراً مكعباً من الحليب القليل الدسم. أما بعد سن اليأس فعلى النساء اللاتي لسن تحت المعالجة لتعويض الأستروجين أن يتناولن ١٥٠٠ مليغرام يومياً.

ومهما يكن فان كثيرات من النساء المعرضات للداء، بدءاً بأواسط العقد الخامس من العمر، يتناولن ما يراوح بين

٤٥٠و٥٠٠ مليغرام من الكلسيوم في طعامهن اليومي. ويشير بعض الدراسات الى اتجاه مثير للقلق نحو تناول مقادير دون هذا الحد.

واليوم يساور الباحثين شك قوي في أن تناول مقدار مناسب من الكلسيوم قبل السن الخامسة والثلاثين يقلل من احتمالات الاصابة بترقق العظم في المراحل اللاحقة من الحياة.

ويشير الباحثون الى أن الجسم يمتص الكلسيوم الذي في الطعام أفضل مما اذا كان في شكل جرعات مكملة. ويقولون: "في امكانك أن تدخلي في طعامك مقداراً وافراً من الكلسيوم بطريقة فعالة ورخيصة. رشي مسحوق الحليب المجفف القليل الدسم على الصلصة والمرق والحساء. رشي الجبن المبشور على الخضر وداخل الشطائر. كما ان بعض أنواع الجوز والبندق والفستق واللوز والسردين وأوراق الخضر الداكنة واللبن والحليب القليل الدسم أو المقشود هي كلها مصادر جيدة للكلسيوم." كذلك توصي هيئة معاهد الصحة الوطنية بتناول الكلسيوم في جرعات مكملة اذا تعذر تأمين المستويات الكافية منه في الطعام. ويقول الدكتور بيك: "ان مكملات الكلسيوم التي تصنعها شركات الادوية ذات السمعة الحسنة هي عموماً سهلة الامتصاص." لكن المكمل الذي يستعمل على أوسع نطاق، وهو كربونات الكلسيوم، لا يمتصه الجسم جيداً لدى بعض الناس الذين تجاوزوا الستين الا اذا أخذ مع وجبات الطعام.

ويشدد الدكتور بيك على أن اللاتي يعانين أي مشكلة صحية، خصوصا اللاتي لهن تاريخ شخصي أو عائلي بالاصابة بحصى الكلى، يجب أن يتناولن الكلسيوم المكمل في اشراف طبيب. ويقول: "إقرأي التعليمات المرفقة بكل عناية لتتأكدي من محتوى الكلسيوم في العقار." ويحذر من ان ادارة الغذاء والدواء الامريكية وجدت مقادير ضئيلة من مواد معدنية ثقيلة مثل الرصاص في عقارين مكملين للكلسيوم هما الدولوميت ودقيق العظم.

وكشف الباحثون كذلك صلات أخرى بين ترقق العظم وما نتناوله من طعام:

● الفيتامين "د". انه ضروري لامتصاص الكلسيوم. والغذاء المتوازن والتعرض لنور الشمس أحياناً يكسباننا مقداراً وافراً منه. ولكن مع تقدمنا في السن، تضعف قدرة أجسامنا على انتاج النوع الفعال من هذا الفيتامين. وبعد السبعين، استناداً الى الدكتور بيك، قد يحتاج الجسم الى ضعفي - أو ثلاثة أضعاف - مقدار الجرعة اليومية الموصى بها. ويضيف أنه ينبغي الا يتناول المرء الفيتامين "د" من دون اشارة طبيب لان تناول مقدار مفرط منه قد يزيد نسبة الكلسيوم في مجرى الدم.

● الكحول. قد تكون الكحول مضرة بالعظم بمقدار اضرارها بالكبد. والكحول لا تؤثر عكسياً في تأيض الفيتامين "د" لكنها تزيد من اهدار الكلسيوم. ويقول الدكتور كاناري: "لا نعرف تماماً عند أي مستوى تؤدي الكحول الى اهدار الكلسيوم. ولكن حتى مقدار ٣٠ سنتيمتراً

مكعباً منها يؤدي الى اهداره وان بنسبة ضئيلة."

● الكافيين والنيكوتين. الكافيين مادة منبهة، وتناولها بمقادير كبيرة يعجل افراز الكلسيوم والمعادن الاخرى من الجسم. ويؤدي النيكوتين كذلك الى افراز الكلسيوم من الجسم. وثمة قرائن تشير الى أنه يعجل سن اليأس.

التمرين. التمرين الرياضي يزيد حجم الكتلة العظمية ويقلل من تناقصها. ولكن ليس معروفاً على وجه اليقين ما هو النوع الافضل او المقدار الافضل من التمرين لتحقيق هذه الغاية. وممارسة الغولف وكرة المضرب والجمباز قد تكون مفيدة. ويقول الدكتور كاناري: "أي شيء يلقي عبئاً حركياً على عظامك يكون مساعداً. فالمشي كل صباح وانتقاء البقالة من المتجر وحتى لَيّ الذراع حركات تجدي."

علاج تعويض الاستروجين. حين ينقطع الطمث ينخفض مستوى هرمون الاستروجين بحدة وتنخفض معه قدرة جسم المرأة على امتصاص الكلسيوم. وهذا يؤدي الى زيادة سرعة تناقص العظام. وأفضل طريقة لوقف هذا التناقص هي تعويض الاستروجين، على أن يبدأ مباشرة بعد انقطاع الطمث. وتصح هذه التوصية أيضاً على النساء اللواتي استؤصلت مبيضاتهن جراحياً.

وتطرح المعالجة بالاستروجين مسألة الجدوى قياساً الى الخطر. لأن هذا الهرمون يزيد قليلا خطر الاصابة بالسرطان في بطانة الرحم (بالنسبة الى النساء اللاتي استؤصلت ارحامهن لا يحمل هذا العلاج أي خطر). ولكن مع ادخال هرمون آخر هو البروجستيرون يبدو أن خطر سرطان بطانة الرحم يتضاءل، ويتباطأ تناقص العظام بنسبة أكبر. ولا يعرف حتى الآن تأثير تضافر هذين الهرمونين على المدى الطويل. وهذه المسألة يقررها المريض مع طبيبه.

ويقول الدكتور كاناري: "ان احتمال الاصابة بسرطان بطانة الرحم يبقى دون واحد في المئة نتيجة علاج تعويض الاستروجين. ولكن من دون هذا العلاج يبلغ خطر الاصابة بكسور الورك نسبة تزيد على ٩٨ في المئة. كما ان الوفيات المتصلة بكسور الورك هي أكثر بكثير من الوفيات بسرطان بطانة الرحم."

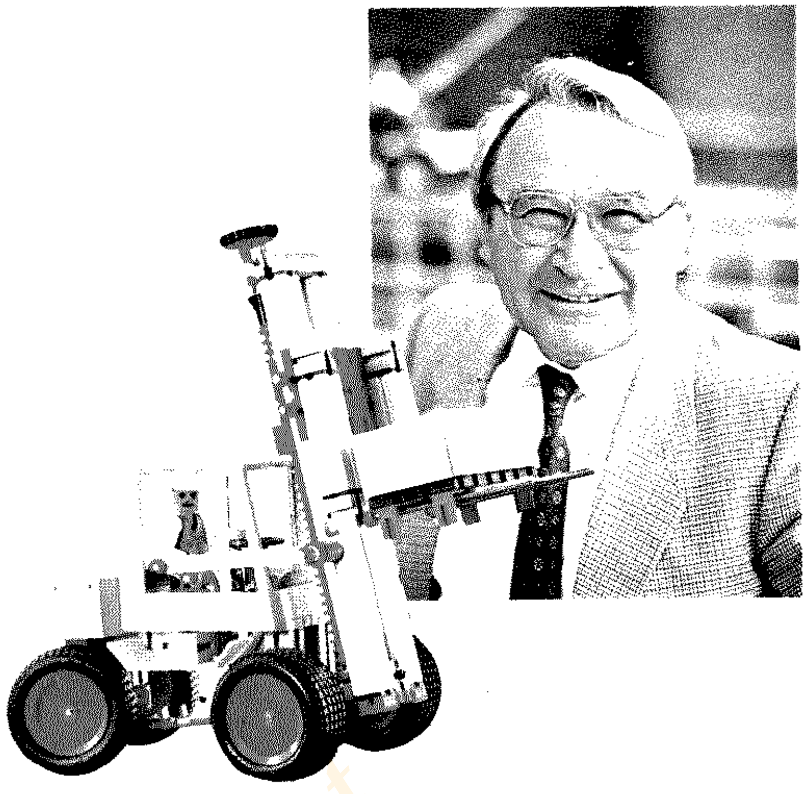
ويتفق الباحثون على أن ثمة حاجة الى معرفة المزيد عن داء ترقق العظم. ولكن بتطبيق المعارف المتوافرة يستطيع الملايين اتقاء تأثيراته المؤلمة.

جون بيكانن ■

أستاذ الادب

خاض أستاذ الادب الانكليزي وأحد تلامينه نقاشاً حاداً حول أحد الكتّاب فسأل التلميذ أستاذه هل قرأ آخر قصة لذلك الكاتب، فأجاب: "قرأتها؟ اني لمّا أدرّسها بعد."

ت.ب.



آرثور فيشر عالمُ ألعاب

ان يوماً ينقضي من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوماً لم تشرق فيه الشمس

آرثور فيشر

يعلق عامل مرآة ثقيلة بعقيفة مثبتة في جدار. ويدور وامض ضوئي (فلاش) فيما أحد المصورين الهواة يلتقط صوراً في لقاء عائلي. ويدير طفل مقبضاً من البلاستيك الملون ويبتهج حين يدرك أنه صنع آلة رافعة تعمل على أكمل وجه.

هذا العامل وذاك المصور وذلك الطفل استخدموا جميعاً مصنوعات صممها آرتور فيشر المخترع الالماني العبقري وصاحب المشاريع الذي يجمع بين صفتين نادراً ما اجتمعتا في رجل، فهو الحالم والعملي في آن.

القابس الجداري البلاستيكي الذي أبدعه فيشر والمألوف لدى كل من تعيّن عليه أن يثبت برغياً في جدار، بات شيئاً عادياً حتى ليخيل الى الناس أنه بين أيديهم منذ القدم. والواقع ان فيشر صمم هذا القابس الصغير الذي يشبه رصاصة دقيقة مسننة الجوانب قبل ٢٧ سنة. ومنذ ذلك الحين بيعت منه مليارات. والوامض الضوئي المكعب (Flashcube) كان السابق للمكعب الحالي الذي يسمح للمصورين بالتقاط أربع صور في تعاقب سريع وقد بيع منه عدد لا يحصى في قارات العالم الخمس.

ولكن أحب هذه الاختراعات الى قلب فيشر مجموعة الالعاب التي يركبها الاطفال وتعرف باسم "فيشرتكنيك".

Photo: Wolf P. Prange

وهي سهلة التركيب بحيث يستطيع طفل أن يصنع منها سيارة سباق أو رجلا آلياً أو "منحوتة" تجريدية وسوى ذلك. ويعتبرها الخبراء أكثر الالعاب تنويراً للعقل في سوق الدمى. وهي غدت بالنسبة الى ملايين الاطفال جزءاً من حياتهم كما القفز فوق الخطوط ولعبة الاغماءة (الغميضة).

صاحب الحلول – قد يبدو الانتقال من القابس الجداري الى الوامض الضوئي ثم الى الالعاب قفزات منحرفة عن الهدف. ولكن يتضح منطق الامور حين يتعرف المرء الى هذا الرجل. فالطفل لا يزال كامناً في جنانه. آرثور فيشر رجل كث الحاجبين يضع نظارات طبية ويبلغ طوله ١٦٧ سنتيمتراً. ولا تفارق الضحكة شفتيه، فهو يضحك من نفسه ومن عجائب هذه الحياة وسخافاتها. وتلتمع عيناه حبوراً فيضرب رجله بكفه.

ولد فيشر في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩١٩ في قرية توملينغن الهادئة بين أشجار الصنوبر المخضلة في الغابة السوداء بألمانيا، لأب امتهن الخياطة في تلك الناحية. وهو ورث ميله الى الميكانيك عن أمه التي أنجبت عائلتها أجيالا من المهندسين. وكان في طفولته يقضي ساعات وهو يلهو بتركيب مجموعة ألعاب أو صنع محرك بخاري صغير.

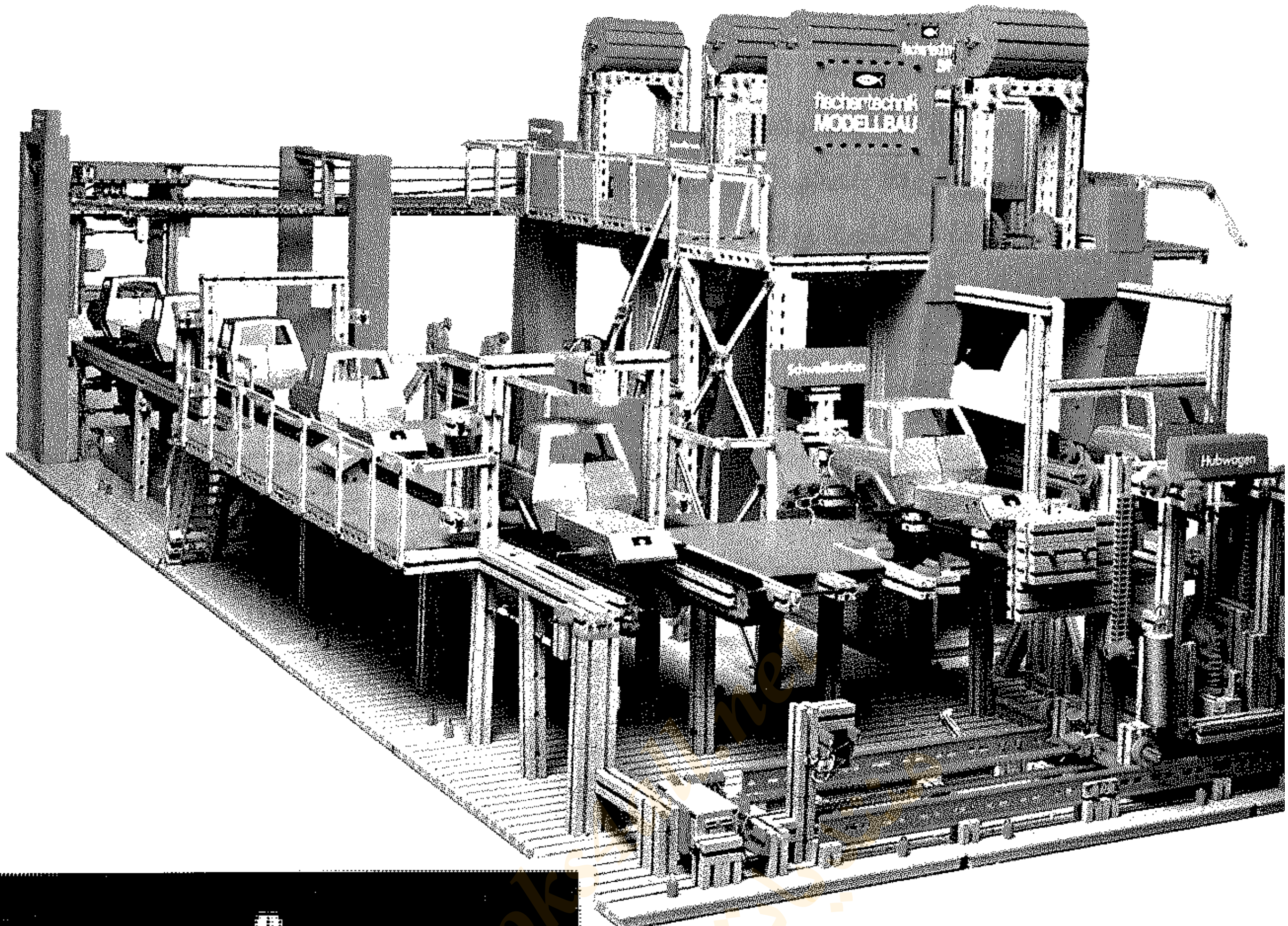
كان يطمح الى أن يصبح سائق قاطرة. ولدى بلوغه السابعة عشرة من العمر بعدما ترك المدرسة الثانوية وعمل فترة كمتدرب لدى صناع اقفال، ذهب الى محطة القطار في مدينة شتوتغارت وفتح الموضوع مع رجل يغطي السخام وجهه في قمرة قاطرة. وابتسم الرجل وقال للفتى: "أنصحك بالتخلي عن فكرة العمل كسائق قاطرة. ففي الشتاء تقاسي من البرد القارس وفي الصيف تقاسي من الحر اللاهب وطوال أيام السنة يظل وجهك مغطى بالسخام الاسود."

وبعد وقت قصير استدعي فيشر الى الخدمة العسكرية بصفة عامل صيانة. وفي عمله نال اعجاب رؤسائه في ايجاد حلول عبقرية لمعضلات فنية بدت عاصية لكل حل. كان يصلح محرك طائرة بقطع غيار بديلة موقتة في برهة قصيرة فيتيح لها أن تتأهب للطيران ثانية.

وبعد عودته الى قريته عام ١٩٤٦ تزوج حبيبة طفولته ريتا. ولكي يقوم بأودهما عمل في اصلاح الاعطال الكهربائية وصنع قداحات كهربائية كان يقايضها بالخبز والبيض واللحم.

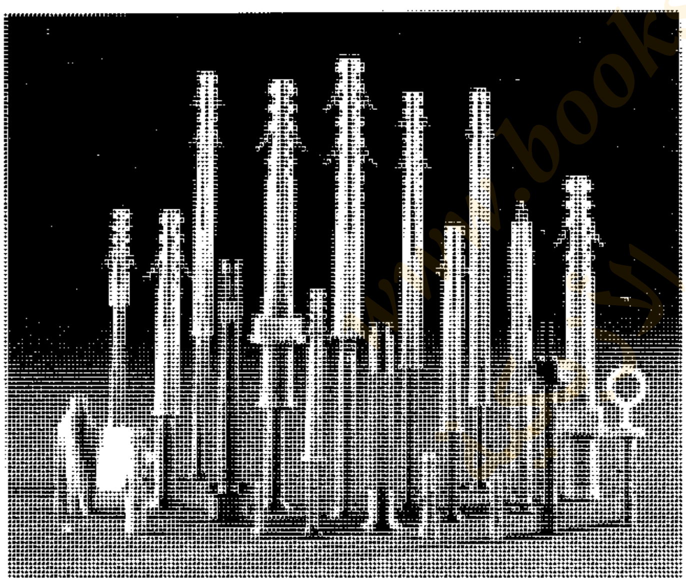
وأعلن مصنع حياكة حاجته الى شخص يصنع جهازاً يوقف النول كلما انقطع الخيط. واستعار فيشر مثقباً ومخرطة وصنع انموذجاً بدائياً في مشغل صغير استأجره، واستخدم في صنع الملامسات الكهربائية نحاساً استخرجه من قذيفة مدفعية قديمة. وبعد أسابيع قليلة أصبح فيشر صانع مفاتيح كهربائية يساعده في العمل نحو ٢٠ عاملا.

عبقرية البساطة – عام ١٩٤٧ ولدت ابنته مارغو، وأحب الوالدان الفخوران أخذ صور لها. لكن بيتهما كان مظلماً، والوامض الضوئي المتوافر في ألمانيا



أنموذج خط تلحيم هياكل السيارات.

آنذاك من النوع البدائي الذي تشتعل فيه عبوة من المغنيزيوم على طبق معدني. وكان الامر يتطلب مهارة فائقة وحظاً حسناً لكيْ ينجح المصور في اشعال العبوة في اللحظة التي يعتق مصراع آلة التصوير. ولذا صمم فيشر آلة مزامنة تعتق المصراع وتشعل العبوة في اللحظة عينها. وأصبحت براءة هذا الاختراع واحدة بين أكثر من أربعة آلاف أخرى سجلها فيشر. وفي العالم ١٩٥٠ لفت نوع محسّن من هذا الوامض شركة "أغفا" الجبارة في ميدان التصوير. وهو كان، قياساً على أجهزة هذه الايام، ضخماً وذا عاكسة من الالمنيوم في حجم صحفة الحلوى. ولكن في ذلك الحين لم يكن هناك ما يضاهيه، فطلبت الشركة من فيشر ان يزودها ٢٠



مجموعة قوابس جدارية بلاستيكية وفولاذية.

ألفاً منه على الفور و١٠٠ ألف أخرى في غضون السنة التالية.

استخدم فيشر كل العمال الذين أمكنه أن يجدهم في توملينغن. وعمل الجميع ساعات اضافية، بما في ذلك أيام السبت والاحد لتلبية طلب الشركة.

Photos: Fischertechnik

وظل فيشر يزود "أغفا" هذه الاجهزة طوال ٤٧ سنة. وكان يطورها لتغدو أصغر حجماً وأخف وزناً. وأخيراً عام ١٩٦٣ حصل على براءة اختراع وامض هو سلف الوامض الحالي المكعب الشكل الذي يطرح بعد الاستعمال. وهو عبارة عن مجموعة مصابيح حول قاعدة دوارة ذات عاكسات في الداخل. وباع الاختراع الى شركة "أغفا" بمئة ألف مارك ألماني (★).

وازدهرت شركة فيشر، لكنه بقي يحس بضعف موقعه كمتعهد صغير ازاء شركة ضخمة. ولتنويع منتجاته أخذ يصنع قوابس الجدران بموجب اجازة من شركة بريطانية. لكن تلك القوابس كانت كبيرة ومعقدة وكثيراً ما تسقط من الثقوب. وهكذا تناقصت الكميات المطلوبة، فعمد فيشر الى تصميم قابس من النايلون أصغر حجماً وله أسنان تنغرز في جوانب الثقب فيبقى القابس ثابتاً في مكانه سنوات عدة.

واليوم ينتج مصنع فيشر ملايين من هذه القوابس يومياً في مئات الاشكال والاحجام. والمدهش بين هذه قابس الأمان "زيكون" الذي يتطلب ثقباً لا يتعدى قطره ٤٠ مليمتراً ومع ذلك يصمد تحت ثقل يبلغ ١٤٠٠ كيلوغرام. وهذا النوع استخدم في شتوتغارت لتعليق ألواح حجرية على واجهات مبنى من بضع طبقات. وينصح فيشر المخترعين الطامحين: "لا تضيعوا وقتكم في صنع سفن فضائية متطورة، من الافضل لكم أن تصمموا شريط حذاء لا تنحل عقدته على الدوام."

فيزياء للاطفال - ولدت مجموعة ألعاب "فيشرتكنيك" قبيل عيد الميلاد عام ١٩٦٤ بينما كان فيشر يستحم في الصباح. وكان تملكه القنوط من أصناف الهدايا التي يقدمها الى زبائنه لمناسبة عيد الميلاد عاماً بعد عام من تقاويم ومفكرات وأقلام. فقرر أن يبدع شيئاً مختلفاً يقدمه اليهم هدية يأخذونها الى منازلهم ويهدونها الى أطفالهم. وفي دقائق نضجت الفكرة في رأسه: مجموعة مكعبات من البلاستيك ذات أخاديد ونتوءات تلصق الواحدة بالاخرى في أي جنب. وأضاف في ما بعد محاور تدخل الاخاديد وألواحاً وعجلات. وهكذا أصبح في الامكان تركيب القطع في أشكال لا يحصرها عد.

أول انتاج سنوي من هذه الالعاب قدّم هدية الى مؤسسة خيرية لرعاية الاطفال المعاقين. وفضلا عن مساعدة المعاقين على تطوير قدراتهم في استخدام أيديهم، استهوت هذه الالعاب الاطفال الى حد جعل فيشر يفكر في انتاجها تجارياً.

واليوم تبيع الشركة أكثر من نصف مليون مجموعة سنوياً في ١٧٦ نوعاً تضم ما مجموعه ١٥٠٠ قطعة مختلفة. ومعظم القطع يستخدم في أكثر من غرض، وجميعها يتآلف بعضه مع بعض. والى المحركات والعجلات هناك مفاتيح ومضخات وأجهزة قيادة وصمامات وعشرات الاجزاء الاخرى لاجهزة حركية مائية وهوائية والكترونية. وتقدم

(★) الدولار الامريكي يساوي اليوم نحو ٢،٥ مارك.

المجموعات كل ما يحتاج اليه الطفل لصنع انموذج سيارة أو جرس انذار أو سيارة اطفاء وأي شيء يمكن أن يحلم به.

وهناك مدارس عدة تستعين بهذه الالعاب لتعليم الاطفال المبادىء العلمية. ففي هيدلبرغ مثلا طلب من أطفال في التاسعة أن يصنعوا عربة ذات عجلات يمكنها أن تقطع أطول مسافة في خط مستقيم بعد أن تنحدر على لوحة خشبية مائلة. وكانت الغاية تعليم الاولاد مبدأ الاحتكاك في الفيزياء.

الشراقة الرئيس – منذ ولادتها نالت ألعاب "فيشرتكنيك" جوائز عدة في أنحاء العالم بما فيها "أوسكار الالعاب" في فرنسا وجائزة "شبيل غوت" الالمانية من "اللجنة العاملة على الالعاب الجيدة". وبين الاشادات التي يعتز بها فيشر كثيراً اطراء جاءه من فرنر فون براون راعي برنامج الفضاء الامريكي. ففي العام ١٩٦٨ أرسل فيشر مجموعة من ألعابه الى بيتر ابن فون براون كهدية لمناسبة عيد الميلاد. وكتب اليه العالم الشهير: "لقد تفهت جميع هدايا الميلاد الاخرى ازاء هديتك غير العادية."

ولا يقتصر هوى هذه الالعاب على الاطفال. فالقطع مصنوعة بدقة متناهية – حتى ٢ في المئة من المليمتر – بحيث أضحت تستخدم لصنع نماذج لآلات ومصانع. وفي مونشنغلادباخ صنعت شركة "شرمان" للمعدات أنموذجاً دقيقاً لخط تجميع تبلغ كلفته ٢٥ مليون مارك ألماني. وصممت شركة "أودي" في انغولشتات منصة تجارب لصدمات السيارات بمجموعة من ألعاب فيشر، كما صنعت شركة "رينو" الفرنسية للسيارات وشركة «BBC» في هيدلبرغ نماذج لخطوط النقل. وفي أليسوند بالنروج صنعت "موروغ رومسدال انجنيوروغسكول" انموذجين طبق الاصل لمصعد ورجل آلي.

وعلى رغم نجاحه ظل آرثور فيشر رجلا قنوعاً. انه يقطن بيتاً متواضعاً يبعد ١٠٠ متر فقط عن مصنعه. ومن الرفاهيات القليلة التي يتمتع بها سكة قطار بخاري صغير أقامها في جوار مركز أبحاث الشركة الذي شيّد حديثاً. وهو يقضي جزءاً كبيراً من وقت فراغه مع أحفاده على متن ذلك القطار، فيحقق حلم طفولته بأن يصبح سائق قاطرة. وتنتهي الرحلة وقد غدا الجميع سود الوجوه وفي منتهى السعادة.

واليوم يدير ابنه كلاوس الشركة، الا أن آرثور لا يزال رئيساً لمركز الابحاث. ففي عرفه أن أي يوم ينقضي من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوماً لم تشرق فيه الشمس. ويقول أحد مساعديه: "حين تشرق أسارير رئيسنا ندرك أنه هبط عليه الهام جديد."

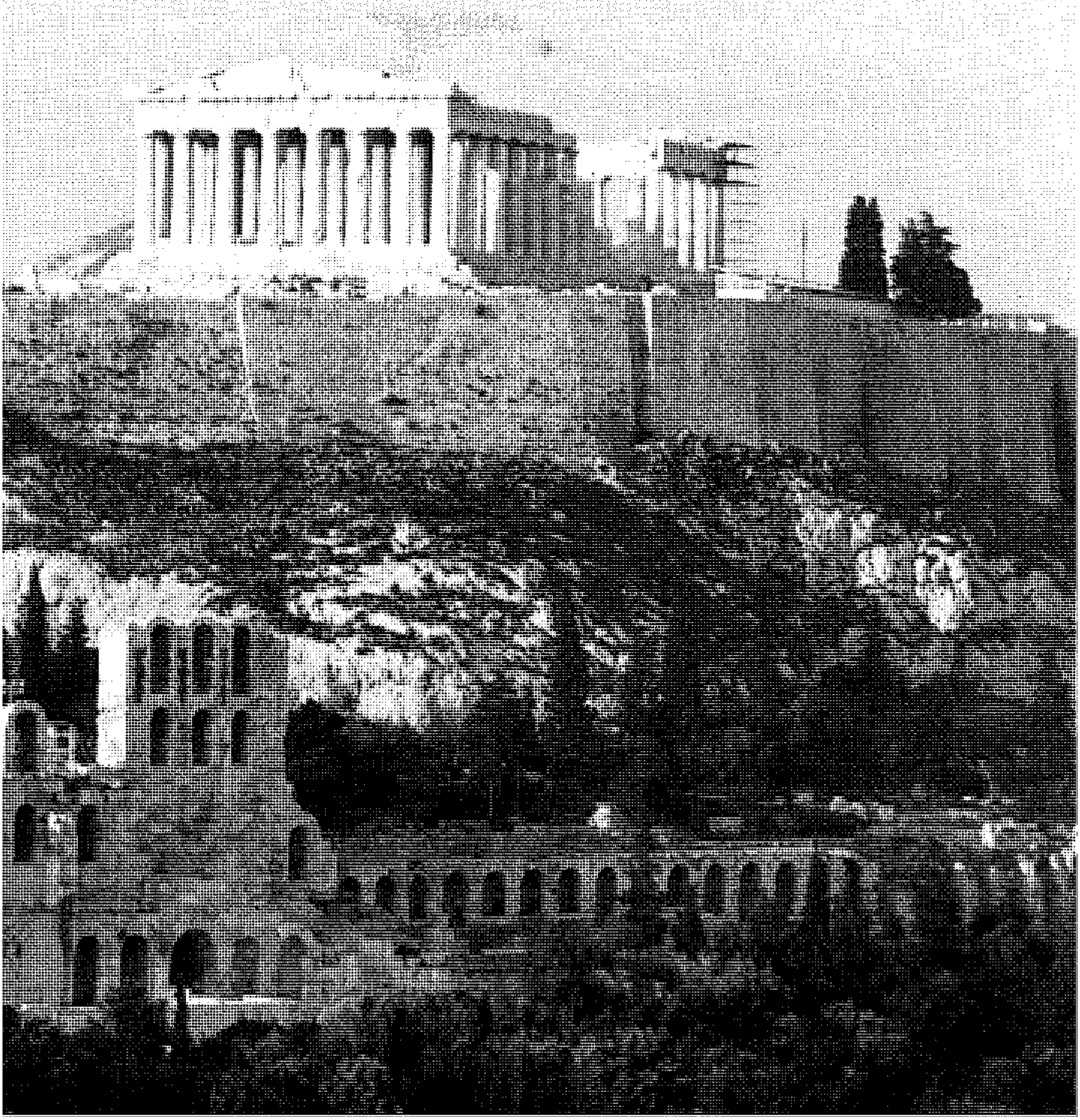
كريستوفر ماثيوس ■

الفرح أقوى من السعادة. واذا كانت السعادة حصيلة كسب وقتي، فالفرح هو النور الذي يملأنا على الدوام ايماناً ورجاء ومحبة.

إ. ر.

الأكروبول في «العناية الفائقة»

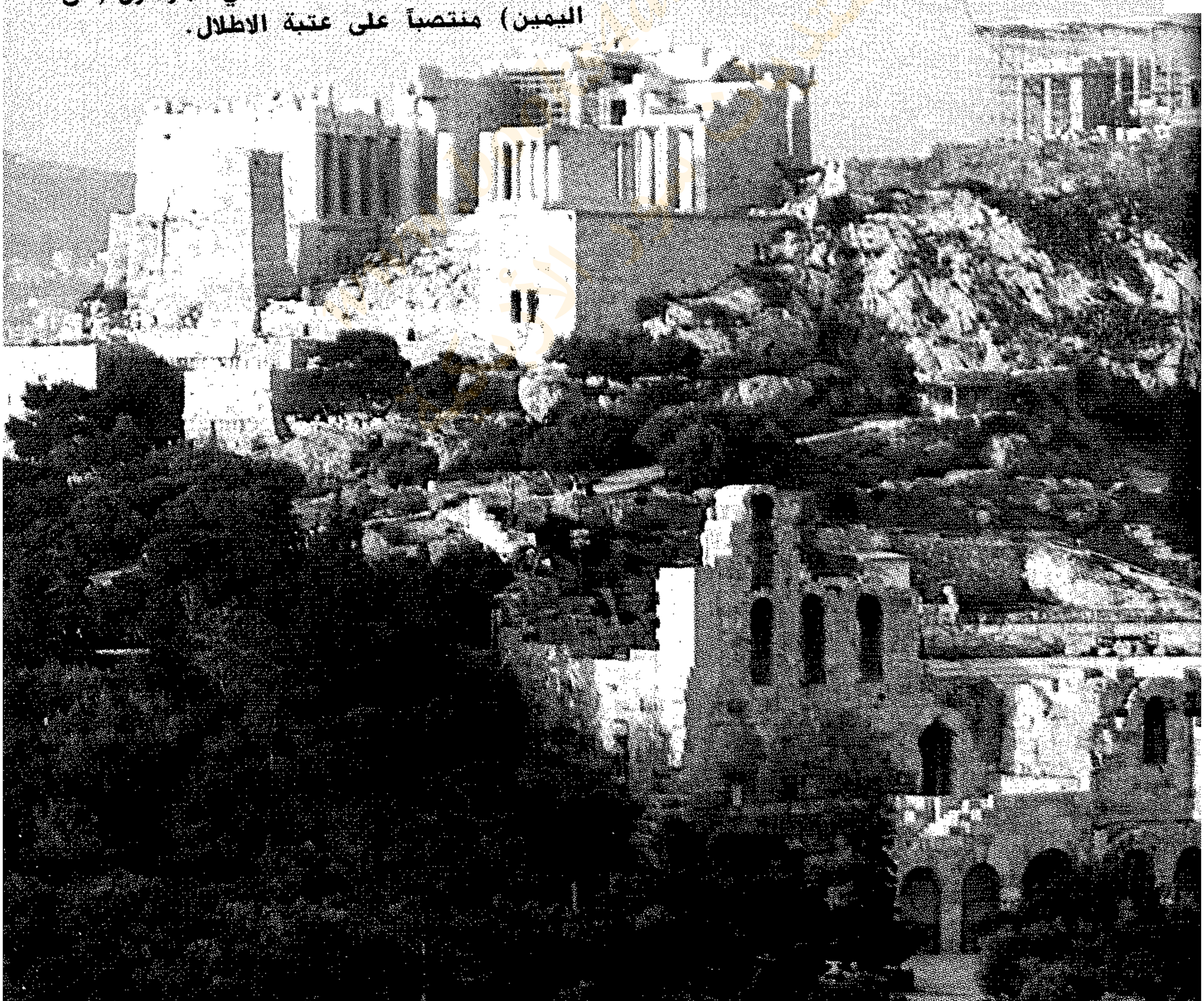
آثار الاكروبول التي وقعت ضحية الانسان والطبيعة تعاد اليوم الى سابق جلالها



في أوائل العشرينات من القرن التاسع عشر عند بدء حرب الاستقلال، ثار اليونانيون على الاتراك الذين حكموا بلادهم قرابة أربعة قرون. وبعد قتال ضار لجأ الاتراك الى قمة الاكروبول، تلك الكتلة الصخرية المطلة على سهل أتيكا. وهناك تحصنوا في كنف البارثنون الذي بني في القرن الخامس قبل الميلاد تكريما لشفيعة المدينة أثينا. وهذا الهيكل يعتبر أعظم عمل هندسي كلاسيكي اغريقي ورمزاً حقاً للمدنية والديموقراطية في العالم الغربي.

الاتراك في يأس. ذخيرتهم نفدت، فشرعوا يجردون جدران المعبد الرخامية لنزع الصفائح الرصاصية التي تكسوها عن الاوتاد المعدنية القديمة. وكانت هذه استراتيجية ممتازة غير مقصودة ذعر لها اليونانيون فطلبوا وقفاً فورياً للنار. والذي أذهل الاتراك أكثر أن اليونانيين بعثوا الى الاكروبول بامدادات حربية سخية. وبعد ذلك أستؤنف القتال.

الاكروبول المرتفع ٨٠ متراً فوق سهل أتيكا كان موضع اجلال الاثينيين منذ غابر الازمنة. واليوم بعد ٢٥ قرناً من التفتت والهزات الارضية والانفجارات والامطار الحمضية بقي البارثنون (الى اليمين) منتصباً على عتبة الاطلال.



واليوم عاد اليونانيون الى الكفاح من أجل صيانة الاكروبول وتحفه الكلاسيكية العظيمة الاربع: البارثنون، والاركثيوم، وهو هيكل صغير، والبروبيلايا، وهو مدخل خلاب، وهيكل صغير لطيف.

وأخذت الحكومة اليونانية على عاتقها، بجهد طموح يكلف ملايين الدولارات ويقتضي عقداً من الزمن، ترميم البارثنون الذي أصبح بعد خمسة وعشرين قرناً في حال عليلة جداً. فعبر السنين تضررت حجاره وأعمدته الرخامية من جراء الحروب وتشققت نتيجة النيران اللاهبة وتزعزعت بتأثير الهزات الارضية. ومنذ أواسط الخمسينات أحدث فيها تلوث الهواء تأكلات مخيفة.

وربما أسوأ من كل ذلك ما عانته على يدي المهندس اليوناني نيقولاس بالانوس الذي كان شغوفاً بآثار الاكروبول فقضى السنوات الاربعين الاولى من هذا القرن في محاولة تحصين البارثنون والاركثيوم ضد عاديات الزمن.

وفكّك قسماً كبيراً من أجزاء هذين الاثرين وأعاد جمعه مثبتاً حجارة بأطواق ومسامير، لكنه استعمل لسوء الحظ فولاذاً خاماً. وتضخمت تلك الاطواق والمسامير بفعل التأكل خلال أربعين سنة، فكانت النتيجة أن تهشم الرخام الذهبي المقتطع من جبل بنتليكون الشهير برخامه.

لكن اليونان الآن هي في صدد اصلاح العطل. وبعد عشر سنين من الجهد الخلّاق الدقيق أصبح ترميم الاركثيوم قريباً من النهاية، وبدأ العمل في البارثنون وهو أصعب المهمات وأدقها.

أحجية الصورة المقطعة – كلمة "أكروبول" (accropolis) اليونانية تعني مدينة محصنة تعلو كل ما عداها. وقبل تشييد البارثنون بزمن بعيد كانت تلك القمة الصخرية الاثينية قلعة دفاعية ومحراباً. وعام ٤٨٠ قبل الميلاد حوّل الجيش الفارسي المعابد والنقوش والكنوز الفنية أنقاضاً. ولكن بعد عقود قليلة استيقظ العالم الاغريقي على عهده الكلاسيكي الاكثر اشراقاً في تاريخه، فانطلقت فكرة الديموقراطية وظهرت أثينا مدينة ذات سلطان طاغ في حلف دول الاغريق. وازدهرت الفلسفة والفنون فكان عالمها جديداً ولكنه اقتضى مجداً يتوجه.

كان الجواب: البارثنون، وهو الهيكل المشيد تكريماً لاثينا بنت زفس. واشترك في بنائه ثلاثة موهوبين: بيريكليس حاكم اليونان الحكيم الذي أجاز المشروع، وصديقه فيدياس أشهر نحاتي العالم القديم الذي أشرف على البناء وصمم النقوش، وإكتينوس الذي أبدع البناء الرخامي المتناسق الذي لا يزال مبعث وحي للمصممين الحديثين.

المهندس المشرف على الترميم هو مانوليس كوريس، (٣٧ عاماً). وهو رجل حيي دمث ناحل الجسم تحوط عينيه خطوط نتيجة تعرضه للشمس ساعات طويلة. وليس في العالم أحد سواه يفهم البارثنون كما يفهمه هو. انه قاس كل سنتيمتر من الهيكل ووضع لائحة بكل حجر ونقب عن كل ما كتب حوله في قصاصات جمعها من مئات المصادر، لأن ما كتبه البناؤون لم يبق منه شيء.

أهم الادلة يأتي من الحجار ذاتها. الشقوق العميقة في العمودين القائمين في منتصف الواجهة الغربية تحدّث عن عضادات الابواب الخشبية التي أحرقها البرابرة التوتونيون في القرنين الثالث والرابع. والتغير الخافت في لون الرخام يحكي عن تحرك الحجار بفعل الزلازل القديمة. والثقوب التي هي في حجم اطباق الطعام والظاهرة على الاعمدة الجنوبية تشهد على قنابل الفينيسيين (اهل البندقية) التي كانت تطلق من منحدرات التلال المجاورة في القرن السابع عشر.

هذه القنابل كانت مقدمة لنكبة موروسيني. وكان فرنسيسكو موروسيني حاكم البندقية قاد جيشاً وحاصر الاكروبول عام ١٦٨٧. واذ علم أن الاتراك جعلوا البارثنون مخزناً لذخيرتهم أمر بقصفه، لكن القنابل لم تقو على اختراق السقف الرخامي الكثيف. غير أن قنبلة واحدة نفذت من كوة ففجّرت البارود واندكّ السقف بكامله وتحطمت غالبية الجدران الداخلية وسقط عدد كبير من أعمدة الجانبين الشمالي والجنوبي. وفي لحظةٍ تحول ذلك الهيكل أنقاضاً.

وسيجرى الترميم طوال السنين العشر المقبلة على مرحلتين: علاجية وترميمية. في المرحلة العلاجية ستهدم الحجار التي عالجها بالانوس وتبدل بمساميرها وأطواقها الفولاذية المتأكلة مشابك جديدة مصنوعة من معدن التيتانيوم المقاوم للتأكل. أما الاجزاء الرخامية المفقودة فسيؤتى بمثلها من الجبل الذي اقتطعت منه.

وفي المرحلة الثانية سيكون العمل أشد اثارة. فالحجار التي تناثرت حول البارثنون، وعددها يقارب الألف، ستعاد الى مواضعها الاصلية التي يعرفها كوريس بالتحديد. وهو يقول: "ان هذا العمل يشبه أحجية الصورة المقطعة. ولكن لا صورة هنا، ولا القطع كلها في متناول اللاعب."

واذا كان جمع قطع غير كاملة لاحجية مضى على نشوئها ٢٥ قرناً لا يعتبر تحدياً قوياً، فكيف بتحريك صخور يزن الواحد منها أكثر من عشرة أطنان؟ لقد ساعد كوريس على تصميم رافعة تنشل أكثر من ١٣ طناً أي بزيادة طن واحد على وزن كبرى عتبات البارثنون. وركّبت هذا الرافعة على قضبان سكة حديد فوق أرض الهيكل على بساط من الرمل والاسمنت والخشب. وللرافعة بكرات متينة لُفّ حولها شريط فولاذي اثنتي عشرة لفة، وبها تعاد الاعتاب والحجار الى مواضعها الاصلية.

الأحماض الآكلة – الاركثيوم الواقع في الجهة الشمالية من الاكروبول كان صالحاً كمختبر لتقنيات الترميم. فخلال السنوات السبع الماضية فكّك حتى أساسه ونُظّف من الحديد تماماً ثم جُهّز بمعدن التيتانيوم وبقطع رخامية جديدة وأعيد بناؤه من دون خسارة قطعة صغيرة واحدة.

أكثر من ٧٠٠ قطعة رخام وألوف الاجزاء الصغيرة انزلت من الاركثيوم. وقبل تحريك أي منها كان العلماء يفتشون عن مسامير بالانوس الفولاذية



عاملان يشتغلان بقطع الرخام الجديدة وسقالة البناء وراءهما.

بواسطة جهاز اشعاعي شديد الفاعلية يعمل بنظائر الكوبالت. ويُنزع الحديد والصدأ بأدوات خاصة ومواد كيميائية تذيب الرواسب الدقيقة المستعصية. ثم تبدل بالمسامير القديمة مُثبّتات من المعدن الجديد المقاوم للتأكل أكثر من الفولاذ المقاوم للصدأ بخمسمئة مرة.

الرخام الجديد والقديم المجموع جنباً الى جنب في جدران الاركثيوم يشكل ترقيعاً حجرياً. ومع الوقت تتمازج الالوان بحيث يصفرُّ الرخام الجديد ليصبح بالتألق الدافىء الذي اشتهرت به آثار الاكروبول. ولم تجرِ أي محاولة لتمويه الحجار، فكل واحد منها وسم بتاريخ نحته فجاءت، كما قال أحد النحاتين، نموذجاً أميناً لعلم الآثار.

ولكن ثمة مشكلة حجبت الجهد الذي تم به الترميم هي أجواء أثينا الحمضية. فبعدما كان هواء المدينة يعتبر أنقى هواء في العالم اذا به اليوم يغدو شديد التلوث، علماً أن نصف سكان اليونان تقريباً يعيشون في أثينا وضواحيها، وأكثر من ٦٠ في المئة من صناعات البلاد قائمة هنا، اضافة الى نحو ٨٠٠ ألف سيارة تجوب طرق العاصمة يومياً مما يجعل الزوار في حال تذمر. ونتيجة ذلك يغطي الاكروبول ضباب سام مرئي مكوَّن من كميات كبرى من ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين ومركبات الهيدروكربون وهباءات أخرى.

أما العاملان الرئيسيان المسببان للتأكل فهما ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين، ومتى امتزجا بالماء تحولا مطراً حمضياً. أما اذا امتزجت الرطوبة المنخفضة بثاني أوكسيد الكبريت فذلك كاف لبدء عملية التكبرت التي تحوّل الرخام ذروراً جبسياً. والجدير بالذكر أن البيئة البحرية العالية الرطوبة كالتي في أثينا قاسية لا ترحم. لذلك سنّت الحكومة قوانين تشدد على الاّ يُحرق سوى الوقود الذي يحوي نسبة منخفضة من الكبريت، كما انها تثني المواطنين عن استعمال السيارات الخاصة. لكن ثمة حدوداً لما يعمله الاثينيون.

وكأن مشكلة الجو لم تكن كافية فاذا بعامل تفتت يظهر في آثار الاكروبول تثبّت منه عالمان ايطاليان عام ١٩٧٩. هذا العامل هو بكتيريا (جرثومة) تعيش على الرخام وتتغذى بالكبريت الذي في الهواء. وهي تحفر ثقوباً صغيرة في الرخام تسهل على المركّبات الكيميائية

الحمضية اختراق الصخر بسرعة غير عادية. ولانقاذ المنحوتات من هذه البكتيريا رشها الايطاليان بعقار يستعمل عادة لمعالجة اعتلال الجلد البشري. ويقول تيودور سكوليكيدس أستاذ الفيزياء الكيميائية في الجامعة التقنية الوطنية في أثينا وعضو لجنة صيانة آثار الاكروبول: "البكتيريا موجودة في كل جزء من الآثار."

ما هو الجواب؟

لا جواب الى الآن.

المنحوتات التي عولجت وضعت في صناديق زجاجية في متحف الاكروبول حيث طوقت بالنتروجين لمنع ازدياد التفتت. وموقتاً يبحث سكوليكيدس وزملاؤه عن طلاء متقن يفضل أن يكون مادة شفافة تمنع التأكل وتقاوم البكتيريا من دون أن تغيّر المظهر الخارجي لاي من الآثار.

وفي هذه الاثناء يسير العمل جاداً. الذين يرممون الآثار يقفون أنفسهم على ما هو أبعد من طموحهم واعتزازهم المهني، على الايمان بأن لا شيء في العالم يستطيعون تطبيق مواهبهم عليه أهم من هذا العمل.

في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨١ قبيل الحادية عشرة ليلا وقعت في أثينا هزة أرضية بلغت قوتها ست درجات وثمانية أعشار الدرجة. واذ تعرقل السير واستولى الرعب على الناس ارتقى كورّيس درجات الاكروبول المبللة بالمطر فوجد سلماً ومقياساً شريطياً وبقي بضع ساعات يتفحص البارثنون آخذاً قياسات دقيقة ومقدراً الخسارة ومتجاهلا احتمالا قوياً بحدوث هزة أخرى.

وبينما هو كذلك اذا بهزة أخرى تقع، لكنها كانت أخف من الاولى. فصعد الى أعلى البارثنون ليرى ما اذا كان توازنه اختل. ولما تأكد من أن كل شيء سليم أبلغ ذلك هاتفياً الى عدد كبير من أعضاء لجنة الترميم.

أما رئيس اللجنة جورج ميلوناس البالغ من العمر ٨٦ عاماً فقال: "كانت لنا جميعاً ليال في الاكروبول لم ننمها، لان المسؤولية كبيرة جداً. نحن لا نريد نتائج تدوم عشرين سنة أو ثلاثين فحسب، بل نريد أن نتثبت من دوامها مئتين أو ثلاثمئة سنة. وهذا ما يجب أن نكون نحن منه متأكدين."

طوني ليتون ■

مغامرات حبّوب

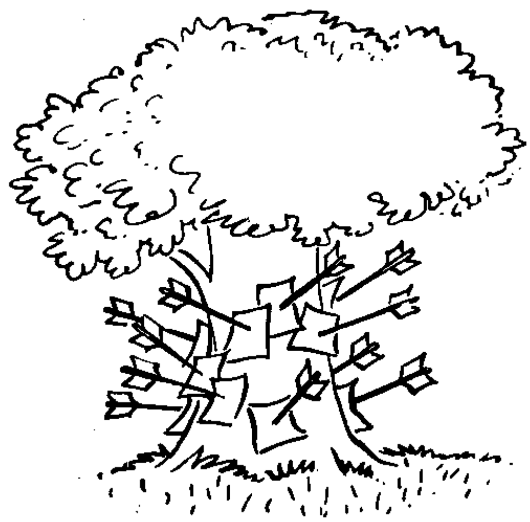
كان حبّوب فتى خجولا جداً. لذلك دُهش اصدقاؤه حين قال لهم انه سيقابل فتاة. وبعد ساعة امضاها استعداداً انصرف ليعود بعد نصف ساعة. فبادره احد اصدقائه: "هيا اخبرنا ما حصل."

– إنه لأمرٌ عظيم حقاً!

"وهل رأيتها؟"

– بالتأكيد رأيتها. وأؤكد لكم انها كانت هي أيضاً رأتني لو لم أختبئ خلف سياج.

ن.ف.



حكايات من العالم

تربية البطريق

أضخم طيور البطريق المائية حجماً هو "الامبراطور" الذي يعيش في القارة القطبية الجنوبية. ومن العسير جداً دراسته، إذ ان ذلك المكان هو أشد مناطق العالم صقيعاً وتعرضاً لهبوب الريح. والحرارة هناك قد تسقط الى ما دون ٨٨ درجة مئويّة تحت الصفر. لذلك حاول فريق من العلماء في كاليفورنيا تربية عدد من طيور البطريق لأهدافهم الاختبارية. ونجح مسعاهم بعد عقد من الزمن.

والفضل في نجاحهم يعود أكثر ما يعود الى دمية هي عبارة عن كلب كبير حُشي بالاسفنج واتخذ بديلا من الأم. وصغار البطريق الامبراطوري في القطب الجنوبي تستريح على أقدام أمّاتها مستمدّة الدفء والأمان. وقد خدم الكلب - الدمية هذه الغاية على خير وجه. وبات العلماء يحملون البيض عوضاً عن الفراخ من القارّة المهجورة، ويباشرون تربية البطريق منذ خروجه من القشرة.

مجلة "ناشونال وايلدلايف"

ضرائب متأخرة

تلقّت جمعية هونغ كونغ الفيلارمونيّة رسالة من مصلحة الضرائب تطلب تفاصيل عن حفلات أقامها في المستعمرة عدد من الموسيقيين الزوّار، وهم يوهان سيباستيان باخ وجيوفاني بوتيسيني وكميل سان سانس وجاك ايبير. ويبدو أن مسؤولي الضرائب حصلوا على الأسماء من ملصّقات دعائية. ولا شك في انهم جهلوا بعض المعلومات المهمّة، وهي أن ايبير توفي عام ١٩٦٢ وسان سانس عام ١٩٢١ وبوتيسيني عام ١٨٨٩ وباخ - أراحَ الله روحه - عام ١٧٥٠.

س. هـ.

شعارات على الواح

كل صباح في التاسعة ترفع أربعة ألواح كبيرة سوداء في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية. وقد سميت هذه الالواح "أكتب ما تشاء"، ويدعى سكان المدينة الى تناول الطبشور وكتابة ما يريدون على هذه الالواح بما فيها الملاحظات الشخصية والشكاوى والتعليقات السياسية فضلا عن الشعر.

وهذه التجربة الناجحة كانت الرد الناجع لسلطات المدينة على كاتبي الشعارات الذين دأبوا على تشويه جدران الابنية الحكومية ومعالم المدينة على نحو مريع بكتابة الشعارات عليها بالطلاء المرشوش.

ويقول رئيس البلدية مارسيلو النكار ان المدينة كانت تتكبد نحو ٢٥٠٠ دولار شهرياً لمحو هذه الكتابات. ويقر بأن السلطات قررت أن تعالج المشكلة بعدما بدأت وكالات الاعلان حملة دعائية للفت الجمهور الى هذه المناظر البشعة. والآن ترفع هذه الالواح يومياً وبالتناوب بين قطاعات المدينة.

وكالة "أسوشيتد برس"

شرطة الاوز

بعضهم يقول انها سخافة، لكن الطريقة التي لجأ اليها سكان بلدة غرنزنغ احدى ضواحي فيينا عاصمة النمسا لتخفيف سرعة القيادة، أقل ما يقال فيها انها مستغربة. فعندما وجد السكان أن الغرامات واشارات السير والمراقبة بالرادار لم تجد، أخذوا يستخدمون رفوف الاوز مع راع لها يقودها ذهاباً واياباً عبر الشارع الرئيسي على أمل تخفيف سرعة السيارات.

ويقول فرانز هنغل وهو صاحب حانة: "بعض السائقين يغضبون، لكنهم يخففون سرعتهم. وسنتابع هذا المشروع ونزيد عدد الاوز. انه الحل الافضل: رخيص وبسيط وفاتن."

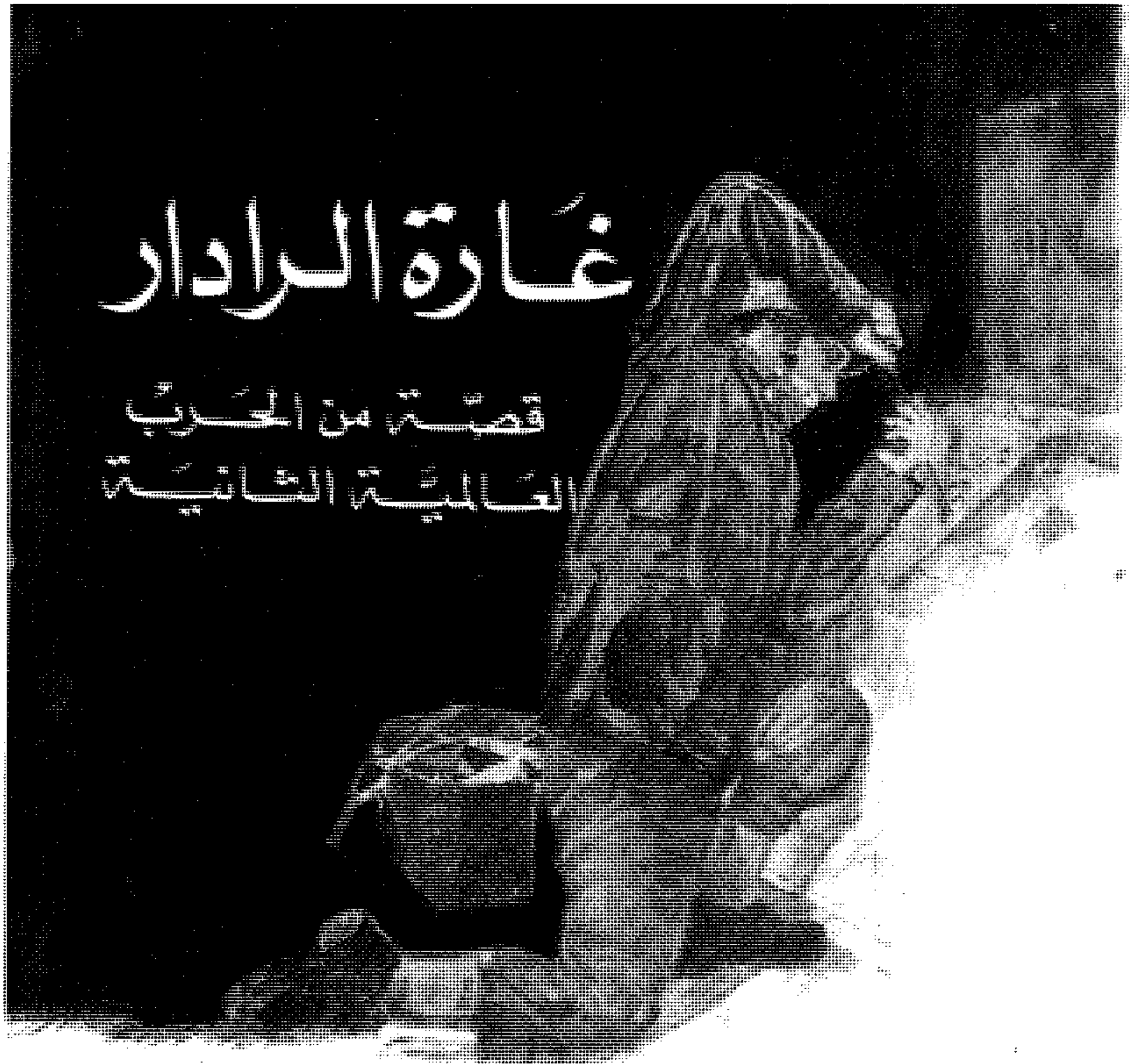
أ.ك.

العلم في مالي

يتجمع القرويون بانتظام في أنحاء مالي بافريقيا الغربية لسماع صوت مألوف يطرح أسئلة تتعلق بحياة القرية ويقترح الاجابة عنها ويدعو الى البحث فيها، وذلك بواسطة آلة تسجيل. هذه الندوات المسجلة تقدم نظريات عصرية في الصحة والزراعة والطاقة وسواها وتحافظ على التراث الثقافي للشعب. هذا البرنامج الذي تنظمه الهيئة الوطنية المالوية للفنون والثقافة بالتعاون مع منظمة التربية والعلم والثقافة التابعة للامم المتحدة (الاونيسكو) يوفر وسيلة لتثقيف الشعب الذي تبلغ نسبة الامية فيه ٩٠ في المئة، وذلك من طريق تعزيز التراث الشفهي في الاتصال والتعلم.

وتقول الفيا رستريبو المستشارة الفنية السابقة في هذا المشروع: "أعظم تشجيع لنا جميعاً كان ادراك هؤلاء الناس أنهم يستطيعون أن يتعلموا وان يكونوا غير قادرين على القراءة والكتابة. ويتلقى الاطفال أساساً للتعلم في المستقبل، أما الكبار فتتاح لهم فرصة أخرى فاتتهم من قبل."

أ.س.



غارة الرادار

قصة من الحرب العالمية الثانية

في يونيو (حزيران) ١٩٨٢ وفي حضور الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران أزاح ولي عهد بريطانيا الستار عن لوحة برونزيةٍ على جرفٍ يعلو مئة متر قرب قرية برونفال في مقاطعة النورماندي الفرنسية على بعد ١٩ كيلومتراً شمال مدينة الهافر. وأحيت الحفلة التي حضرها ألف شخص، ذكرى غارة جوية نفذت قبل أربعين سنة ووصفها الامير بأنها واحدة من أخطر عمليّات الحرب العالمية الثانية.
بعيد منتصف ليل ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٤٢ هبط ١١٩ رجلا في برونفال. وهنا قصة أحدهم.

"هكذا اذاً أيها الرقيب كوكس" قالها العميد في سلاح الجو فيكتور تيت بعذوبة مريبة، "لقد تطوعت لمهمة خطرة."

والرقيب تشارلز كوكس (٢٨ عاماً) ميكانيكي اتصالات في سلاح الجو الملكي. وهو لم يكن يعلم شيئاً عن مخاطبه، فاتخذ وضع التأهب مدهوشاً وقال: "لا يا سيدي."

وظهر العجب على العميد مدير الرادار في سلاح الجو الملكي وقال: "غريب هذا. ان اسمك مدرج بين المتطوعين." وساد صمت مربك، ثم تابع: "حسنا، هل تريد أن

Illustration: Cecil Vieweg. Diagram Tony Richards

تتطوع؟ لا يمكنني أن أخبرك ما هي المهمة، لكنني أعدك بفرصة لا بأس بها في النجاة."

كان كوكس القصير الناحل يعمل في حياته المدنية عارض أفلام سينمائية وهاوياً للراديو في بلدة ويزبيتش الريفية بمقاطعة كمبريدجشاير. وهو التحق بسلاح الجو عام ١٩٤٠ حين كان الناجحون في الامتحان التقني بالراديو يتقاضون خمسة شلنات يومياً بينما يدفع للملتحقين العاديين شلنان.

أما الان وقد استدعي بسرّية الى لندن من موقع الرادار الهادىء في شمال ديفون، فها هم يطلبون منه ان يصبح بطلا. ولم يكن لديه من الوقت ما يزن فيه الحسنات والسيّئات، فالعميد لا يزال في الانتظار.

ولكي يضع حداً للموقف الحرج بأي ثمن قال: "حسناً يا سيدي، انني أتطوع."

المغامرة – بعد أربعة أسابيع طالعت كوكس أولى دقائق الظلام من ليلة ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٤٢ وهو يغنّي "وردة ترالي" لتسعة رجال من كتيبة المظليين. وهم جلسوا في الهيكل المعدني البارد لطائرة مقاتلة من طراز "ويتلي" متوجهة الى فرنسا التي يحتلّها النازيون. وكان كوكس منذ قابل تيت رقي الى رتبة رقيب جوي وطار في رحلته الجوية الاولى وأدى ثماني قفزات تدريبية بالمظلة وركض كيلومترات وغطس في مياه البحر الثلجية لركوب زوارق الانزال.

وأطلقت نيران المدفعية المضادة للطائرات بلونين أحمر وبرتقالي فيما طائرة الويتلي، وهي واحدة من اثنتي عشرة طائرة تحمل كل منها ١٢ رجلا، تطير على علو منخفض فوق شاطىء النورماندي. وراقب كوكس خمسة رجال وهم يقفزون، ثم وجد نفسه مترجحاً في الهواء، وحط في الثلج الكثيف على رأس كلسي فوق قرية برونفال.

وتبعه في الهبوط صندوق معدني فيه حقيبة تحوي قواطع ومفكّات طويلة ومطارق وأدوات أخرى لانجاز العمل الذي جاء من أجله. وفيما راح أكثر من مئة مظلي يشغلون الالمان كان كوكس يسرقهم، يعاونه ضابط وأربعة من مهندسي السلاح الملكي.

طرأت فكرة الغارة على برونفال عندما رأى الدكتور ريجنالد جونس مساعد مدير الاستخبارات في سلاح الجو صورة استكشافية لشاطىء النورماندي تظهر هدفا في شكل اسطوانة كهربائية بلغ قطرها نحو ثلاثة أمتار. انه تجهيز راداري يهدي الانوار الكاشفة والمدفعية الالمانية المضادة للطائرات مما يوقع خسائر في سلاح الجو الملكي. وبعد جهود مضنية من الاستطلاع العلمي عرف جونس وزملاؤه الكثير عن الرادار الالماني. ولكن اذا هم سرقوا الجهاز، كما أوصى جونس، فانّ فحصاً دقيقاً له قد يكشف لهم أفضل وسيلة لشلّه أو تزويده معلومات خاطئة. وكان الموقع على قمة الجرف، وهناك شق كبير في الارض يؤدي اليه من الشاطىء تحته. وأشار جونس باصبعه الى الموقع في الصورة: "في امكاننا الوصول اليه."

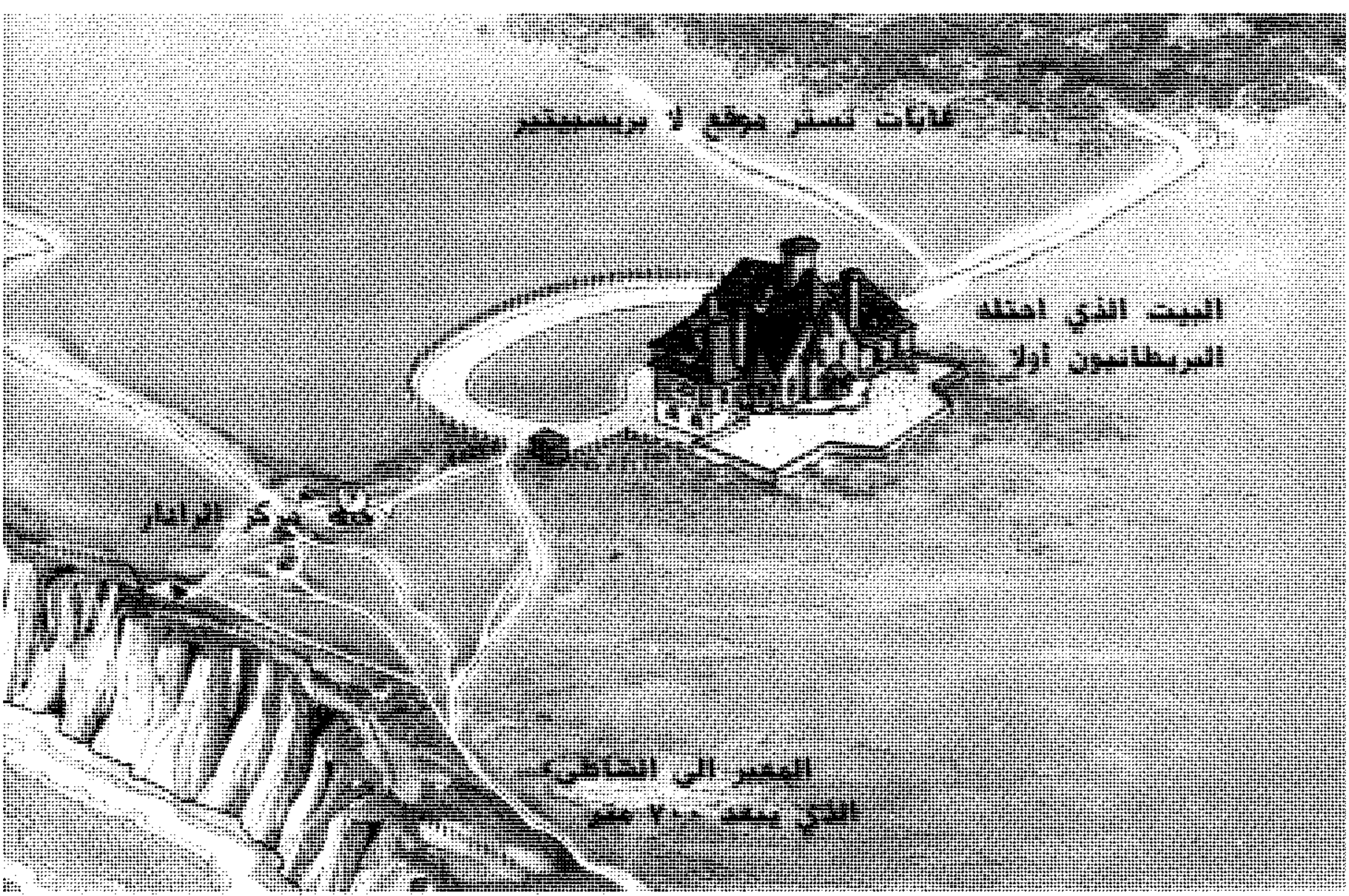
وهكذا، في الثلج المضاء بنور القمر خلف تلة غير عُالية، جثم كوكس غارقاً

في مغامرة من النوع الذي شاهده عشرات المرات على الشاشة الفضية من حجرة تشغيل آلات العرض.

التنفيذ - بدا المشهد مألوفاً جداً وقد درسه كوكس على نموذج من عجائن الورق خلال التدريب. وكان رادار "اسطوانة النار" في العملية التي اطلق عليها الاسم الرمز "هنري" قائماً قرب حرف الجرف على مسافة تقل عن ٦٠٠ متر. وعلى بعد حوالى ١٥٠٠ متراً في البر لاح بيت كبير. وفي الغابات وراء البيت عدد من مباني المزارع عرفت باسم "لا بريسبيتير" أقام الالمان فيها مقرّاً. وراح كوكس والمهندسون الخمسة يراقبون المظلّيين وهم يتحركون فوق الثلج في ثلاث مجموعات للهيمنة على لا بريسبيتير، وتطويق البيت واخضاع حرّاس هنري.

ودوى صوت صفارة عكر السكون. انه أمر الهجوم من الرائد فروست وقد اقتحم البيت. وعلى طلقات رشاشات "ستن" ركض كوكس والمهندسون صوب الارض الوعرة وهم يلعنون ثقل العربة التي ألقيت من الجو، وهي صندوق ذو عجلات. وما ان وصلوا الى هنري حتى فتحت نار المدافع الرشاشة من لا بريسبيتير.

وفيما مفكّ البراغي يدور بين أصابع كوكس لاحظ أن الجهاز مصنوع من اجزاء تتداخل آلياً فيسهل ابدالها وارسالها الى المصنع للتصليح. وهو نظام سهّل مهمته. وفي الوقت نفسه سجل الجزء الآخر من تفكيره أن الرصاص الحقيقي لا يئنّ كما في الافلام. انه يهمس وهو يمرّ متخطّياً



أذنيه. انه صوت سيظلّ قادراً على تذكّره وتقليده حتى اليوم الاخير في حياته.

أمل كوكس ان ينزع الاجزاء سليمة، لكنَّ جندياً قتل وجرح آخرون. وراحت الاصوات تتعالى مطالبة الفريق بالاسراع. ومضى كوكس في عمله. أما الاجزاء التي كان عليه أن يتركها فقد راح مهندس ينتزع منها صفائح معدنية تحمل الارقام التسلسلية وتواريخ الانتاج، وهي تدل على عدد الاجهزة المنتجة في شهر.

وكان جهاز الارسال، ذو الاهمية الكبرى، مثبتاً ببراغٍ في تجاويف عميقة. فقال كوكس لكبير المهندسين: "ان اطول ما لديّ من مفكات البراغي لا يصل اليها." وراحا يترجحان معاً على ساعدي الجهاز فيما مضى مهندس يخلخل الجهاز بعتلة (مخل) حتى تخلّع.

واشتدت نار بنادق الالمان وغدت أكثر تصويباً. وتراءت على الطريق من الهافر أضواء آليات تحمل تعزيزات. وبعد مضي ٣٠ دقيقة من الدقائق الثلاثين المقررة للعملية حان وقت الذهاب. وأعطى فروست الامر بالانسحاب الى الشاطىء على بعد ٧٠٠ متر حيث كان مفترضاً ظهور قطع بحرية تتولى نقل المغيرين الى الوطن.

الخطر المحدق - حمل كوكس ورفقاؤه المقطورة التي وضعوا فيها الاسلاب وراحوا ينزلون المنحدر. وهو كان أكثر انحداراً مما بدا على النموذج وأكثر تسبباً في الانزلاق بفعل الثلج غير المتوقع. وطرح الرجال المقطورة وراحوا ينزلقون وغنائمهم في أيديهم.

ودوّى انفجار شديد وراءهم علم منه كوكس أن أحد حرس الانسحاب فجّر بقايا هنري لاخفاء السرقة وتضليل الاعداء كي يعتقدوا ان البريطانيين انّما جاؤوا للتخريب فقط. ثم انصب رصاص البنادق والرشاشات من دارة محصّنة وراء المنحدر. واخترقت رصاصات الجسم المعدني لجهاز الارسال بين يدي كوكس ومزقت احداها حذاءه وخدشت أصابعه. وصاح صوت من الشاطىء: "لا تنزلوا، ان الشاطىء غير آمن."

وبدا المخطط خطأ فادحاً يكاد ينقلب كارثة. كانت طائرتا الويتلي أصيبتا بنار المدفعية وأخطأ الطياران تقدير الموقع. والنتيجة أن عشرين رجلا، وهم نصف الذين عهد اليهم في تأمين الشاطىء، أنزلوا على بعد حوالى كيلومترين وتعين عليهم أن يشقّوا طريقهم عبر القرية للاتصال بالآخرين. وسُمر فريق الشاطىء بالنار الالمانية المنطلقة من خنادق حَول الدارة المحصّنة. وتقدم الالمان بحذر من لا بريسبيتير وراحوا يطلقون النار من البيت وراء هنري. وبدا أن المغيرين وقعوا في المصيدة.

هنا سمع كوكس صرخات الحرب الاسكوتلندية وانفجارات القنابل اليدوية على المنحدر المقابل. لقد وصل المظلّيون المتخلّفون واستولوا على الدارة من الخلف.

واصبح الشاطىء سالكاً، وأمن أحد المهندسين الطريق بكاشف ألغام. لكن الرجال لم يلمحوا علامة لزوارق البحرية.

وتجمهر المغيرون تحت الجرف مكشوفين يحدّقون من خلال ضباب البحر

منصتين علهم يسمعون صوت محركات. وهم عرفوا أن الوقت يركض ضائعاً. حتى اشارة الراديو من السفن تعذر عليهم التقاطها. ولم يظهر أي رد على الاضواء الصادرة من مصابيح كانت تضيء وتخبو في أيديهم.

وبدأت ثقة كوكس تتداعى وهو رابض تحت الجرف. وفكر في أن الجيش الالماني المنتشر على مئات الكيلومترات سيطبق عليهم من كل اتجاه.

وعلت صرخة كأنها البشير: "بارك الله البحرية!" ومن الضباب برزت ستة زوارق انزال. وامحى التوتر واندفع الرجال الى الزوارق. وكان الالمان عاودوا هجومهم. وتفجرت قذائف الهاون ودوت مدافع الفرق المنجدة فصمّت آذان الرجال عن الاوامر التي راح يبثها ضباط البحرية في مكبرات الصوت للاسراع في الركوب. وامتلأ الزورق الاول الذي كان فيه كوكس والجرحى وبات يحمل فوق طاقته فغاص واستقرّ على الرمل. وتعين على الركاب أن يقفزوا الى الماء ويدفعوه ليعوم. ونقل كوكس الى زورق مدفعية في أول رحلة بحرية في حياته. وأصيب بدوار حادّ. وحمله البحارة الى قمرة القبطان وقدموا اليه كوباً من الكاكاو وشطيرة لحم. وحين أفاق وجد نفسه في بورتسموث ببريطانيا.

مهمة صغيرة — قتل اثنان من الجنود البريطانيين في برونفال وأسر ستة. وقتل خمسة ألمان وأسر اثنان.

ومن القطع التي جاء بها كوكس جمع خبراء الرادار البريطانيون ثروة من المعلومات. ويذكر الدكتور جونس أن غارة برونفال لم تعطِ البريطانيين فكرة متقدمة عن تقنية الرادار الالمانية فحسب، بل بينت لهم أيضاً امكان تضليل الجهاز بالتشويش. وهذا ما فعلوه بعد وقت قصير.

وجاءت الغارة بكسب اضافي، اذ سرعان ما عمد الالمان الى احاطة مواقع راداراتهم بأسلاك شائكة. ونبت العشب تحت هذه الاسلاك مظهراً دوائر على صور الاستكشاف لطياري سلاح الجو الملكي تحدد بدقة مواقع رادار العدو. وقبل أسابيع من اليوم المقرر للهجوم كانت الطائرات قادرة على تدميرها تماماً في أي لحظة. أما الرادارات التي أبقي عليها فزودت معلومات مضللة جعلت الالمان يعتقدون أن القوة الغازية آتية من شرق موقعها الحقيقي.

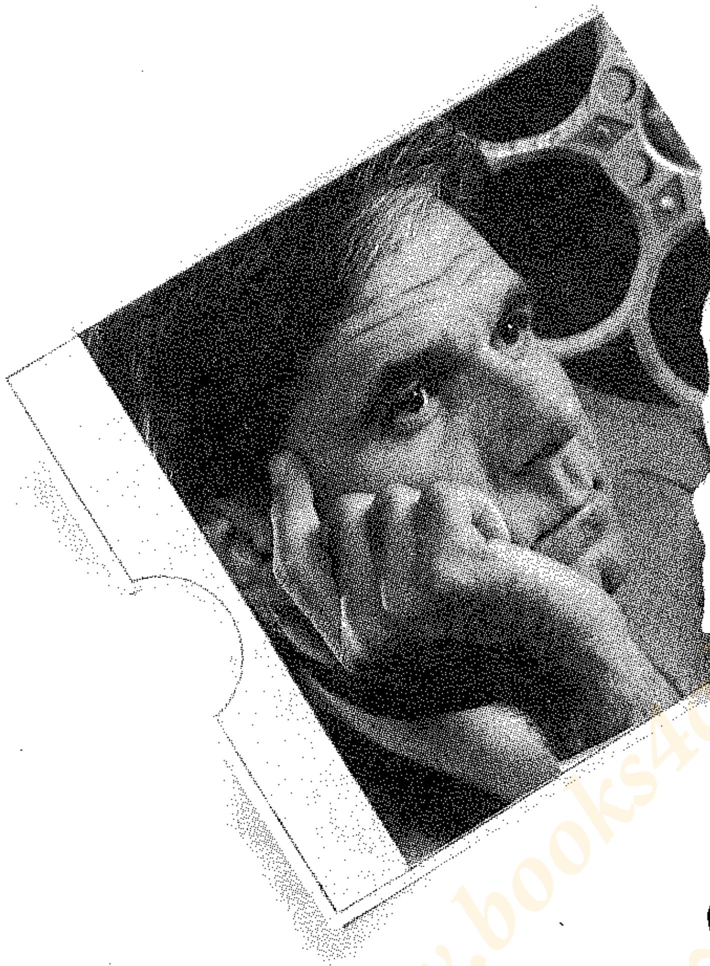
بعد بضعة أسابيع من تنفيذ غارة برونفال دخل تشارلز كوكس محلا لبيع الثياب العسكرية في لندن وطلب شريط الميدالية العسكرية. وأنزل البائع العجوز نظارته عن أنفه وتفحّص زبونه. فلحظ انه يحمل شارة المظليين المجنحة الزرقاء.

وسأله البائع: "أي مهمة أنجزت؟"

فأجاب بحياء: "مهمة صغيرة."

كوكس اليوم رجل نشط في الثانية والسبعين يملك محلا للراديو في وِيزبيتش ويعيش مع زوجته مارجوري يجمعهما حب المرح. ومنذ ذلك اليوم المشحون من فبراير (شباط) ١٩٤٢ لم يعترض حياته حادث يمكن أن يسمّى مغامرة.

جون أنيس ■



ناقد سينمائي أثارته الحال التي تدهورت اليها الافلام الامريكية فاستقال من وظيفته المرموقة.
وها هو يعرض مقترحات لاخراج أفلام أفضل

السّينما اليوم دمٌ وجنسٌ وبَذاءة!

انها خير وظيفة في العالم. كان ذلك رأي أناس كثيرين في وظيفتي. ولفترة كان ذلك رأيي أنا أيضاً. فكر في هذا: كان متاحاً لي أن أشاهد مجاناً كل ما أرغب في مشاهدته من الافلام السينمائية. وكان رب عملي يدفع كل المصاريف حتى ثمن المآكل الخفيفة التي أتناولها. وكانت الشركات السينمائية تنقلني جواً في مقصورة الدرجة الاولى على حسابها عبر الولايات المتحدة لاجراء مقابلات مع نجوم السينما والمخرجين. وكنت أنزل في أفخم الفنادق وتسدد عني جميع النفقات.

وظلت المقالات النقدية التي أكتبها طوال ثلاث سنوات ونصف سنة تذاع مع نشرة أخبار المساء من احدى محطات التلفزيون في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، وبلغ مجموعها نحو أربعمئة. وكانت وظيفتي مضمونة ما دمت راغباً فيها، بل قادراً على احتمالها.

Condensed from San Diego Magazine (January '85), © 1984 by
San Diego Magazine Publishing Co., San Diego, Calif. Photo: © Jim Coit

في الافلام التي كتبت عنها كان التأليف ومعظم التمثيل متوسطين أو دون المتوسط. ووجدت في تلك الافلام قليلا من الاصالة والايحاء والفكاهة الحقيقية والنماذج ذات الطابع الايجابي والمواضيع التي تحث على التفكير. ونتيجة ذلك كانت اشادتي بها واطرائي لها نادرين حقاً.

وكنت أتلقى تعليقات على مقالاتي النقدية من المشاهدين. وكان معظمهم يثني على صراحتي وانتقادي العنف والجنس والبذاءة المتفشية على شاشات السينما. واعتاد الناقدون الاعتراض على آرائي. وقد تعرضت لضغط من زملائي لكي أخفف من صرامة تعليقاتي.

وعلى رغم ذلك لم أتردد في ابداء رأيي صراحة. كنت أؤمن بأني أخدم المصلحة العامة عبر رفض هذا الدفق الغامر من القذارة والسخف الذي تمطرنا به هوليوود. وسارت الامور على نحو مرضٍ فترة كنت خلالها أقوى على مشاهدة الفيلم ونقده ثم، كما بدا لي، ازالة آثاره من فكري كلياً. وظننت أن ما كنت أشاهده لن يؤثر في نفسي.

وكان أشق جزء في عملي اختيار الافلام العشرة الاولى كل سنة. ونادراً ما كنت أجد أكثر من ستة يمكن اعتبارها رائعة حقاً. وهذا أمر لافت لان نحو ٣٠٠ فيلم جديد كان يعرض في الولايات المتحدة سنوياً. وكان بين أفلامي المفضلة "رحمات رقيقة" (Tender Mercies) و"إي. تي." (E.T.) و"بريكر مورانت" (Breaker Morant) و"الثعلب والكلب" (The Fox and the Hound) و"لا تصرخ: الذئب" (Never Cry Wolf) و"غريستوك: اسطورة طرزان" (Greystoke: The Legend of Tarzan) و"عربات النار" (Chariots of Fire) .

أما اختيار أسوأ أفلام السنة فكان شأناً آخر. كانت لائحة المتنافسين على هذا "الشرف" طويلة دائماً، والتحدي يكمن في تقرير أي منها أكثر اثارة للاشمئزاز.

وما دعاني الى أن أقول "كفى" وأتخلى عن عملي هو أني كلما شاهدت فيلماً جديداً تفاقم ما يطرأ على نفسي من تغيير. وبت أحتاج الى مدة أطول لامحو من ذهني تلك الصور والعبارات والمشاعر المقلقة. وغالباً ما أصبت بانقباض نفسي وتصرفت بانفعال غاضب رداً علَى أدنى اثارة من زوجتي وأولادي. وأخيراً لم أجد مفراً من الانكفاء.

ظهرت للمرة الاخيرة بصفة ناقد سينمائي في شهر اغسطس (آب) عام ١٩٨٤. ومنذ ذلك الوقت لم أشاهد فيلماً سينمائياً قط.

ما هو المطلوب لكي أعود، ويعود معي ملايين المشاهدين، الى دور السينما؟ قدموا الينا أفلاماً سينمائية فيها:

١. خيال أكثر وبوح أقل. دعونا نعيد النظر في الوقائع. ان أحد أسياد الترقب والمفاجأة في الافلام، آلفرد هيتشكوك، نادراً ما لجأ الى مناظر التأثير الدموي المرعب. كان يجعل مشاهديه يتخيلون في عقولهم الرعب الذي جاء دائماً أسوأ مما شاهدوه فعلا على الشاشة. أما اليوم فالمخرجون

السينمائيون يصورون المناظر الدموية التي تقشعر لها الابدان ويعرضونها أمام المشاهدين.

٢. تنويع أوفر وبذاءة أقل. العبارات النابية لا تسبغ صفة واقعية على المنظر ولا تضفي عليه درجة أعلى من براعة الاخراج. انها تعكس عجز كتاب القصص السينمائية ومنتجي الافلام عن الارتفاع فوق مستوى القانورة. ان اللغة يمكن ان تكون معبرة من دون أن تكون بذيئة.

٣. مزيد من المناظر العاطفية ومقدار اقل من مناظر الجنس الفاضح. التعرية هي في غالب الاحيان الاسلوب المتبع اليوم لتصوير المناظر العاطفية الحميمة. لكن المخرجين القدامى الموهوبين لم يضطروا الى اعتماد التعرية الكاملة للتعبير عن موقف عاطفي حميم.

٤. أبطال أكثر ورعاديد أقل. ان نماذج الادوار الايجابية أخذت تختفي عن شاشات السينما اليوم. ربما كان جيمس دين متمرداً من دون قضية، لكن أفلام اليوم تصور التمرد من دون مبالاة.

٥. ابداع أكثر وسفاهة أقل. على رغم العنف الذي حفل به فيلم "العراب" (The Godfather) فانه ظل يبعث على التفكير ويتسم بالاناقة والابداع. لقد اظهر المخرج أبطاله كأنهم أناس حقيقيون في أدوار تناسبهم. وهذا ما أمن له النجاح. أما فيلمي المفضل فهو "اللسعة" (The Sting) الذي كان ابداعياً الى اقصى حد يمكن أن نرجوه.

٦. فكاهة أكثر ومهانة أقل. في السنوات القليلة المنصرمة أخذ طابع الفكاهة يتحول باطراد الى القسوة. ترُى كيف نسينا متعة تلك الضحكة التي أطلقناها مع صورة جاك ليمون عن "إنساين بالفر" في فيلم "السيد روبرتس" (Mister Roberts)؟ لماذا نحرم مزيداً من الفكاهة الحقيقية كما في فيلم "توتسي" (Tootsie)؟

أحد العوامل التي تحول دون التحسين هو العقلية المتحجرة التي يتمسك بها معظم الشركات السينمائية الكبرى. لقد ضاع الابداع في ثنايا البيروقراطية. ويلاقي كتاب الافلام الجدد صعوبة في ايجاد الاذن التي تصغي اليهم، ناهيك بالعين التي تقرأ ما يكتبون.

الربح الاوفر هو الهم الاول لكثير من أصحاب دور السينما. اسألهم عن مواضيع الافلام التي يطلبونها فيعجزون عن اعطائك أي معلومات، لان السواد الاعظم منهم لا يتاح له أن يطلع على كل الافلام التي تعرضها دوره.

ثمة من يقول ان القيم والمواقف التي صورتها السينما في الخمسينات والستينات لم تعد ذات موضوع في الثمانينات. اني أوافق على هذا الرأي في ما يختص بمعاملة النساء والاقليات. ولكن في مجالات اللغة المستعملة والعنف وتصوير الجنس على الشاشة، فاني أعتقد أن القيم القديمة لا تزال جديرة بالتقدير.

ان رواد السينما يمكنهم أن يعربوا عن عدم رضاهم بالشكوى الى أصحاب دور السينما من النوعية الرديئة وبمقاطعة الافلام المهينة للذوق.

جون كوليا ■

● حدث كل شيء بسرعة خاطفة ووقف آلمر كلايتون فنين محدقاً الى جثة صديقته الممددة على أرض مقطورته. لقد ماتت جانيت بودارد نتيجة انسحاق قصبتها الهوائية بضربة كاراتيه.

وسجلّ فنين (٣٢ عاماً) حافل بالجرائم. انه سدد هذه الضربة الى عنق صديقته جانيت بودارد في سورة مجنونة من الغضب، وبدا أنه ارتكب الجريمة الكاملة التي لا تنكشف. لقد تعرف الى هذه المرأة في كاليفورنيا على بعد ٢٤٠٠ كيلومتر من مكان الجريمة. كانت امرأة هادئة الطبع بسيطة ضئيلة الجسم سمراء البشرة، سرعان ما ينساها من يتعرّف اليها. وهي كانت عاملة مهاجرة ولا يحتمل أن يفتقدها أحد.

ما على فنين سوى ان يدفن جثتها فتتعهد الحيوانات البرية وعوامل

ان تجسيم الوجه لكشف هوية الضحية بات وسيلة تعتمدها الشرطة لحل القضايا المستعصية

الطبيعة بقية المهمة. وحتى إن عثر على أشلائها في نهاية الامر فان أحداً لن يستطيع أن يتعرف الى هوية صاحبتها، ولا أن ينسبها اليه.

وكوّم فنين الجثة في صندوق سيارته

وتوجه بها الى غابات القطن الكثيفة خارج المدينة.

بعد شهرين عثر صيادو سناجيب كانوا يعبرون وادي ستيلووتر على جمجمة بشرية وعظمة فك. وفي قبر غير عميق في الجوار اكتشف رجال الشرطة قفصاً صدرياً وعموداً فقرياً وبقايا اخرى من هيكل عظمي. وكانت في القبر خصل شعر بني وبعض الثياب. وقرأ آلمر كلايتون فنين هذه التفاصيل في الصحف ولم يأبه لها.

لكن نائب الشريف(١) جو ستايلي محقق عنيد. وهو دقق في الثياب فلم يجد عليها أي علامة تعريف. ومرر جهاز كشف معدنياً فوق الموقع حيث وجدت الجثة فلم يكشف عن حلى. أسنان الضحية سليمة وليس فيها حشوات تمكن مقارنتها مع سجلات أطباء اسنان. واتصل هاتفياً بمنازل بضعة عشر شخصاً في المنطقة أبلغ عن اختفائهم في السنة المنصرمة واستبعد الجميع.

لم يبق لدى ستايلي أي دليل، فاستشار مكتب التحقيقات في ولاية أوكلاهوما فأشار عليه المسؤولون بأن ينهي التحقيق في القضية ويسجله ضد مجهول. لكنه أبى ذلك. واقترح عليه أحدهم أن يرسل الجمجمة والعظام الى المعهد المدني للطب الجوي الذي أخذ على عاتقه مهمة اكتشاف هويات ضحايا حوادث سقوط الطائرات التي تحترق جثثها.

بعد انقضاء تسعة أسابيع أصيب آلمر كلايتون فنين بصدمة أذهلته اذ وجد أن جانيت بودارد "بعثت" من قبرها وبدأت تلاحقه. فها هي صورتها تحدق اليه من ملصق معلق في واجهة محل في مدينة بركنز المجاورة في ولاية اوكلاهوما. انها صورة تمثال صنع لوجه الضحية ويشبهها تماماً.

● في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٧ وجدت جثة متآكلة ملقاة في مكب قمامة خارج مدينة آلبوكرك في ولاية نيومكسيكو. وتولى أحد الاختصاصيين بالتجسيم الوجهي في المنطقة فحص الجمجمة، وعرضت الصورة التي خرج بها على محطة تلفزيون خاصة أمام عائلة مزارع متقاعد اختفى في السنة السابقة. وهكذا أمكن التعرف الى صاحب الجثة. وبعد ذلك اعترف صديق لزوجة القتيل بأنه أطلق النار على الضحية ودين بجريمة القتل عمداً.

● اكتشفت بقايا مهشمة ومحروقة لجثة امرأة في غابات أوكلاهوما الوسطى قبل عشر سنين. وفحص خبير أنثروبولوجي(٢) الجمجمة السليمة وبعض العظام فقدر أن الضحية في الستين وما فوق. وبعد اضافة نظارتين وتجاعيد وشعر مستعار وخطه الشيب الى التجسيم الوجهي أصبحت الصورة دقيقة الى حد أن شقيق الضحية الذي أبلغ عن اختفائها حسب الصورة حقيقية لشقيقته. وقبض على القاتل وأودع السجن.

---

(١) الشريف (Sheriff) هو المسؤول عن الأمن في القرى والبلدات الامريكية.

(٢) الانثروبولوجيا أو علم الانسان يبحث في أصل الجنس البشري وأعراقه وعاداته ومعتقداته.

القبور المغفلة – ان فن تجسيم وجه انسان باعتماد جمجمة كاملة أو أجزاء منها يرتكز على جداول أنثروبولوجية تحدد "معدل عمق الانسجة" في ١٨ نقطة أساسية في الجمجمة البشرية(٣). وهذه المهارة التي تقف في موقع بين العلم والفن وفرت للمحققين قرائن عدة للتعرف الى الضحايا وادانة مرتكبي جرائم القتل في العقد المنصرم، لكنها بدأت اليوم اثبات دورها في مختبرات تعقب الجرائم.

ويعتمد كشف هويات الضحايا مجموعة مهارات أنثروبولوجية وفنية وبعض المتغيرات كالنظارات وقصة الشعر والعادات الشخصية للضحية.

ستانلي راين اختصاصي أنثروبولوجي قضائي في جامعة نيومكسيكو، كان مرة ينجز مجسماً من هذا النوع فلاحظ في أسنان الضحية اهتراء غير عادي مما يشير الى أنها كانت تدخن غليوناً لمدة طويلة. وأعاد ستانلي تشكيل الانسجة على الجمجمة. وبعد فراغه من صوغ المجسّم تبين أن نظريته كانت صائبة. وقال أحد رجال التحري وهو يعاين المجسّم: "آه، حقاً، غاب عن بالي أن أخبرك. لقد عثرنا على غليونين قرب الجثة."

ان جرائم القتل التي ترتكب في غموض مطلق قليلة نسبياً، لكنها ترهق رجال التحري الى أقصى الحدود.

ولا ريب في أن أي تجسيم وجهي يبقى قطعة منحوتة بلا فائدة اذا لم يتيسر أن يراها من يستطيع التعرف الى صاحبها. وكشف الهوية ليس بالضرورة مرادفاً لتوقيف المجرم وادانته.

وعلى رغم الاخفاقات يشير دعاة هذا الفن في المعهد الامريكي لعلوم الطب الشرعي الى نسبة النجاح التي تبلغ ٥٠ في المئة، ويحضون على استخدام هذه الوسيلة على نطاق أشمل لكشف هويات مئات الضحايا التي لا وجوه لها من بين الالوف التي تكتشف سنوياً ثم تدفن في قبور مغفلة.

الضحية والقاتل – بعد وصول رفات جانيت بودارد الى المعهد المدني للطب الجوي أخبر الاختصاصي الانثروبولوجي كلايد سنو نائب الشريف ستايلي أن الجثة لامرأة من العرق الابيض يبلغ طولها ١٥٠ سنتيمتراً ويراوح عمرها بين ٣٠ و٤٠ عاماً. وأضاف أن الصور الشعاعية كشفت في الجمجمة والعظام آثار كسور عظمية لم تلتحم تماماً مما يشير الى أن الضحية اصطدمت بواجهة سيارة أو بزجاجها الامامي في حادث قبل سنوات.

ترك هذا الحديث انطباعاً في ستايلي. لكن المهمة الصعبة كانت لا تزال أمامه. وباشرت خبيرة التجسيم في المعهد عملها مستعينة بمسماك(٤) ومسطرة وعدسة مكبرة وأدوات نحت أخرى.

قبل كل شيء تناولت ١٨ أسطوانة من المطاط ذات كثافات مطابقة لجداول معدل عمق الانسجة، ولصقتها على المعالم المحددة لهيكلية الجمجمة ووصلتها بالطين المستخدم في التشكيل النحتي. بعد ذلك ملأت الفجوات الباقية

(٣) القياسات المعتمدة في الولايات المتحدة هي نتيجة دراسة ٣٠٠ جثة من أعراق مختلفة.

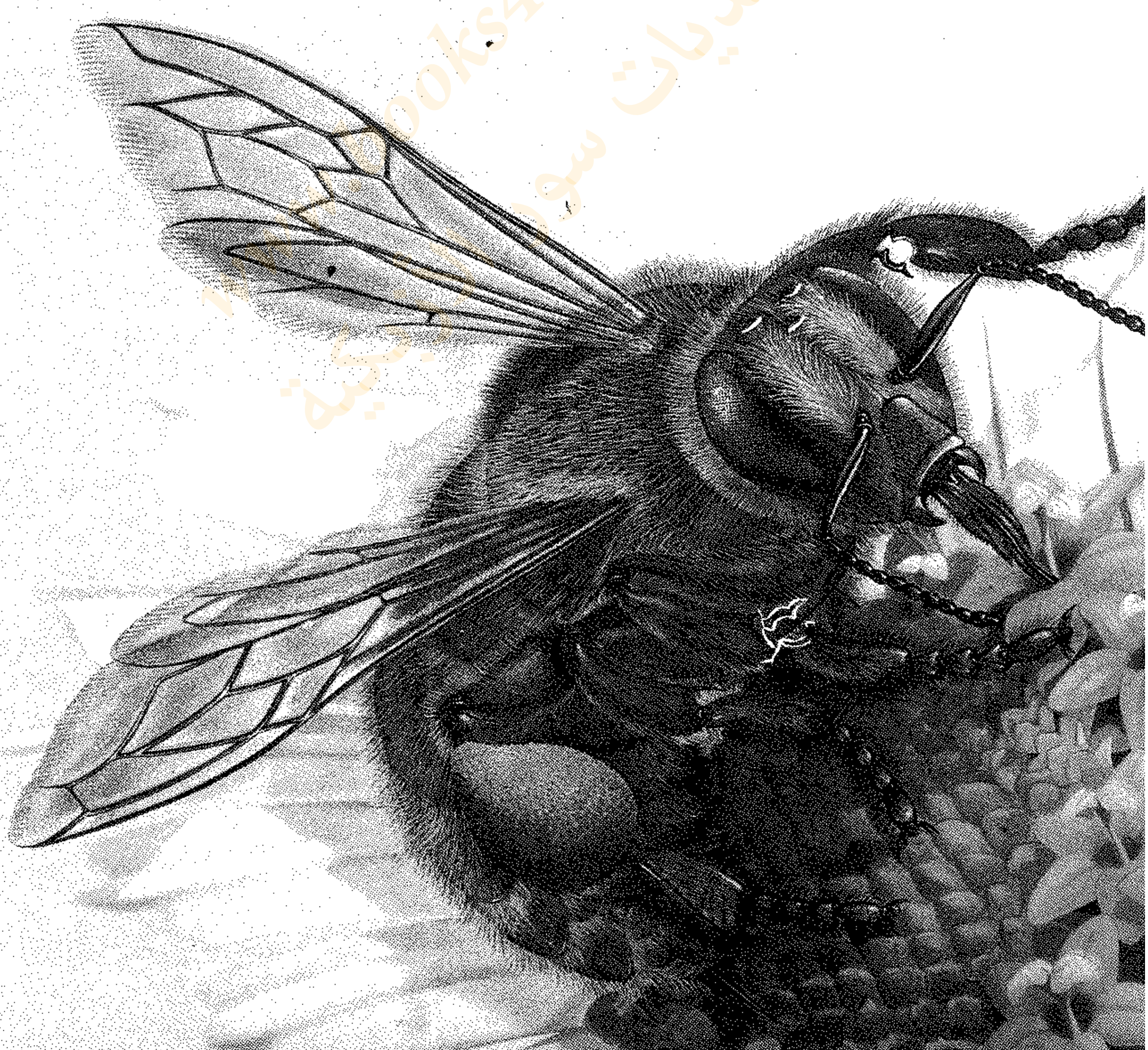
(٤) المسماك (Caliper) اداة لقياس سماكة الشيء.

مَملكَة النحْل

انه مجتمع الاناث الذي لا يرحم حيث تترك الذكور القلائل بعد الزواج لتواجه الموت جوعاً

كيف يبدو عالم تديره النساء؟ تمالكوا نفوسكم أيها الرجال. فعالم كهذا قائم حقاً. وهو رائع التنظيم وآمن جداً ويتمتع بأيد عاملة متخصصة وبنية اجتماعية متقنة ونظام اتصالات مذهل. ويقطنه سكان حسنو التغذية. انه فردوس مدمني العمل المضني. لكن هذا العالم قاس لا يرحم. فذكوره القلائل يتركون ليواجهوا الموت جوعاً بعد اتمام مهمتهم الطبيعية.

يشكل مجتمع الشقيقات العالم الفريد للنحلة العسالة، أثمن أنواع النحل وأكثرها عدداً. وهي عضو في عائلة الحشرات العظيمة "أبويديا" التي تضم



عشرين ألف نوع بينها النحلة الطنانة والنحلة النجارة.

والنحلة العسالة غريبة أصلا عن أمريكا الشمالية، لكن المستوطنين البريطانيين أدخلوها ولاية فرجينيا عام ١٦٢٠. وسرعان ما تكاثرت.

وتعشش المجموعات البرية من النحل العسال في الأشجار الجوفاء وفي الكهوف والأماكن الأخرى حيث يمكنها أن تبني قفرانها.

ويعيش النحل المدجن في قفران خشبية من صنع الانسان. وهي مبنية بحيث يسهل سحب الأطباق التي تحمل أقراص العسل بأدنى حد من الازعاج للنحل. ويقطن كل قفير نحو ستين ألف نحلة.

مراتب النحل - للوهلة الاولى يبدو النشاط مسعوراً داخل قفير نموذجي. لكنه في الحقيقة مضبوط كما لو كان عملية اطلاق مكوك فضائي. فالفئتان القاطنتان فيه، النحل البيتي والنحل الميداني، تنفذان تشكيلة من الأعمال النظامية. ويضم النحل البيتي "المدبرات" اللواتي يعملن على ازالة الأوساخ. واذا كان أحد الأجسام ضخماً بحيث يتعذر نقله، كفأر اقتحم القفير وتم لسعه حتى الموت، فان المدبرات يزلن شعره ثم يحنطنه بشمع العِكْبر (propolis) وهو مادة راتينجية تجمع من الأشجار.

ويضم النحل البيتي أيضاً "المراوح" اللواتي يقفن في المدخل ويحركن أجنحتهن فيحدثن طنيناً. وبذلك يكيفن الهواء داخل القفير. وهناك "المتعهدات" اللواتي ينقلن النحل النافق خارج القفير.

أما "العاملات" فتقتصر مهمتهن على بناء أقراص جديدة لتخزين العسل. وينبثق شمع العسل، وهو مادة دهنية، من الغدد الكائنة في بطون العاملات. وبعد أن تزيل النحلات الشمع بقوائمهن يمضغنه في شكل كرات صغيرة يبنين بها إحدى المعجزات الهندسية: قرص عسل بطبقتين وستة أجناب يستخدم لتنشئة الصغار وتخزين العسل.

وتصلح "المرممات" الأقراص القديمة، بينما تنشر "الساقفات" الشمع على الطبقات المنجزة حديثاً. وقد كتب تشارلز داروين: "غبي هو الرجل الذي يعاين التركيب المتقن لقرص العسل المهيأ بابداع مطلق لتحقيق غاياته، من دون أن يعتريه إعجاب مفعم بالحماسة."

وتشيد أولئك المهندسات المبدعات شبكة طرق معقدة من "فسحات النحل" يراوح عرضها بين ٥ و١٠ مليمترات وتنتشر بين الأقراص وحولها.

ويضم النحل الميداني الكشافة والغزاة. وتجول الكشافات باحثات عن مصادر جديدة لرحيق الأزهار. ويستعنّ بالشمس لمعرفة وجهتهن ثم ينقلن أخبار اكتشافاتهن برقصة خاصة تحدد الاتجاه والمسافة.

وصف العالم النمسوي كارل فون فريش أحد رواد النحالة (تربية النحل) رقصتين من رقصات النحل: "الدائرية" و"الاهتزازية". في الرقصة الاولى تدور النحلة الكشافة بقوة لمدة ثلاثين ثانية الى اليمين أولا ثم الى اليسار. وتستخدم

Illustration: John F. Eggert

هذه الرقصة اذا كان مصدر الطعام قريباً. أما اذا كان بعيداً فتلجأ الكشافة الى الرقصة الاهتزازية: تسير في خط مستقيم مسافة قصيرة وهي تهز بطنها، ثم تدور دورة كاملة الى اليسار وتتقدم قليلا لتدور مجدداً الى اليمين. وهي تهز بطنها طوال الرقصة. وكلما كان مصدر الطعام أغنى عنفت الرقصة أكثر.

ويساعد أيضاً في ارشاد النحلات الاخريات عطر تفرزه غدد في بطن الكشافة، إضافة الى رائحة الأزهار التي تنقلها من المكان الذي اكتشفت فيه الرحيق.

وحالَما يتحدد مكان رحيق الازهار ولقاحها تنطلق النحلات الغازيات الى العمل. فيتغبّرن باللقاح ويمشطن شعيرات أجسادهن بأذيالهن جامعات اللقاح في "السلال" السلكية الدقيقة على السطح الخارجي لقوائمهن الخلفية.

وبالنسبة الى الرحيق فان النحل مزود معدة عسل خاصة في حجم رأس الدبوس. ولجمع ملء كشتبان من الرحيق على النحلة أن تملأ تلك المعدة وتفرغها ثم تعود لتملأها نحو ستين مرة، كما عليها أن تزور ما يزيد على ألف زهرة. ومما لا يصدق أن الغازيات في قفير واحد يمكنهن جمع ما يصل الى سبعة كيلوغرامات من الرحيق في يوم واحد.

حين تصل النحلة الغازية الى قفيرها تتقيأ كل ما أكلته من الرحيق. فتأخذه نحلتان "متسلمتان" وتحولانه عسلا بالترويح عليه لتخفيف رطوبته وباستعمال خميرتين صنعتاهما سابقاً في جسديهما.

تخفر مخزون العسل "مقاتلات" يقفن في مدخل القفير ويستخدمن فكوكهن وقرون الاستشعار وقوائمهن وزبانياتهن (الملاسع) لمقارعة الذباب السارق وعث الشمع والنحل المعادي الذي يحاول نيل العسل دونما عناء. كما تطير أولئك الخفيرات الى خارج القفير لمساندة أخواتهن اللواتي يبعثن بروائح انذار. ولدى اللسع تغرز النحلة زباناها السامة الشائكة في جلد الضحية وتنترها فتنقطع من جسد النحلة متسببة في نفوقها.

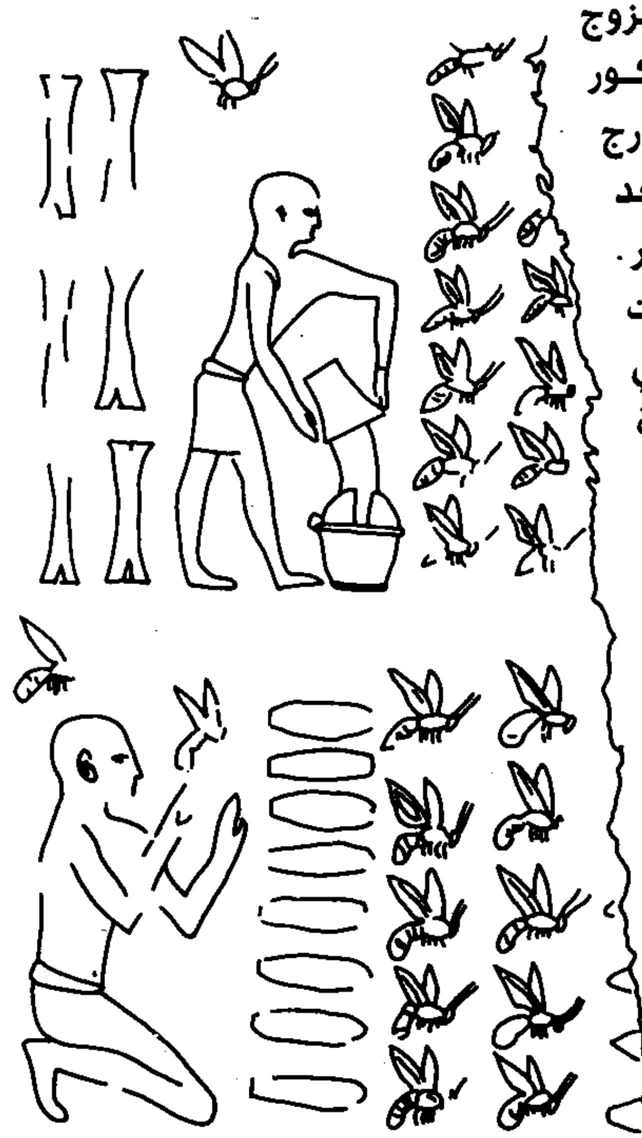
الملكة الاسيرة – ليس كل النحل مشغولا. فاليعاسيب، أي ذكور النحل، تشكل نحو خمسة في المئة من السكان. ويبدو أن مهمتها الوحيدة هي مزاوجة الملكة. وهي كسولة جداً بحيث تطعمها أخوات حنونات يعملن كحاضنات.

أما الملكة، وهي اكبر الاناث حجماً، ففي استطاعتها وحدها وضع البيض وتقوية النسل. انها تغتذي بالعسل "الملكي"، وهو مادة تفرزها غدد خاصة في رؤوس "الحاضنات". وتحرس حاشية خاصة الملكة وتعنى بها على الدوام. لكن أولئك "الوصيفات" اليقظات يهجرن الملكة إن لم يكن اداؤها فاعلا.

والملكة أشبه بالأسيرة داخل القفير. فقبيل بلوغها وهي بعد في عمر أسبوعين تكون أدت ما يراوح بين اثنين وأربعة تحليقات زواج. وعلى بعد كيلومترات من القفير تطير الملكة على ارتفاع يراوح بين ستة أمتار وثلاثين متراً. وتجذب عطورها الكيميائية ذكور الخلية الشهوانيين الى مطاردة حامية. وبعد

التزاوج مع ذكور عدة تصرع من شدة الصدمة أثناء العملية تكون الملكة لقحت بنحو خمسة ملايين نطفة. وعلى رغم أنها قد تعيش خمس سنوات تواصل خلالها انتاج العاملات فانها لن تتزوج مجدداً. وبعد تزوج الملكة تجر الذكور الباقية الى الخارج وتترك لتهلك على بعد أمتار قليلة من القفير. أما الملكات العتيدات في شكل يرقان ملكي فتبيدهن الملكة الحاكمة اذ تجد فيهن منافسات لها على الزعامة.

تضع الملكة بيضها في "حضانة" القفير حيث نظفت الخلايا ولمعت بعناية. ويتحول هذا البيض يرقاناً دورياً صغيراً ناصع البياض في غضون يومين أو ثلاثة أيام. وتطعم الحاضنات اليرقان الوليد عسلا ملكياً لفترة يومين. ثم ينتقلن الى "خبز النحل" وهو مزيج من العسل ولقاح الزهر. والجدير بالذكر أن إطعام يرقانة واحدة يتطلب نحو ألفي زيارة للنحلة الحاضنة. وبعد نحو ستة أيام من التفقيس تغزل اليرقانة شرنقة حول جسدها لتصبح خادرة في طور انتقالي بين اليرقانة والحشرة الكاملة. ثم بعد اثني عشر يوماً تنبثق العاملة المجنحة. وتستغرق عملية التحول من البيضة الى النحلة الكاملة واحداً وعشرين يوماً.



نحّالان ينقلان العسل من القفران الى الجرار في مصر القديمة.

الشمع الثمين -

تضع الملكة بيضاً مخصباً وبيضاً غير مخصب. والطريف أن النوعين يفقسان. أما البيض المخصب فهو كله إناث يتمتعن بمورثات (جينات) من الملكة ومن الذكور التي زاوجتها. وأما البيض غير المخصب فينتج ذكوراً تحمل مورثات الملكة وحدها.

والنحل المنبثق من طور الخدر كإناث مجنحة يتولى مهماته للحال دونما تلقي أي تعليمات من النحل الأكبر سناً. وتؤدي أولئك العاملات وظائف حقيرة كتنظيف الخلايا وتهوئة القفير والتقاط الأوساخ لفترة عشرين يوماً أو نحوها. ولدى اتمامهن الاسبوع الثالث يصبحن جاهزات للاشتراك الكامل في مهمتهن الأساسية، ألا وهي صنع العسل.

منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة والبشر يفيدون من النحل للحصول على العسل

Drawing: M.B. McCarthy / American Bee Journal

والشمع. وأقدم دليل بياني في هذا الشأن نقش مصري يعتقد أنه نحت قرابة العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد. وهو يمثل نحالا يدخن قفيراً لتدويخ النحل وعمالا يصفّون العسل ويجمعونه في جرار خزفية.

والى أطنان العسل التي تسوّق كل عام تباع كيلوغرامات وافرة من شمع النحل. وهو ظل قروناً طويلة الشمع الوحيد المتوافر للانسان. واستعمله المصريون للتحنيط. ويستخدم شمع النحل اليوم لا في صناعة الشموع فحسب، بل أيضاً في صنع شمع تلميع المفروشات ومستحضرات التجميل والأدوية وقوالب الأسنان.

وعلى رغم أهمية كل هذه المنتجات فان النحل يساهم بما هو أهم في اقتصادنا العالمي. ففي اثناء جمع الرحيق يفرك النحل الأعضاء التناسلية في البراعم فينشط عملية التلقيح. وتنتفع الأشجار والنبتات على اختلافها من الحشرات عموماً ومن النحل خصوصاً، بل تعتمد عليها للتلقيح والاخصاب.

وتقدر وزارة الزراعة الأمريكية أنه في مقابل ما قيمته دولار واحد عسلا يؤمن النحل ما قيمته مئة دولار تلقيحاً.

وهكذا تعمل الأخوات الكادحات من أجلنا جميعاً.

جاك دنتون سكوت ■

أولاد الهجران

كان لامرأة ١٤ ولداً راوحت أعمارهم بين عام و١٤ عاماً. وذات يوم رفعت دعوى طلاق من زوجها بحجة الهجران.

فسألها القاضي: "متى هجرك؟"

- قبل ١٣ سنة.

"اذا كان هجرك قبل ١٣ سنة، فمن أين جئت بكل هؤلاء الاولاد؟"

- كان بين حين وآخر يرجع الي معتذراً.

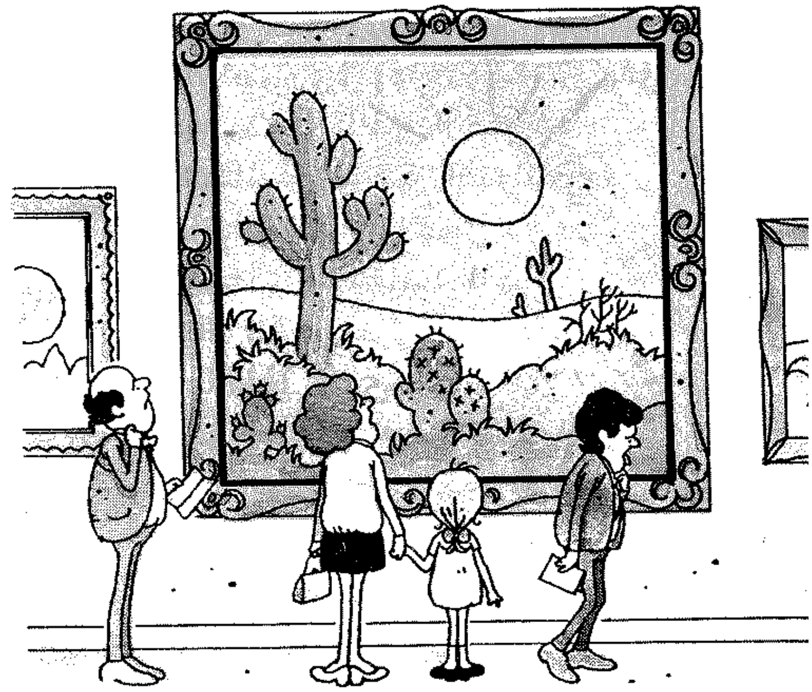
ج.د.

رابطة الاجيال

بعد العشاء تجمع الكبار في غرفة الاستقبال لاستعادة ذكريات ايام زمان بينما احتشد الصغار في غرفة الجلوس. ولاحظت المضيفة أن احدى القريبات العجائز لم تكن بينهم فسألت: "أين العمة الظريفة؟"

وجاءها صوت خشن من الغرفة يقول: "انها مع الاولاد، تحاول سد الثغرة بين الاجيال."

ف.م.



دائرة المعارف

نادراً ما نلجأ الى القاموس لنبش معاني المفردات العربية التي نقع عليها في قراءاتنا. لكن هناك كلمات قد نخطىء معانيها على رغم سهولتها الظاهرة. وهنا كلمات منتقاة من الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **مُني:** أسبغت عليه نعمة - وُفِّق - مات لوعة - ابتلي.

٢. **أضرم:** نصب خيمة - أوقد - غضب - بيّت الشر.

٣. **أودى:** هلك - أظهر الود - أوصل - أطعم.

٤. **الجَلَد:** السوط - الماء المتجمد - القوة والصبر - الزجاج.

٥. **الأبهة:** الدلال - العظمة والكبر - الاهتمام - الجمال.

٦. **الشفا:** العطش - الماء الخالص - الهاوية - الحرف والحد.

٧. **قفل:** قطب جبينه - اقشعرّ بدنه - جُنَّ - رجع.

٨. **روَّح:** أنعش - ثكل - سرّب - ندب الميت.

٩. **هفا:** نظف - نام خفيفاً - أسرع - نصع بياضه.

١٠. **الشائبة:** الحية العظيمة - العيب - الشامة - أرض الثلج.

١١. **السغب:** الفوضى - التمهل - ريش العصفور الصغير - الجوع.

١٢. **تَتْرى:** واحداً بعد واحد - فجأة - باكراً - دفعة واحدة.

١٣. **الخِزعة:** الجبان - المكيدة - القطعة من اللحم - الليلة.

١٤. **قَرَض:** ضفر - تغزل - قال الشعر - روى قصة.

١٥. **انبهر:** انشقّ - انقطع نفسه - تُخِم - انطفأ.

١٦. **أوشَع:** أزهر - توهم الرؤية - شتم - أعطى.

١٧. **الوبيل:** المقبل - الغزير - الصائب الهدف - السيىء العاقبة.

١٨. **الأرعن:** النبيه - الاحمق والاهوج - القليل الشعر - الطويل.

١٩. **جلّى:** غادر - سبق - طار وعلا - ابتسم.

٢٠. **تلكأ:** تعكز - أجفل رهبة - أبطأ - استهزأ.

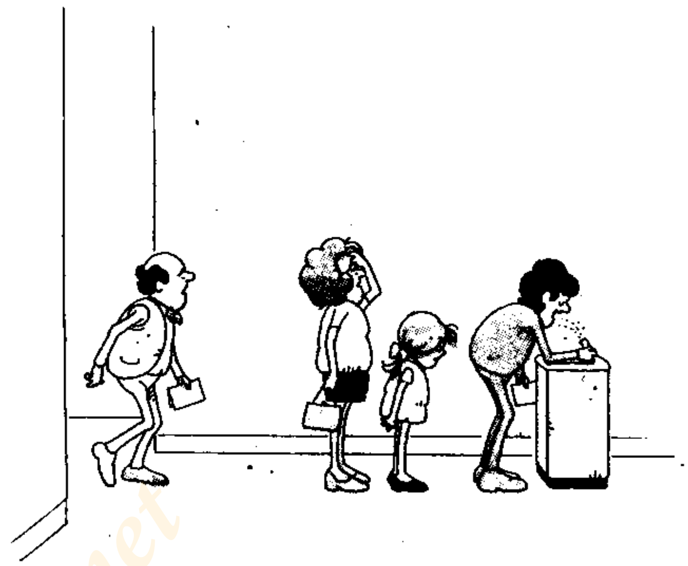
٢١. **القنوط:** التفاؤل - الملل - هدية الزواج - اليأس.

٢٢. **الفحوى:** المعنى - الرائحة الذكية - النسمة - صوت الحية.

٢٣. **أوعز:** أشار - أوغر الصدر - أزعج - أفقر.

٢٤. **تبوّأ:** أخفق - أقام - انتحب - تنطح للكلام.

٢٥. **الحبائل:** الجدائل - سنوات الخير - المصايد - السحب الماطرة.



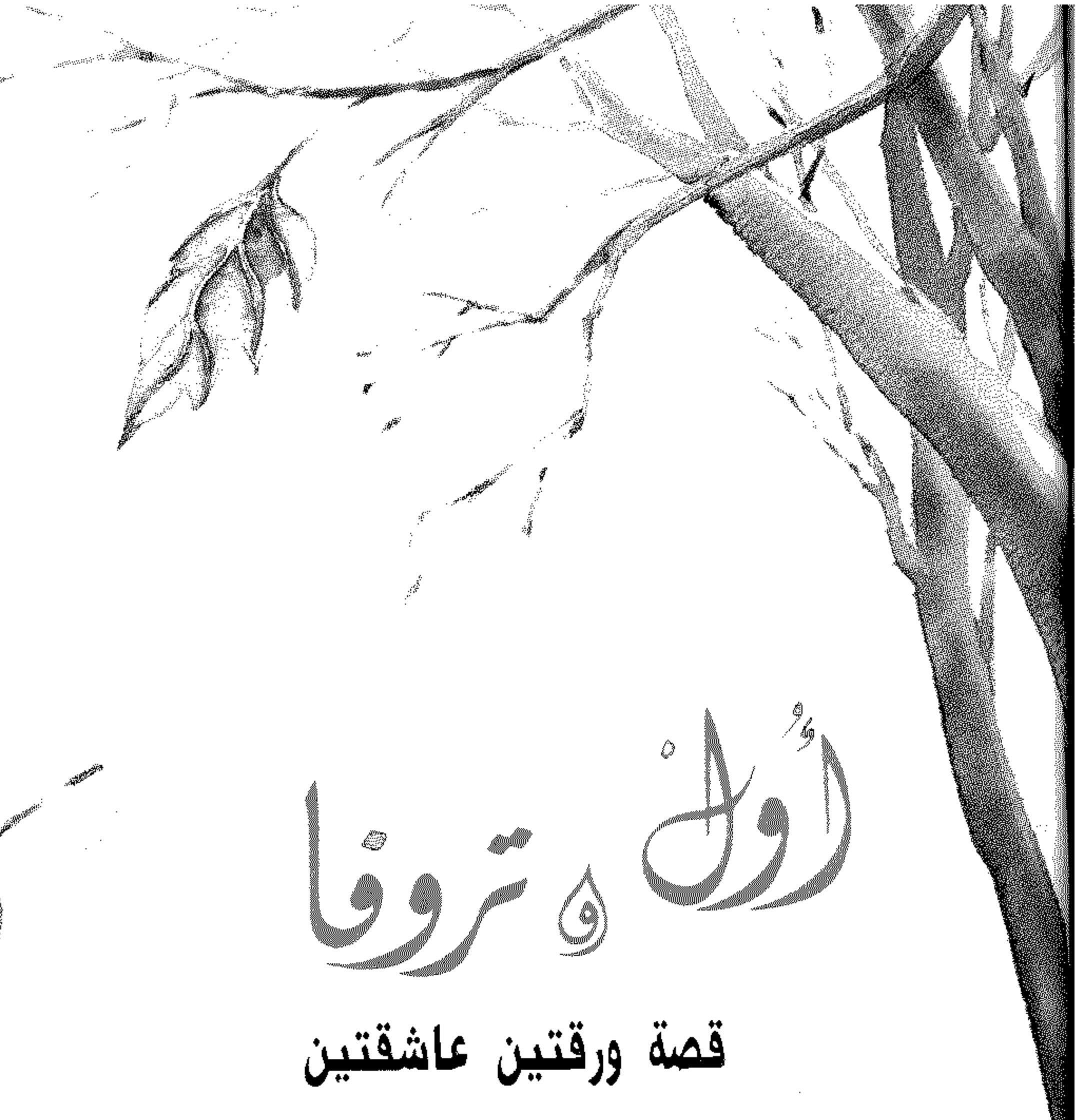
الأجوبة الصحيحة

١. مناه الله بكذا: ابتلاه به وأصابه.
٢. أضرم النار: أوقدها وألهبها. الضَرَم: الحطب يرمى به في النار، ومنه المثل: نفخت في غير ضرم، يضرب لمن يعالج ما لا فائدة في علاجه.
٣. أودى: هلك. أودى به الموت: ذهب به.
٤. الجَلَد والجلادة: القوة والصبر. الجَلَد أيضاً: السماء أو القبة الزرقاء.
٥. الأُبْهة والأُبّهة: العظمة والكبر. أيضاً: النخوة.
٦. الشفا: حرف كل شيء وحده. أيضاً: بقية الهلال قبل أن يغيب.
٧. قفل: رجع. القافلة: الرفقة الراجعة من السفر أو المبتدئة به تفاؤلا بالرجوع.
٨. روّح قلبه: أنعشه. والرجلَ: أراحه.
٩. هفا: أسرع وزلّ وجاع. والطائرُ: خفق بجناحيه وطار. والفؤادُ: خفق.
١٠. الشائبة: واحدة الشوائب وهي العيوب والادناس والاهوال.
١١. السغب والسغاب: الجوع.
١٢. جاء القوم تَتْرى: أي واحداً بعد واحد، وأصلها وَترى.
١٣. الخِزْعة: القطعة من اللحم. الخَزْعة: الغمز أو الظَلَع في احدى الرجلين.
١٤. قرض الشعر: قاله. وقرض: قطع. يقال: قرض رباطه، أي مات.
١٥. بهر: غلب وأضاء وقذف بالبهتان، انبهر: انقطع نفسه.
١٦. أوشع الشجر: أزهر.
١٧. داء أو طعام وبيل: يُخاف وبالُه أي سوء عاقبته.
١٨. رعن رعناً ورعونة: حمق أو كان أهوج في كلامه فهو أرعن.
١٩. جلّى الفرس: سبق في الميدان. المجلّي: السابق.
٢٠. تلكأ عن الامر: أبطأ وتوقف. لكأه بالسوط: ضربه به.
٢١. القنوط: اليأس.
٢٢. الفحوى والفحواء من الكلام: مذهبه ومعناه.
٢٣. أوعز اليه في كذا: أشار.
٢٤. تبوأ المكان وبه: أقام به. بوّأ له منزلا: هيأه له وأنزله فيه.
٢٥. الحبائل: المصايد. واحدتها حِبالة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

قصة قصيرة



أول وتروفا

قصة ورقتين عاشقتين



الغابة مترامية الأطراف تكسوها الاشجار المورقة. ومن الطبيعي أن يغدو الطقس بارداً في مثل هذا الوقت من السنة، وقد تسقط بعض الثلوج. إلا أن نوفمبر (تشرين الثاني) جاء دافئاً نسبياً. فلولا الاوراق المتساقطة التي تغطي الغابة كلها لظننته فصل الصيف. بعض هذه الاوراق أصفر كالزعفران وبعضها أحمر كالارجوان وهناك أوراق بلون الذهب أو بمزيج الألوان الثلاثة. وهي انتزعت عن أمهاتها بفعل الامطار المنهمرة أو الريح المزمجرّة. وسقط قسم منها في الليل وقسم آخر في النهار، فشكل الكل بساطا زاهي الالوان على



ارض الغابة. وفاحت الروائح الزكية من هذه الأوراق على رغم جفاف عصاراتها، وسطعت عليها الشمس من خلال الأغصان الحية، ودبت فيها الديدان والحشرات التي نجت من جنون عواصف الخريف، ووجدت الجداجد وفئران الغابة وسواها من الكائنات الضعيفة ملجأ تحتها.

وعلى قمة شجرة تعرت من كل أوراقها بقيت ورقتان تتدليان من أحد الأغصان. انهما أول وتروفا. لسبب تجهلانه استطاعتا الصمود وسط الأمطار الغزيرة والليالي الباردة والرياح الشديدة. فمن يعلم السبب في بقاء ورقة وسقوط أخرى؟ قدّر أول وتروفا أن السبب يكمن في الحب العظيم الذي يكنه أحدهما للآخر. وكان أول أكبر قليلا من تروفا ويزيدها عمراً

ببضعة أيام. لكن تروفا كانت أجمل شكلا وأنعم ملمساً. ولا تستطيع ورقة الشجر مساعدة رفيقة لها حين تصفر الريح أو يهطل المطر أو يرجم البرد. لكن أول كان يشجع تروفا في كل مناسبة. وفي أسوأ العواصف حين يقصف الرعد ويلتمع البرق وتنتزع الريح الأغصان من جذوعها كان أول يتوسل الى تروفا: "تشبثي جيداً يا تروفا! تشبثي بكل قواك!"

وفي بعض الليالي العاصفة القارسة كانت تروفا تهمس يائسة: "لقد دنت ساعتي يا أول، ولكن أصمد أنت في كفاحك!"

ويجيب أول: "لماذا أصمد؟ فلا معنى لوجودي من دونك. اذا وقعت فسوف ألحق بك فوراً."

- لا يا أول، اياك أن تفعل؟ فما دامت الورقة قادرة على الصمود وجب عليها التعلق بالحياة.

"الأمر يتوقف على بقائك معي. ففي النهار أنظر الى جمالك وأعجب بك. وفي الليل أشتمّ شذى عطرك. وتريدينني أن أبقى الورقة الوحيدة على الشجرة؟ لا، هذا مستحيل!"

- أول، ان كلماتك عذبة لكنها غير صحيحة. أنت تعلم أنني لم أعد جميلة. أنظر الى تجاعيدي، بل لاحظ ذبولي. لم يبقَ فيَّ حسن سوى حبي الكبير لك.

"أوليس هذا كافياً؟ بين كل مواهبنا وقوانا يبقى الحب هو الأسمى. وما دام هذا الحب يجمعنا فسنبقى، ولن تقوى علينا ريح ولا مطر ولا عاصفة. واعلمي يا تروفا أنني لم أشعر مرة بحبي لك كما أشعر الآن."

- ولكن لماذا يا أول؟ لماذا؟ ألا ترى أنني أصبحت صفراء؟

"ومن قال ان الأخضر جميل والأصفر قبيح؟ كل الالوان بديعة بالتساوي."

وفيما أول ينطق هذه الكلمات حدث ما كانت تروفا تخشاه طوال هذه الأشهر. هبت ريح هوجاء سلخت حبيبها عن الغصن. وسرت قشعريرة في جسم تروفا فجعلت ترتعش حتى بدا أنها ستنقلع هي أيضاً من موضعها. لكنها تمسكت بكل قواها. وراحت تراقب أول وهو يهوي مترنحاً في الهواء. ونادته بلغة الأوراق: "أول! عد اليَّ يا أول! أول!"

لكن قبل أن تنهي صيحتها اختفى أول عن الانظار. اختلط مع الأوراق الأخرى على الأرض تاركاً تروفا وحيدة على الشجرة. في النهار استطاعت تروفا تحمّل مصابها. ولكن ما ان خيم الظلام وبدأ المطر البارد ينهمر حتى استسلمت المسكينة لليأس المطلق. وشعرت بأن اللوم في كل مآسي الأوراق يقع بطريقة أو بأخرى على الشجرة، وخصوصاً على جذعها الضخم بفروعه الجبارة. فالأوراق تسقط، لكن الجذع ينتصب شامخاً غليظاً متجذراً بقوة في الأرض لا تزعجه ريح ولا أمطار ولا برد. فماذا يهم شجرة قد تعيش الى الأبد ما يكون مصير ورقة ضعيفة؟ الجذع أناني، يغطي نفسه بالأوراق لبضعة أشهر ثم ينفضها عنه. يغذيها بنسغه ما شاء ثم يتركها تموت ظمأ. وناشدت تروفا الشجرة أن تعيد اليها حبيبها وترجع أيام الصيف، لكن الشجرة لم تعر توسلاتها اهتماماً.

لم يمر في بال تروفا أن الليل قد يكون

طويلا ومظلماً وبارداً الى هذا الحد. وراحت تناجي أول آملة أن يجيبها، لكنه بقي صامتاً.

وخاطبت تروفا الشجرة: "لقد سلبتني أول، فخذيني أنا أيضاً." لكن الشجرة لم تلتفت اليها.

وبعد فترة وجيزة استسلمت تروفا لنوم خفيف. وفي الحقيقة لم يكن ذلك نوماً، بل استرخاء عجيب. ثم أفاقت لتكتشف أنها لم تعد معلقة على الشجرة. فقد حملتها الريح الى أسفل وهي نائمة. واختلف شعورها الآن عن الايام التي كانت فيها تستيقظ مع الشروق وهي معلقة على الشجرة. وتبددت كل مشاعر الخوف والقلق، وحملت اليقظة وعياً لم تختبره تروفا من قبل. أدركت أنها ليست مجرد ورقة تتقاذفها نزوات الريح، لكنها جزء عزيز من هذا الكون. وبقدرة غامضة فهمت أعجوبة جزيئاتها وذراتها وبروتوناتها وكهيرباتها، أعجوبة القوة الهائلة الكامنة فيها والمخطط الجليل الذي هي جزء منه.

والى جانبها استلقى أول. وسلّما بحب لم يدركاه قبلا، حب ليس مجرد نزوة أو مصادفة، بل هو قوي وأبدي كالكون. وتبين أن ما خشياه طوال الفترة الممتدة بين ابريل (نيسان) ونوفمبر (تشرين الثاني) لم يكن موتاً بل انعتاقاً. ثم حملتهما نسمة خفيفة فحلقا في نعيم لم يختبره سوى الذين تحررت نفوسهم في الابدية.

ازاك سينجر ■

الكاتب حائز جائزة نوبل في الآداب للعام ١٩٧٨.

اختبار زوجي

ظننت أن صمماً أخذ يلمّ بزوجتي ويثقل سمعها. وعزمت على أن أجري لها اختباراً فدخلت عليها خلسة ووقفت على بعد عشرة أمتار وراءها وقلت: "بربارة، هل تسمعينني؟" فلم أسمع منها أي جواب. وتقدمت الى مسافة ستة أمتار منها وخاطبتها: "بربارة، هل تسمعينني؟" فلم أسمع أي جواب أيضاً. عندئذ اقتربت الى مسافة ثلاثة أمتار منها وسألتها: "والآن هل يمكنك أن تسمعيني؟"

فأجابت: "نعم يا عزيزي، للمرة الثالثة أقول لك نعم."

و.ل.ف.

الصندوق يفكر بالمطعم

كان طابور طويل من الزبائن ينتظر أمام صندوق أحد المتاجر. وحين جاء دوري أخذت المحاسبة في فرز محتويات سلتي الزاخرة، وعندما فرغت من ذلك تنهدت قائلة: "ألم يعد أحد يأكل في المطاعم؟"

ج.أ.



حُلمُ الراعي

في تلك الليلة اكتشفت رابطاً غامضاً بين الانسان والحيوان

أمضيت ذاك اليوم العجيب من شهر مايو (أيار) مؤدياً أموراً تافهة، وباشرت عدداً من الأعمال لم أنجز واحداً منها. فكانت تعاودني ذكريات من الماضي لأشخاص وأصوات وحوادث حصلت قبل خمس وستين سنة في هذه المزرعة التي أمضيت فيها معظم أيام حياتي، وهي واقعة في منطقة دير لودج في ولاية مونتانا. كنت قلق البال مشاكساً في بعض الأحيان كذئب علقت شوكة في قدمه، وكان ينتابني في أحيان أخرى حَدْس غريب لم يسعني أن أسبر غوره.

ولم يبارحني كلبي الألماني درو طوال النهار. فان مشيت مشى إلى جانبي وان جلست استلقى بقربي. وشعر حصاني



Illustration: David Taylor

ويزكي هو أيضاً باضطرابي. فعندما ذهبت لاعلفه ذاك الصباح تقدّم لملاقاتي وهو يصهل صهيلا خفيفاً. ثم تبعني الى الحظيرة وراح بين الحين والحين يدفعني بلطف. وبعدما أكل اقترب من باب الحظيرة وشرع ينظر اليّ.

في تلك الليلة خيّم سكون عميق على المزرعة، إذ همدت الريح الشمالية الغربية وهدأ حفيف الورق في الأشجار. فجلست بصمت وترقّب. واذا بصوت خافت نابع من داخلي لم أسمعه من قبل يقول لي: "يجدر بك أن تسرع والاّ وصلت متأخراً."

فانتصبت واقفاً والتقطت قبعتي ومعطفي وقفّازي وتوجهت إلى الحظيرة حيث أسرجت حصاني بعناية وتفحّصت المعدّات بدقّة كأنني أستعد لرحلة طويلة. ثم انتزعت بطّانية الحصان الصوفيّة عن الرفّ وطويتها وغلّفتها بمشمّع. وأخيراً ملأت القربة ماء وعلّقتها بقربوس السرج. ثم ألبست ويزكي اللجام وقدته إلى الخارج. وفي أثناء هذه التحضيرات كلّها كان درو يقف بجانبي وعيناه مليئتان بأسئلة لم أملك الاجابة عنها.

امتطيت حصاني وقد لامست الشمس قمم الجبال والتهبت السماء بالألوان غرباً وبلغت الظلال الارجوانية الوهاد. فشمخت الجبال المكلّلة بالثلوج في البعيد وناءت المناطق المشجرة تحت وطأة السواد والظلال.

لم أكن أدري وجهة سيرنا فأطلقت لحصاني العنان. ومررنا بأبنية المزرعة التي عرفتها يوم كنت زاخراً بالحياة وقد أصبحت اليوم خالية ومهجورة.

واضمحلت كآبتي عندما انحدرنا الى مرج هواؤه مفعم بأريج العشب النضر ورائحة النعناع الذكية. وعبرنا الجسر فوق النهر حيث تعبق رائحة الصفصاف. واشتد تيقّظي، وكلّما تقدمنا الى هدفنا المجهول عمق النداء في داخلي وتعاظم حدسي.

وانطلق ويزكي غرباً فعبر القناة تلو القناة حتى وصلنا الى قمة المرج البعيد. وبدأ الليل يرخي سدوله. أما الصوت في داخلي فكان يقول: "إنزل واشعل ناراً." فترجّلت وجمعت بعض الأغصان المقطوعة ووضعت القهوة على النار لتغلي. ثم نزعت السرج عن ويزكي لأريح ظهره وتدثرت بالبطانية. ودنا كلبي مني فأسند رأسه إلى ركبتي.

في هذه الأثناء راح الهلال ينحدر في سماء الغرب. وكان ضوؤه خافتاً لكنني تمكنت من رؤية كِفَاف الهضاب. وامتد المرج أمامي وانتصبت الهضاب البعيدة شرقاً. لم أكن أسمع الاّ فرقعة النار والصوت الذي يصدره ويزكي وهو يقطع الحشيش ورائي. فجلست وقد أخذت بروعة الليل الذي تحلّى بصوفية عجزت عن تحديدها.

وبدأت النجوم تتلألأ في كبد السماء. ودب فيّ الارهاق فوددت لو أعود إلى منزلي، لكنّ قوة نابعة من داخلي أمدتني بالبقاء. فأسندت رأسي الى ذراعي المكتفتَين على ركبتَي وغلبني النعاس.

الحلقة الكبرى - أيقظني ثقل على قدمي. ففتحت عيني واذا بي أرى كلبي الدلماسي سبوتش الذي ظل رفيقي مدة

١٥ سنة. فرحت أداعب رأسه الحريري. وعندما نظر اليّ لمعت عيناه كأنّه عرفني.

وتحلّق حولي عدد أكبر من الكلاب راحت تهز أذيالها وقد غمرتها النشوة. فدعوت كلا منها باسمه. بوب الكلب الراعي الذي أبى أن ينام داخل البيت حتى في أبرد الليالي، وكويني التي مـلأت البيت بجرائها، وبيت الكبير الذي كان يرعى البقر، وركس صاحب الوجه الأسود. حيتني جميعها. وعندما تأكدت من أنني ما زلت أحبها استلقت أرضاً واستسلمت للنوم. أما درو فلم يأت أي حركة تدلّ على أنه رآها.

ثم ظهرت الأحصنة التي عملت في المزرعة قديماً، فحول بلجيكية وأفراس مصحوبة بمهارها وجياد ركوب مع عدد من الثيران الانكليزية، فشكّلت جميعها حلقة كبرى. ولم يتحرك أي منها بل ساد الصمت المكان. وفجأة بدا ضوء القمر أكثر اشراقاً ولفّ اشعاعـه القطيع المجتمع بنور كلّي. أما القطيع فلم يُلقِ ظلالا على الأرض.

وما لبث أن تدفّق سيل القطعان من كلّ جهة وصوب فأحدق بالحلقة الكبرى. أتت بالآلاف كلّ الحيوانات التي رعيتها وسقتها واهتممت بها وأحببتها. وزاد الصمت. لم نكن نسمع وقع حوافر حيوانات راكضة ولم تكن في المرج عجول تفتش عن أمّاتها.

واتحدنا. فعلى رغم مرور السنين بقي رباط الحب قائماً بيننا.

شبح الماضي – جلست من دون أن آتي حركة، شأن القطيع بكامله. وتحرّكت ذاكرتي بسرعة فائقة وبوضوح لم أعهده من قبل. ومن السكون السائد حولي عادت الي تفاصيل نسيتها قبل زمن بعيد، تفاصيل بدت لي غير مهمة آنذاك لكنّها أصبحت الآن أساسية بعدما تاهت بعض الوقت في دنيا الحقائق.

وفجأة وعلى مقربة مني رأيته واقفاً على الهضبة. الذئب صاحب الاصبع الواحدة. كان بين يديّ، وما ان أدرك أنني رأيته حتى رفع رأسه عالياً وكأنه على وشك أن يرسل عواءه الكئيب.

وتذكّرت لقاءنا الأول قبل سنوات. ففي يوم عاصف من شهر مارس (آذار) بعدما بحثت من دون جدوى عن بقرة مفقودة توجهت الى المنزل. وعندما مررت في محاذاة النهر أجفل حصاني مونتي. فصعدت الى الجزء المرن من الجسر المتحرك ورأيت ذئباً عالقاً في أحد الفخاخ وقد قُطعت أصابعه الثـلاث الخارجية. لكن الفخ كان لا يزال يقبض على اصبعه الداخلية وجزء من قدمه. وكان الذئب متمدداً على جنبه وقد أرهقه الألم والنزف. وترجلت بسرعة. وما ان أصبحت على مسافة ستة أمتار منه حتى نهض بوهن وراح يحدّق اليّ.

ورأيت في عينيه مزيجاً من التحدّي والخوف والحقد والحاجة الماسة الى منقذ. وخطر لي أنه يجب أن أخلّصه.

واقتـربت منه محتميـاً بسـترتي الصوفية الضخمة. فكشّر عن أنيابه وأصدر زمجرة مخيفة وحاول أن ينقضّ عليّ، لكن قدمه العالقة حالت دون ذلك. فسقطت عليه مثبتاً رأسه تحت كتفيّ. ثم مددت يدي وقبضت على الفخ الفولاذي المضرّج

بالدم ورحت أضغط بكل قواي علي الفكين الى أن انفصلا. فانزلق الذئب من تحتي وانقضّ كالسهم على ذراعي اليسرى وغرز فيها أنيابه. لكنني استغربت عدم شعوري بالألم.

ثم ركض حوالى ١٢ متراً ووقف رافعاً قدمه المبتورة عن الأرض والدم ينزف منها. واستدار وراح يحدّق الي وقد اختفى التحدي والحقد من عينيه ولم يبق فيهما الاّ نداء استغاثة. ثم شرع يثب ببطء على قائمة واحدة الى أن بلغ ضفة النهر حيث مرّغ جرحه بالوحل.

نظّفت زوجتي نيلي ذراعي ولفت جرحي برباط. ولمّا أتى الطبيب ختمه بثماني قطب. فاندمل جرحي على نحو سليم، لكن الذئب ترك بصمته على جسدي. لقد اختلطت دماؤنا فأصبحنا اخوة بالدم.

ومضى أسبوعان قبل أن أرى الذئب من جديد. وكان يومذاك يحمل في فمه احدى بطاتي. وكان رد فعلي الطبيعي أن أخرجت بندقيتي وحشوتها بارودا. واسترعت حركتي هذه انتباهه فوقف واستدار جانبياً نحوي. كان في امكاني أن أعدّ ضلوعه، ورأيت ذيله يمتد وراءه على الأرض. خفضت بندقيتي. أما هو فلم يفلت البطة ولم يحاول الهرب. وعندما أدرك أنني لا أضمر له الشر استأنف مشيته العرجاء حاملا قدمه المبتورة.

أما أنا فاستأنفت عملي، لكن صورته لم تبارحني قط. وشعرت أنّ عليّ أن أساعده كي يستعيد عافيته. وهكذا كلما ذبحنا بقرة لنقتات بلحمها كنت أملأ كيساً بفضلات الذبيحة وأرميه حيث يتمكّن الذئب من العثور عليه. وكنت أيضاً أترك له بعضاً من طعام الكلاب.

وهكذا اذا عملت في الحقول جلس ليتفرّج عليّ. وإذا امتطيت صهوة جوادي رافقني مسافة كيلومتر أو اثنين. وفي الخريف وجد زوجة وعاد الينا في الربيع التالي مصحوباً بجراء ثلاثة. وعندما كبرت الجراء وأصبحت قادرة على الارتحال غادرت جميعاً إلى منطقة أخرى. ولكن عشية السفر وقف الذئب في الناحية المقابلة للمزرعة وأنشد لي أغنية وداع. ولم أره بعد ذلك. وها هو الآن يشرف من هضبته الصغيرة على القطيع النائم.

رفيقي الدب – استدرت فاذا بي أرى الدب الكبير واقفاً ورائي على التلة العالية. وعاودتني ذكرى ذاك اليوم الربيعي قبل سنوات عندما غادرت المنزل باكراً متوجّهاً الى المنحدر الشمالي. أوقفت شاحنتي الصغيرة ومشيت في محاذاة قناة الري. ولمّا انعطفت حول زاوية رأيت دباً أسود كبيراً يقترب. فما كان منه الاّ أن توقّف فجأة. ثم رأيت حلقومه يرتفع غضباً لأنني انتهكت حرمة أرضه. فانتابني شعور بالخوف لجمته، ووقفت أمام الدب أعزَلَ غير قادر على الدفاع عن نفسي. وأدركت أنه لو هاجمني لسحقني بضربة واحدة من قدمه الامامية الضخمة.

وفجأة اختفت نظرة الحنق من عينيه، فوقف على قائمتيه الخلفيتين مرتفعاً فوقي كالبرج العالي ومظهراً لي ضخامة حجمه ومدى قوّته. ثم استدار ووثب على احدى الصخور. وعندما نظر اليّ من عل بدا كأنه يقول لي: "مر بسلام أيها الرفيق،

فأنت لا تخيفني ولا تقلق راحتي." فمشيت في سبيلي وساقاي ترتجفان. وبعد ثلاثين خطوة توقفت ونظرت خلفي لكنه توارى.

وها هو الآن على الهضبة وصورته الظلية تبرز على خلفية السماء. وما ان أدرك أنني أنظر اليه حتى وقف على قائمتيه الخلفيتين كأنه يحييني. فعرفت عندذاك ان الرباط ما زال قائماً بيننا.

وأدركت أن عليّ واجباً لا بدّ من تأديته. فرحت أتمشى أمام القطيع في صحبة درو وأحيي الحيوانات التي عرفتها وأحببتها.

مررت أمام الثيران الانكليزية والفحول البلجيكية والبغال الأربعة والأحصنة التي عملت في المزرعة. وكنت كلّما ناديت أحدها باسمه رأيت في عينيه وميضاً كأنه عرفني.

وإلى جانبها وقفت الأحصنة التي ركبتها في صباي: بينتو أول جواد امتطيته في صغري، وباك الجواد الرمادي الذي ركبته عندما سقت قطيعي الأول، ومونتي وهو أفضلها على الاطلاق. وبينما أنا أحيي كلا منها تذكرت العلاقة الحميمة التي ربطتنا، فشعرت بغصّة في حلقي وعاودني فيض من الذكريات.

حقيقة أم خيال – غاب القمر وراء الجبال، فخبا الضوء وتلاشى المشهد ثم اضمحلّ وقد غمره الليل. وشعرت بالبرد وخارت قواي فغلبني النعاس. لكنّ درو دفعني بأنفه وأيقظني. ورأيت أن النار خمدت فأسرجت حصاني ويزكي وتوجهت الى المنزل.

في صباح اليوم التالي عزمت على العثور عمّا يثبت حوادث ليلة أمس. فامتطيت الحصان وعدت الى المرج البعيد. وفيه وجدت حلقة الحجار حيث أضرمت النار وقد برد الرماد واسودت الحجار. وكان العشب مسحوقاً حيث جلست وكلبي درو. لكن المكان لم يحمل أي علامة تدلّ على أن قطيعاً كبيراً من الماشية والخيل احتشد هناك. ولم أجد أي أثر لذئب أو لدب ضخم. وأغمضت عيني فظهر مشهد ليلة أمس من جديد: حلقة الأحصنة والماشية والبغال وحشد الحيوانات التي ملأت الوادي من تلاله الشرقية الى تلاله الغربية. ورحت أحفظ التفاصيل بدقة كي لا تغيب عن بالي أبداً.

وبدأ ويزكي يتململ ضجراً فبَطَل السحر. وتلاشى شعور الضيق والخيبة الذي لازمني لأيام وحلّ مكانه شعور بالهدوء والطمأنينة. وأحسست بالراحة وأنا جالس على سرجي وحصاني وبدت لي شمس الربيع دافئة. فتوجهت ببطء الى المنزل وكلبي درو يسير أمامي.

كونراد وارن ■

الجوع والسمنة

الحياة زاخرة بالمتناقضات. ويبدو أن أعظم معضلتين تواجهان الجنس البشري هما: كيف يمكن انقاذ نصف بني البشر من الجوع وكيف يمكن انقاذ النصف الآخر من السمنة.

ج.ت.

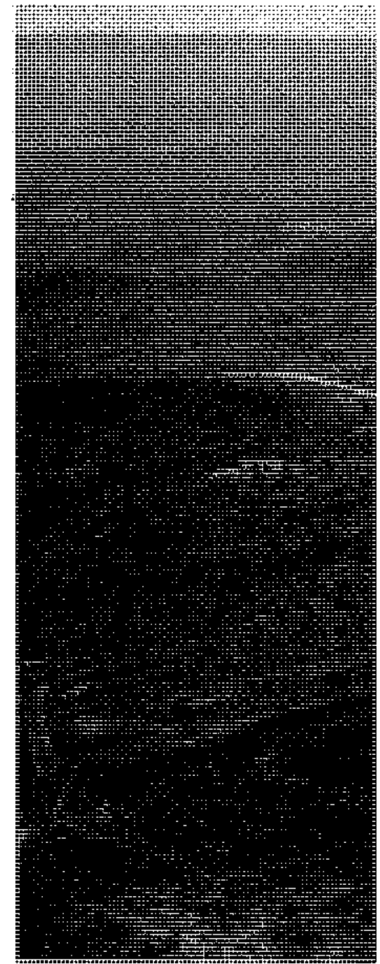


في منطقة منعزلة
من أوستراليا الغربية
عثرت عالمة جيولوجية وزوجها
على أعظم منجم
للالماس في العالم

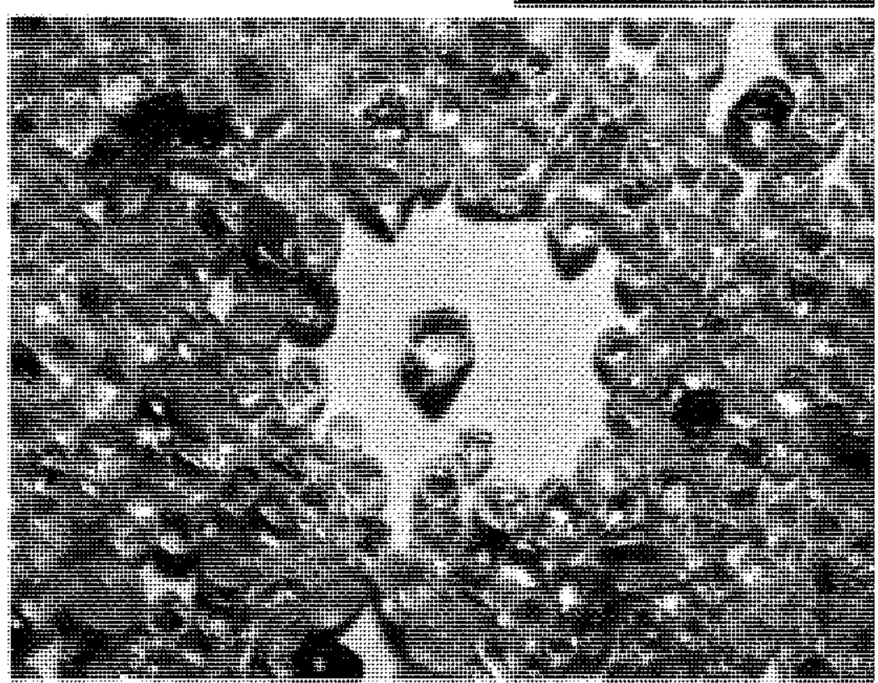


الجيولوجيان مورين ماغريدج وزوجها جون توي (بالسترة ذات المربعات) محاطان بزملائهما. وكانا أول من جمع عينات من الحصى تحوي ألماساً في جدول الدخان. ثم قام التسابق للحصول على حصة أكبر من ثروة اوستراليا الغربية.

Condensed from the Telegraph Sunday Magazine (March 6, 1983)



كنز الماس في جدول الدخان



كان ذلك في يوليو (تموز) ١٩٧٩ والطائرة المروحية تندفع فوق مجرى النهر المتلوي وركابها يتفحصون أرضه الجافة بحثاً عن مؤشّرات تنبىء بوجود ألماس. وبعد كل هبوط متخبّط كان جيولوجيو فريق مورين ماغريدج يقفزون من الطائرة ويندفعون بين الحصى والصخور حاملين الرفوش والمجارف والمناخل وأكياس العيّنات. فينقلون نحو ٢٠ كيلوغراماً من الاتربة والرمل ويعودون الى الطائرة بسرعة ويتابعون بحثهم. وبلغت تكاليف المروحية ٣٠٠ دولار(★) في الساعة، فلم يكن هناك وقت للاستمتاع بالمنظر الذي هو واحد من أروع ما في العالم.

كانت هذه مقاطعة كيمبرلي في الشمال المداري من أوستراليا الغربية، وتبلغ مساحتها ضعفي مساحة بريطانيا ولا يقطن فيها سوى ١٨ ألف نسمة. انها متسع من السهول الحرجية والجبال الحمراء المنحوتة، ترقد بسكون حالم طوال فصل

(★) الارقام في النص بالدولار الاوسترالي، وهو يعادل نحو ٠،٦٨ دولار أمريكي.

الجفاف لتتحول مسرحاً تدب فيه الحياة حين تهب الريح الموسمية وتغرق الاودية المخبوءة في مياه الفيضان. ولانعزالها لم تدرس أصقاعها الكبيرة الا من الجو.

قصة الالماس - نحن في فصل الجفاف. ومن طوافة المنقبين بدا "جدول الدخان" أخدوداً آخر بلا مياه محفوفاً بالاوكالبتوس والاشجار الاستوائية. وعرفت مورين أن هذه قد تكون محاولتها الاخيرة للبحث عن الالماس قبل أن تترك عملها. فهي في شهر حملها السادس، وقد فكّر رب العمل في أن الوقت حان لذهابها في اجازة الامومة.

كانت مورين امرأة انكليزية طويلة القامة نشيطة تعمل لدى شركة "كونزنك ريوتينتو أوستراليا" (CRA) كجيولوجية أدغال. وهي مهنة بقيت حكراً للرجال حتى وقت قريب. وكان زوجها جون توي المنقّب الكندي يرافقها في البعثة الى كيمبرلي. وكان يعمل لشركة التعدين الشمالية، وهي شركة صغيرة في ملبورن يديرها والده ريس. وقد احيل على "مشروع آشتون المشترك" الذي تديره "كونزنك ريوتينتو أوستراليا" وتساهم فيه شركة التعدين الشمالية وغايته التفتيش عن الالماس.

لكن المشروع المشترك لم يعط خطته أولوية قصوى. ففي أوائل السبعينات كانت مجموعة "دي بيرس" تحتكر صناعة الالماس، فصرفت ١٨ مليون دولار بحثاً عن الحجار الكريمة في هذه المنطقة ولم تجد شيئاً. وفي العام ١٩٧٥ أخبر أحد مديري دي بيرس ريس توي انه على استعداد لالتهام كل الالماس الذي يجده أي انسان في منطقة كيمبرلي الاوسترالية.

ويظهر الالماس في صخرة بركانية تسمى "كمبرليت" تكونت في صهر عمقي ووصلت الى سطح الارض في "أنابيب" دقيقة يصعب رصدها. وحتى في حال اكتشاف الانبوب فالترجيح بوجود الالماس هو ٥٠ الى ١.

واذ يتحلل الكمبرليت يحمل الماء حبيباته المعدنية. فاذا كانت حصباء مجرى الجدول غنية بمؤشرات معينة هي العقيق الاحمر والبيكروالمنيت وديوبسيد الكروم، فهذا يعني أن الجدول مر بالكمبرليت في مكان ما. وانطلاقاً من جدول كهذا يصبح التفتيش عن أنابيب محملة بالالماس أسهل قليلا. وأثناء فصل الجفاف في غرب أوستراليا تنكشف ألوف الكيلومترات من قيعان الانهر للمنقبين الذين يفتشون عن عينات. ويجب أن يكون جامع العينات مثابراً وشديد التدقيق وأن يستحوذ عليه عشق التنقيب. مورين مثلا كانت قادرة على أن تستعيد في ذاكرتها ألوف المواقع التي زارتها أثناء بحثها عن الالماس.

اللقية الجديدة - وصلت أكياس عيّنات جدول الدخان الى مختبر في مدينة بيرث في منتصف أغسطس (آب). وفي آخر ذلك الشهر جلست مورين وجون واجمين في مكتب كونزنك ريوتينتو أوستراليا في شمال غرب كيمبرلي. وكانت مورين على وشك العودة الى بيرث استعداداً للوضع. ودلت الظواهر على

أنهما لم يجدا شيئاً. ثم جاءهما تلكس: هناك الماس في حصى جدول الدخان.

في الاسابيع التالية تتبّعت فرق أخرى أثر الالماس انطلاقاً من منطقة تنقيب مورين وعبر مسافة ١٥ كيلومتراً الى منبع الجدول. وعثر على الالماس هناك بكمية مذهلة.

في ذلك الوقت بلغ الانتاج العالمي للالماس نحو ٥٠ مليون قيراط سنوياً، ٢٨ مليوناً منها جاءت من افريقيا و١١ مليوناً من الاتحاد السوفييتي والبقية من البرازيل وفنزويلا وغيانيا والهند واندونيسيا. وثمة من يعتبر ان في الامكان استخراج ٢٥ مليون قيراط سنوياً من جدول الدخان ولمدة ٢٠ سنة على الاقل.

ويقول جون ماكلود كبير اقتصاديي كونزنك ريوتينتو أوستراليا: "من غير الممكن واقعياً التفكير في أي سلعة أساسية تغيَّر انتاجها بنسبة ٤٠ في المئة دفعة واحدة."

أما بالنسبة الى دي بيرس فلقيّة جدول الدخان بدت تهديداً اضافيا للارباح المتقلصة في سوق راكدة. وكان سيسيل رودس انشأ دي بيرس من طريق شراء الانتاج وضم مناجم كيمبرلي في جنوب افريقيا الى مؤسسة احتكارية اواخر القرن التاسع عشر. ودافعت عائلة اوبنهايمر التي تدير دي بيرس عن تقاليد رودس. وفي العام ١٩٣٤ أسس السير ارنست اوبنهايمر مؤسسة البيع المركزية التي تسيطر اليوم على نحو ٨٠ في المئة من السوق العالمية لحجار الالماس الرفيعة النوعية، وتحدد حجم العرض من اجل تأمين استقرار الاسعار.

وخشيت مجموعة دي بيرس هبوط قدرتها على ضبط أسعار الالماس حين تناهت اليها الاشاعات عن اللقية الجديدة. وراح السياسيون والصحافيون يتساءلون هل مصلحة أوستراليا مضمونة أكثر بمؤسسات أوسترالية صغيرة تنمي حقل الالماس الجديد بدلا من شركات تعدين عالمية.

الكل أو لا شيء – نشبت معركة الحق في تعدين جدول الدخان على خطين: الاول في الميدان مع خصم هو شركة تنقب في منطقة تدعي كونزنك ريوتينتو اوستراليا ملكيتها، والثاني في المحاكم. لكن المشروع المشترك وجد صديقاً في السير تشارلز كورت رئيس وزراء أوستراليا آنذاك. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ بعد مضي ستة أسابيع على اصدار المذكرات الرسمية لجلسة المحكمة العليا التي ستفصل في قضية الخصومة على جدول الدخان، أصدرت حكومة السير تشارلز تشريعاً رسّخت فيه صلاحية جميع ادعاءات المشروع المشترك.

وكان لمجموعة دي بيرس نفوذ لدى أعضاء الاتحاد الممول باستثناء شركة التعدين الشمالية. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨١ عندما اقترحت كونزنك ريوتينتو اوستراليا أن يباع جميع ألماس أوستراليا الغربية من خلال دي بيرس، وهي صفقة كان يرجى أن تحقق حتى العام ٢٠٠٠ أرباحاً لا تقل عن ٣،٥ مليارات دولار بالسعر الحالي للالماس، اعترض ريس بشدّة.

ومع نمو الخصام أصبح واضحاً أن على دي بيرس أن تقدم تنازلات لم يسبق لها مثيل. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٣ اعترف رئيس مجلس ادارة دي بيرس هاري أوبنهايمر بان الاتفاق مع الاتحاد الممول "سيتخذ شكلا مختلفاً عن الاتفاقات مع الآخرين." كما ثبت أن أحسن تدبير يمكن أن تقوم به دي بيرس هو شراء معظم حصة الاتحاد في الحجار الكريمة ذات النوعية الممتازة والتي تراوح بين خمسة وعشرة في المئة من الانتاج، وثلاثة أرباع محصول "الجواهر الرخيصة" (بين ٣٠ و٤٠ في المئة) والالماس الصناعي. أما البقية فتسوّق مباشرة.

وسيعاد النظر في الصفقة عام ١٩٩٠ في وقت تكون أوستراليا عرفت الكثير عن الالماس.

سلم ريس توي شركة التعدين الشمالية الى مجموعة "بوند" وهي اتحاد مختلط في غرب أوستراليا. وقد اعلنت أنها ستبيع حصتها في الالماس التي تبلغ خمسة في المئة على نحو حر بواسطة عميل من انتورب ببلجيكا. وهكذا وصلت حرب الالماس الى نوع من هدنة، لكن تهديد دي بيرس "الكل أو لا شيء" في سياسة البيع يبقى له مدلوله.

وكانت مورين ماغريدج وضعت طفلها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ عندما تلقت اتصالا هاتفياً من كونزنك ريوتينتو اوستراليا تسأل عن اسم الطفل.

"نيقولاس"، قالت مورين.

وهكذا سمي مخيم التنقيب في جدول الدخان "مخيم نيقولاس".

بروس بيج ■

ممرضة قيد التمرين

تتدرب طالبات التمريض على ترديد ما يقوله المرضى للتأكد من أنهن سمعن ما قالوه. وفي دار للعجزة كانت احداهن تعنى بامرأة هرمة قالت لها: "أشعر أني لست على ما يرام."

فسألتها الممرضة: "تشعرين أنك لست على ما يرام؟"

– لست قادرة على الاكل كثيراً.

"أنت لا تأكلين كثيراً؟"

– وأتعب بسرعة.

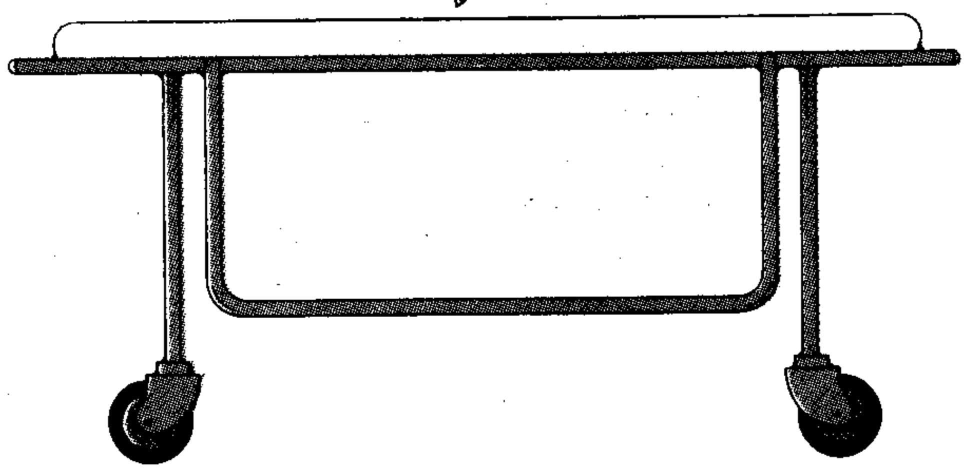
"تتعبين بسرعة؟"

وهنا قالت المرأة الهرمة: "يبدو يا حبيبتي أننا كلتينا نعاني المشكلة عينها: سمعنا ضعيف."

ب.ك.

عش حياة لا تضطرك الى اخفاء مذكراتك. ر.ا.

أصداء من عالم الطب



منع الحمل

ابتكر العلماء آلة صغيرة لمنع الحمل تزرع تحت الجلد ويدوم مفعولها خمس سنوات. والآلة اسمها "نوربلانت" وقد تم صنعها في فنلندا.

ويُقدَّر أن تكون هذه الآلة ذات فائدة جمّة في بلدان العالم الثالث. وسيجري استخدامها في حال النسوة اللواتي تجاوَزْنَ الثلاثين وأشار عليهنّ الأطبّاء بوقف حبوب منع الحمل فيما يرفضْنَ الخضوع للتعقيم.

والآلة مكونة من ستة أنابيب صغيرة متساوية الحجم وقد مُلئت بكميات اصطناعية من البروجستين، وهو هورمون موجود في الكثير من حبوب منع الحمل. ويتم إقحام هذه الأنابيب تحت الجلد في أعلى الذراع على نحو غير مرئي ولا يعرقل حركة الذراع. وهي تعتق الهورمون باستمرار، الأمر الذي يمنع الاباضة في نصف الدورات الشهريّة. كما انه يكثّف المخاط في عنق الرحم، وهذا يعوق انسياب المني في طريقه المعتادة ويوقف النمو الشهري للأنسجة في بطانة الرحم فلا تغذّي البييضة اذا تمّ تلقيحها. وبما أن الجرعة اليومية من البروجستين ضئيلة ولا تحوي مادّة الاستروجين، فانّ هذه الطريقة خالية من أخطار بعض الحبوب من حيث إحداثها السكتات الدماغية والجلطات الدموية.

مجلة "نيوزويك"

منافع اللبن

اللبن الرائب العادي يمكن أن يكون مصدراً حسناً للبروتيين وسواه من المغذيات بالنسبة الى ملايين البالغين في العالم الذين لا يستطيعون شرب الحليب.

ومعظم البالغين في العالم، باستثناء سكان أوروبا الشمالية، لا يتحملون الحليب لأنه يولد ألماً في أمعائهم. وقد بينت الدراسة أن اللبن يمد اولئك البالغين بخميرة تساعد على الهضم وتسهل انحلال مادة اللاكتوز السكرية التي يحتوي عليها الطعام. وأجسام الاطفال تنتج هذه الخميرة التي تمكنهم من هضم الحليب حسناً. الا أن ثلاثة أرباع البالغين في العالم يفتقرون اليها.

وكالة "اسوشيتدس برس"

الفيتامين "ج" والسرطان

في مطلع السبعينات أطلق الكيميائي لينوس باولينغ رأياً مؤدّاه أن الجرعات الكبيرة من الفيتامين "ج" (C) قد تساعد في شفاء السرطان. وأجريت التجارب آنذاك في اسكوتلندا لاختبار صحة هذه النظرية. وتبيّن أن المرضى الذين عولجوا بالفيتامين "ج" طالت حياتهم على نحو ملحوظ.

الا أن الباحثين في عيادة مايو الشهيرة في ولاية مينيسوتا الأمريكية أثبتوا بطلان هذه النظرية، ونشروا نتائج دراستهم الحديثة في "مجلة نيو انغلاند للطب." وهم تابعوا مجموعتين من المرضى أعطيت الاخرى جرعات وهمية. ولكن لا الأطبّاء ولا المرضى عرفوا من الذي تناول العقّار الحقيقي ومن الذي تناول العقار الوهمي. ويقول الدكتور تشارلز مورتل أحد كاتبي التقرير ان هذه الطريقة "تلغي التحيز المقصود أو غير المقصود من أذهان الباحثين."

وكانت عيادة مايو أنجزت اختباراً عام ١٩٧٩ بيّنت فيه أن لا أثر للفيتامين "ج" في علاج السرطان. لكن باولينغ ارتأى إعادة الاختبار لأنّ بعض المرضى الذين خضعوا له تلقّوا العلاج الكيميائي الذي يُضعِف جهاز المناعة.

وهكذا أقدمت العيادة على اختبار جديد اقتصر على المرضى المصابين بحالات متقدمة من سرطان المعي الغليظ الذين لم يخضعوا لأيّ علاج بالموادّ الكيميائيّة. وهي مجموعة مشابهة لمجموعة الاختبار الاسكوتلندي. ووجد الباحثون في عيادة مايو أن نسبة التعمير واحدة بين الذين تناولوا الفيتامين "ج" وأولئك الذين أعطوا العقّار الوهمي. والواقع أن ثمّة ارتفاعاً ضئيلا في نسبة المعمّرين الذين تناولوا العقار. وربما كان هذا الارتفاع من قبيل المصادفة. ويخلص باولينغ الى القول إنّ نتائج دراسة عيادة مايو لا تبطل نتائج الدراسة الاسكوتلنديّة، إذ ان مرضى الدراسة الأمريكية أعطوا الفيتامين "ج" خلال شهرين ونصف شهر، في حين تناوله مرضى الدراسة الاخرى طوال حياتهم. الا أن الباحثين في عيادة مايو على قناعة تامّة بأنّ الفيتامين "ج" ليس علاجاً للسرطان.

مجلة "أخبار العلم"

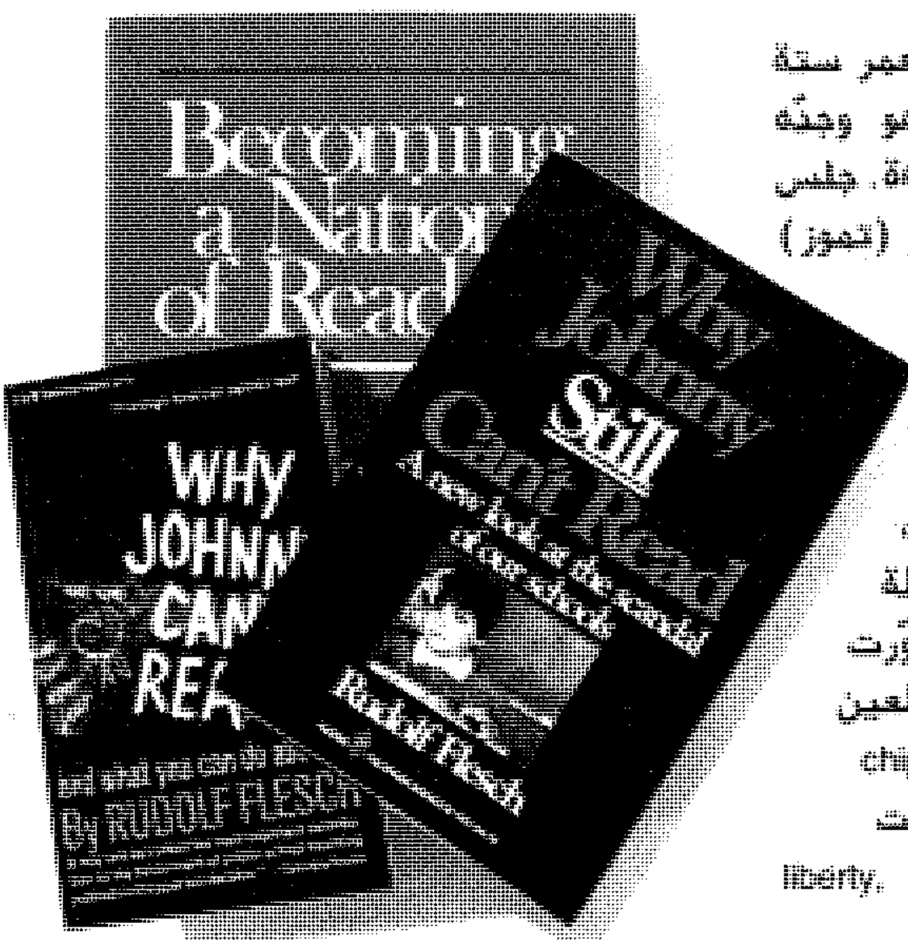
الطب المنزلي

أظهرت الاختبارات التي أجريت على برنامج أمريكي حديث للعناية الصحية الذاتية أن من الممكن معالجة بعض الأمراض الثانوية في البيت وبالتالي خفض التكاليف الطبية الباهظة. وفي مجلة الاتحاد الطبي الأمريكي يخبرنا الدكتور دونالد فيكيري أستاذ الطب العيادي في جامعة جورجتاون في واشنطن كيف ان ١٦٢٥ عضواً في جمعية للرعاية الصحية الذاتية اشتركوا في برنامج تعليمي دام سنةً كاملة. وقسمت المجموعة فئتين، دُرّبت احداهما على مبادىء الطب العائلي بمساعدة الكتب والمناشير والخدمات الطبية الهاتفية، فيما لم تتلقَّ الفئة الاخرى أي تدريب من هذا النوع. وجاءت النتيجة أن زيارة أفراد الفئة الاولى للأطباء تدنت بنسبة ١٧ في المئة، مع ما يستتبع ذلك من انخفاض في التكاليف الطبية.

اذاعة "وستنفهاوس"

بين الامور التي يخجل بها الامريكي أن في بلاده ٢٧ مليون أمي! ويعزو بعض المربين هذه الظاهرة الى الاسلوب في تعليم اللغة الانكليزية والذي يعرف باسم "أنظر وانطق" ويقترح بديلا منه نظام "الاصوات أولا" الذي يقوم على العودة الى الابجدية. فهل تفيد من هذا الاسلوب الدول العربية التي تعتبر الانكليزية اللغة الثانية فيها، علماً أن العربية هي أصلا لغة صوتية.

هل جَرّبْتم الأسلوبَ الصّوْتي في تعليم الإنكليزية؟



بعدما أنهى لوك البالغ من العمر ستة أعوام صفوف الروضة، باشر هو وجدّه مشروعاً صيفياً: تعليم لوك القراءة. جلس الاثنان ذات صباح من شهر يوليو (تموز) وأمامهما لائحة بالكلمات التي تتألف منها الدروس الاثنان والسبعون الاولى. وسرعان ما تعلّم لوك كيف يلفظ خمسة احرف صوتية و١٧ حرفاً ساكناً، ومن ثم بدأ يقرأ كلمات بسيطة مثل: jam, nip, wag, hop . وتطوّرت اللوائح لتشمل كلمات من مقطعين أو أكثر مثل: chipmunk, kangaroo, snowball. وأخيراً تناولت كلمات طويلة مثل: independence, liberty, blueberries.

بعد ستة أسابيع استطاع لوك وهو في

مطعم مع العائلة أن يقرأ ورقة الحظ التي ترفق بقطع الحلوى للاطفال وعليها الجملة الآتية: "التخطيط الصحيح يعود بفوائد جمّة."

كيف استطاع لوك أن يتعلم القراءة بهذه السرعة؟

لقد استعان جدّه بالطريقة التي لا تخطىء لتعليم القراءة والمرتكزة على رمز الابجدية (١). فجميع الكلمات في اللغة الانكليزية، الا استثناءات قليلة، تنطبق تهجئتها على هذا الرمز الذي يتألف من أقل من ٢٠٠ حرف أو مجموعة حروف وكل منها يمثل واحداً أو أكثر من ٤٤ صوتاً في اللغة الانكليزية. وما ان يتعلّم التلميذ هذا الرمز حتى يصبح قادراً على القراءة.

جد لوك هو رودولف فليش رائد اصلاح أسلوب القراءة. ولا يزال كتابه الشهير "لماذا لا يجيد جوني القراءة" الذي نشر عام ١٩٥٥ يعاد طبعه حتى اليوم، وهو يحوي الدروس الاثنين والسبعين التي تعلمها لوك. وفي كتاب ملحق نشر عام ١٩٨١ بعنوان "لماذا لا يزال جوني عاجزاً عن القراءة كرر المؤلف فكرته لحل الازمة في مدارس الولايات المتحدة. واليوم تبنى تقرير رسمي أعد في وزارة التربية الامريكية الحاح فليش على وجوب تدريس الرمز الابجدي.

سيناريو للعالم الثالث – في كتابه الاول قال فليش: "ان أسلوب القراءة في الولايات المتحدة يتعارض مع كل منطق ومعقول." وأضاف موضحاً انه في الثلاثينات، من أجل وضع حد لما دعاه أحد الأساتذة "الجهد المضني" في المدارس، بدأ مدرسو اللغة في الولايات المتحدة يتخلّون عن الرمز الابجدي ويعلّمون الاطفال كيف يحدسون – ويتذكرون – معاني عشرات الالوف من الكلمات التي يرونها مطبوعة أمام أعينهم.

وأعلن فليش حديثاً: "ان ما أقترحه هو في منتهى البساطة: عودوا الى الابجدية. علموا التلاميذ الصغار الاصوات الاربعة والاربعين في اللغة الانكليزية وطريقة تهجئتها. وعندئذ يصبحون قادرين على لفظ كل كلمة في الصفحة سطراً بعد سطر." والاسلوب الذي دعا اليه أصبح يعرف بأسلوب "الاحرف الصوتية أولا".

يوضح فليش فكرته: "عندما تبدأ بالاحرف الصوتية، فأنت تعلم الطفل كيف يقرأ كلمة fish (سمكة) مثلا بتلقينه كيف يلفظ الحرف f ثم i ثم sh. بعد ذلك تطلب منه أن يمزج هذه الاصوات بحسب ترتيبها فيلفظ الكلمة fish. أما التعليم بطريقة "أنظر وأنطق" فبه تعطي الطفل صورة سمكة طبعت تحتها كلمة fish وتحضّه على تذكر هذه المجموعة من الاحرف التي تتركب منها الكلمة. وتكرر ذلك مرة بعد مرة آملا أن يتذكر الطفل شكل كلمة fish وما تعنيه. وتتبع الاسلوب نفسه لتلقينه ألوفاً من الكلمات."

يصرّ فليش على أن معظم ما في هذا الاسلوب ليس قراءة، بل حدس. ويقول: "ان ٩٠ في المئة من المدارس الامريكية لا تعلّم القراءة أبداً. توضع الكتب أمام التلاميذ ويطلب منهم أن يحدسوا كيف

(١) Alphabetic code

تقـرأ الكلمات المطبـوعة، او انهم ينتظرون حتى تقرأ المعلمة لهم." وهكذا تستمر القراءة بالحدس.

ويحمّل فليش أسلوب "أنظر وانطق" مسؤولية تفشي الامية على نحو مخيف. ان ٤٧ مليون أمريكي هم أميون عملياً، و٤٥ مليوناً آخرين يحسنون القراءة بنسبة ضئيلة. ويزداد عدد البالغين العاجزين عن القراءة في الولايات المتحدة بنحـو مليونين و٣٠٠ ألف سنوياً. وعلى أساس هذه النسبة، يقول فليش، "ستنضم أمريكا بعد زمن قصير الى صفوف الدول ذات المستوى الثقافي المتدني مثل بنغلادش وهايتي وأوغندا."

الاحرف الصوتية اولا - أطلقت انتقادات فليش الصارمة فيضاً من الاتهامات من دعاة الوضع القائم الذين لا يزالون متمسكين بطريقة "أنظر وانطق". ونعته بعض الصحف بأنه دجال وجاهل ويشكل خطراً على الثقافة.

اما فليش الذي نال درجة دكتوراه من دار المعلمين في جامعة كولومبيا، فيرد ان منتقديه يتصرفون وكأن القارىء المبتدىء يتعلم لغة أجنبية. ويضيف: "لكن الابحاث الحرة أثبتت أن الطفل الامريكي العادي يأتي الى المدرسة وهو يجيد نطق ٢٤ ألف كلمة في لغته وسماعها ايضاً. وتعليم القراءة هو، ببساطة، تلقين الطفل نظاماً من الرموز يمثل اللغة التي يعرفها جيداً."

وذكر فليش في كتابه الاول: "منذ العام ١٥٠٠ قبل الميلاد، وحيثما استخدم نظام أبجدي للكتابة، ظلّ الناس يتعلمون القراءة بكل بساطة من طريق استظهار صوت كل حرف من حروفهم الابجدية، الا في أمريكا القرن العشرين. اننا طرحنا ٣٥٠٠ سنة من الحضارة."

الطريقة الحديثة "أنظر وانطق" بدأت لدى أساتذة التربية في جامعتي كولومبيا وشيكاغو. وهناك طوّرت سلسلة كتب "ديك وجين" (Dick and Jane) وسواها من سلاسل كتب القراءة "الاساسية". ويقول فليش: "زعمت هذه الكتب انها تجعل القراءة غير مرهقة أبداً للاطفال." واليوم تتبع ٩٠ في المئة من مدارس الولايات المتحدة طريقة "أنظر وانطق".

في غضون ٥٥ سنة انقضت على طريقة "أنظر وانطق" أجريت أبحاث عدة حول فاعليتها. وذكر فليش في كتابه الثاني: "أجرت ١٢٤ دراسة من هذه مقارنة بين طريقة "تعلم الاصوات أولا" وطريقة "أنظر وانطق"، ولم تثبت واحدة منها تفوق الطريقة الثانية."

"ها! لم أفهم" - تجاهلت الهيئات التعليمية القائمة أسلوب فليش، لكن حكومة الولايات المتحدة اهتمت له، فأقرت في تقرير أعد حديثاً بعنوان "لكي نصبح أمة من القرّاء" أن فرضيات فليش الأساسية صحيحة. وهذا التقرير الذي أعد باشراف وزارة التربية جاء نتيجة جهد استغرق سنتين للجنة من تسعة أعضاء في رئاسة ريتشارد آندرسن من جامعة ايلينوي عينت لدرس موضوع القراءة. وينصح التقرير بأن "يقدم مدرّسو القراءة الابتدائية تلقيناً للصوتيات مصمماً على نحو صحيح."

ويضيف التقرير ان معظم برامج تعليم القراءة يستخدم الصوتيات (phonics) على نحو عَرَضي. فيكتب المعلم على اللوح الاسود لائحة من الكلمات مثل: sand, soft, slip ويدع الصغار يكتشفون أنها كلها تبدأ بحرف «S» . عندئذ فقط يقال لهم ان الحرف «S» يمثل الصوت الذي يسمعونه في بداية هذه الكلمات. ويؤكد فليش ان مثل هذا "التحليل الصوتي" ليس تلقيناً صوتياً أبداً، فالتلاميذ يحفظون أشكال الكلمات sand, soft, slip قبل وقت طويل من تلقينهم سر صوت الـ «S» .

ينتقد فليش كذلك الافراط في استخدام الكلمات الشائعة التي لا تكتب كما تلفظ تماماً. والنتيجة أن كتب "أنظر وانطق" تعوق التلميذ عن ادراك الصلة التي قد يلاحظها الصغير بين الحروف وصوت الكلمة التي تؤلفها.

ويقدم نصاً انكليزياً من ثلاث جمل يحوي ١٧ كلمة (٢) لا تنطبق قواعد التهجئة على معظمها حين يقارن التلميذ كلمة بأخرى مشابهة لها شكلا ومختلفة لفظاً. فبحسب هذه القواعد ينبغي أن تلفظ have مثل save وcome مثل home و said مثل maid و to مثل so وyou مثل thou. ويقول ان التهجئة الشاذة لهذه الكلمات تمنع التلميذ من تعلّم الرمز الابجدي. وكلما رأى كلمة غير مألوفة لم يسبق أن حفظها، لا يسَعه سوى أن يحدسها من مجمل النص." ويخلص فليش الى القول ان أمريكا أصبحت "أمة تتبع خلا مبرمجاً."

في كتاب "جوني" الاول فصل يبيّن مساوىء طريقة "أنظر وانطق" جاء فيه: "ان طفلا قرأ كلمة "أولاد" في بطاقة عرض مدرسية لكنه عجز عن قراءتها في كتاب، وهو أصرّ على انه لم يرَ هذه الكلمة من قبل. وحين عرضت عليه البطاقة وسئل كيف استطاع قراءة الكلمة عليها أجاب: عرفتها من هذه اللطخة على طرفها."

يؤكد فليش أن تطبيق الاسلوب الصوتي في التعليم يتيح للتلميذ أن يتعلّم القراءة في منتصف الصفِ الاول. ويزيد: "يجب ألا تكون ثمة "مستويات" في القراءة. وعندما يتعلم الطفل كيف يقرأ يبدأ القراءة. ولا يتعيّن عليه أن يقضي ساعات في رسم دوائر حول الحروف الصامتة في دفاتر التمرين."

ويشير تقرير اللجنة التي كلفت دراسة موضوع القراءة الى أن "التلاميذ الصغار يدركون غالباً عدم جدوى ملء دفاتر التمارين صفحة بعد صفحة. وقال أحدهم: "ها! لم أفهم المطلوب. لكنني أكملت التمرين."

قصص نجاح – تحقق صناعة كتب القراءة الاساسية في الولايات المتحدة عائدات تصل الى ٣٠٠ مليون دولار سنوياً. والكلفة الاجمالية لنسخة واحدة من مواد القراءة للتلميذ الواحد في برنامج كامل قد تزيد على ٣٠٠ دولار. وجاء في تقرير اللجنة: "ان دور النشر الكبرى تستثمر ما يربو على ١٥ مليون دولار في انتاج برامج جديدة للقراءة

---

(٢) «We have come, Grandma,» said Ana. «We have come to work with you.»
«Come in,» Grandma said.

الاساسية." وقال التقرير: ان معظم هذه البرامج يبدأ في روضة الاطفال ويستمر حتى الصف الثامن. والبرنامج الكامل للقراءة الاساسية يقتضي كدسة من الكتب يبلغ ارتفاعها ١٢٥ سنتيمتراً.

بارقة الضوء وسط هذه الظلمة لاحت في روشستر بولاية نيويورك. ففي العام ١٩٧٤ أخذت مدارسها تسجل طلاباً يعانون مشاكل في القراءة بمعدل تجاوز قدرة المدرسين المتخصصين على حلها. وتقول احدى هؤلاء وهي ماري بوركهارد في مقدمتها لكتاب "لماذا لا يزال جوني عاجزاً عن القراءة": "المشكلة كانت أن تلاميذ الصف السادس ظلوا يحدسون في قراءة الكلمات." ونتيجة ذلك بقي الطلاب دون المستوى العام لهذا الصف.

في تلك السنة عين مجلس المدارس في روشستر السيدة بوركهارد مديرة لتعليم القراءة. وأدى هذا التعيين الى ادخال أسلوب "الاصوات أولا" على ٤٦ مدرسة ابتدائية. وتقول بوركهارد: "كان التغيير عسيراً. ورأت احدى المدرسات القديمات أننا نرتكب خطأً كبيراً. ولكن في غضون بضعة أشهر جاءت لتخبرني: انني درّست القراءة طوال عشرين سنة، لكن تلاميذ الصف الاول لم يسجلوا تقدماً كما في هذه السنة. كنت أحسب من قبل أني أدرّس القراءة حقاً."

بعد مضي خمس سنوات بلغ طلاب روشستر قدرات تخطت المستوى العام للصفوف الابتدائية. وبادرني أحد أصحاب المكتبات: "ان أولادنا في الصف الثاني اليوم يقرأون كما كان يقرأ تلاميذ الصف الخامس."

ويروي المسؤولون في مدارس مونت فرنون (نيويورك) وكوربوس كريستي (تكساس) وسكوتسدايل (آريزونا) وعدد من المدارس الرسمية في مدينة نيويورك قصص نجاح مماثلة. وتحولت مدارس أخرى في غراس فالي (كاليفورنيا) وبواز (ايداهو) وبيتسبرغ الى أسلوب "الاصوات أولا" متأثرة بقصص نجاحه.

لماذا لا يلغى أسلوب "أنظر وانطق" نهائياً ليحل محله أسلوب "الاصوات اولا"؟ يقول مايكل برونر أحد كبار المسؤولين في وزارة التربية الامريكية: "معظم أعضاء الهيئة التعليمية القائمة يرفضون، نظرياً وعملياً، المنحى الصوتي في تعليم القراءة. وكثيرون من الاساتذة الذين يؤلفون الكتب لا يزالون متمسكين بأسلوب أنظر وانطق."

ماذا يستطيع ولي الطالب أن يفعل؟ عليه أن يتحرى الاسلوب المطبق في مدرسة ولده ويطالب بتطبيق أسلوب "الاصوات أولا". وأفضل الطرق لمعرفة ما اذا كان الكتاب يعتمد الطريقة الصوتية هي أن يرى ما اذا كان الفصل الاول فيه يعالج الاحرف الصوتية وغير الصوتية، منفردة وفي كلمات.

من بين أعز مكاسب معركة فليش التحارير التي ترده من أولياء طلاب يعبرون عن تقديرهم بعدما استعانوا بالدروس التي ذيل بها كتابه "لماذا لا يجيد جوني القراءة" وهي الدروس التي تلقاها لوك. وكتبت أم من لويسفيل بولاية كنتاكي ان ابنها ذا الاعوام التسعة كان عاجزاً عن تعلم القراءة واعتبر معاقاً. وأضافت: "استعنت بالتمارين التي

وضعتها. ولدى بلوغ دان الصف السادس أصبح في المستوى العام للصف ومتقدماً ثلاث سنوات في حفظ المفردات."

وكتب أب من نيوجرزي: "قبل ٣٠ سنة وقعت على كتابك "لماذا لا يجيد جوني القراءة" واستعنت به لتعليم أولادي الذين كانوا دون سن الالتحاق بالمدرسة.

واليك الآن تقريراً عن تقدمهم في العلم: سنثيا تخرجت في جامعة برنستون عام ١٩٨٠، فيليب تخرج في كولغايت عام ١٩٨٣، ادوارد تخرج في جامعة بوسطن عام ١٩٨٥، فريدريك سيتخرج في جامعة هارفرد عام ١٩٨٨. شكراً لك."

ادوارد زيغلر ■

طبيبة بيطرية

وعدتنا طالبة متخرجة في الطب البيطري، نحن الذين تقاسمنا واياها غرفة العمل والمختبر، بأنها ستذكرنا جميعاً في أطروحتها حيث تقر بفضل الذين عاونوها.

ولم تخلف الوعد. وجاءت الاطروحة المجلدة تشكر لنا تعريف الزميلة بالمعنى الحقيقي لكلمة «Pygalgia» . وسارعنا الى البحث في المعجم الطبي واكتشفنا أن هذه الكلمة تعني: "ألماً غير محدد في عضلات المؤخرة."

م.ج.

بريد القراء

يتلقى بريد القراء في الصحف الرائجة ملايين الرسائل من اناس يسعون الى اقامة علاقات يتقاسمون فيها مشاغلهم. ومنهم الممتنعون عن التدخين والمتحررون من قيود المجتمع ومحبو المسارح والاسفار والتمشي في الخلاء.

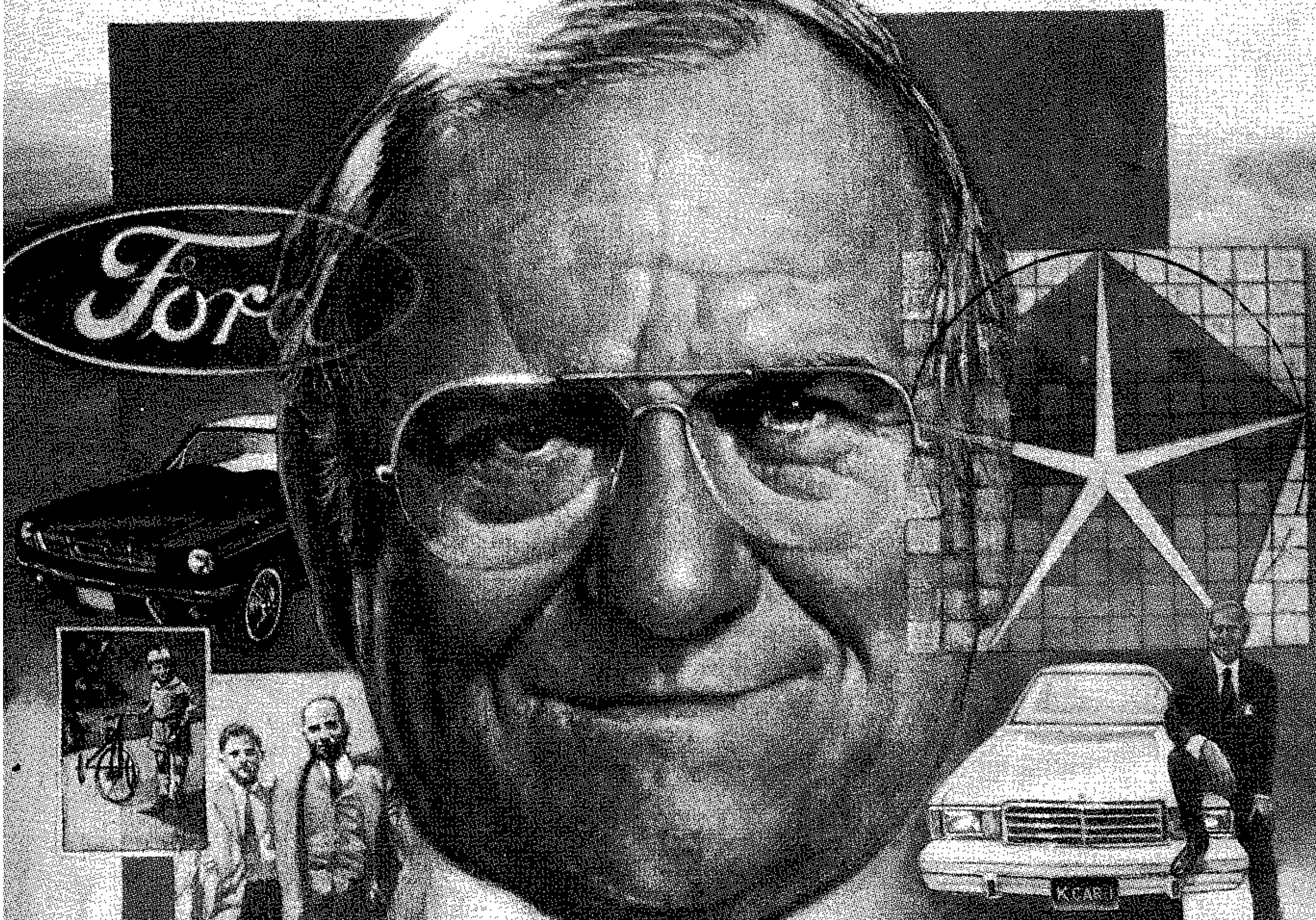
وعلى غرار البريطانية التي كتبت متسائلة عما اذا كانت تعيش على غير الكوكب الذي خلقت له، هناك أناس كثيرون غير واثقين من صحة وضعهم في هذا الكون. كثيرون يعتقدون ان "الافضل هو ما سيأتي به الغد،" على رغم وفرة الدلائل على نقيض ذلك.

الامريكيون يسارعون الى القول انهم يبدون أصغر سناً مما هم في الحقيقة. ولا يحاول أي منهم أن يعرّف بنفسه بتواضع امرأة انكليزية عمرها ٣٣ سنة قالت انها "امرأة عادية".

ان يكون المرء عادياً، بينما كل من حوله يتباهى بأنه نشط وذكي وحساس وجذاب، يعني ان هذا المرء هو غير عادي. ولهذا السبب نراهن على أن المرأة العادية هي التي تلقت رسائل للتعارف أكثر من جميع المراسلين الآخرين.

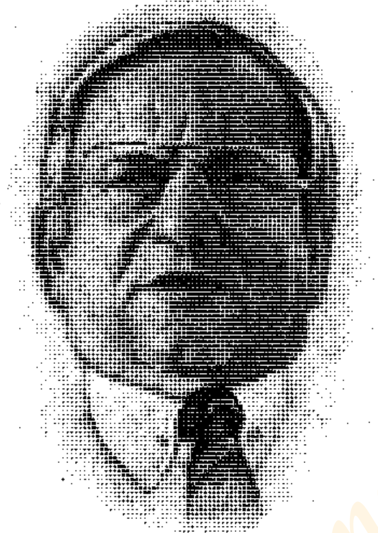
صحيفة "نيويورك تايمس"

كتاب الشهر



ياكوكا
الأيطالي الآخر

ياكوكا



الأيطالي الآخر

رجل الأعمال لي ياكوكا، الايطالي الاصل، هو أسطورة، فقد تمكن هذا الرجل الذي يتسم بالصراحة وشدة المراس من إنقاذ شركة كرايزلر الامريكية من كارثة محققة. وها هو الآن يكشف في سيرته الذاتية أسراراً عن حياة حافلة بالكفاح والنجاح يتضح من خلالها - أنه لم يكن فقط واحداً من أصلب الرؤساء الاداريين وأكثرهم فلاحاً بل كان أيضاً تجسيداً لحلم

لم أكن في صغري أختلف كثيراً عن سواي من أبناء المهاجرين، غير أني لم ألبث أن تدرّجت في حياتي لأصبح رئيس شركة فورد للسيارات. وعندما وصلت أخيراً إلى هذا المنصب أحسست أني بتّ في قمة هذا العالم. إلا أن القدر كان لي

Condensed from «Iacocca: An Autobiography,» copyright © 1984 by Lee Iacocca,
Published by Bantam Books, Inc., New York. Illustrations: George Angelini

بالمرصاد فخاطبني قائلا: "تريّث أيها الرجل، فقد آن الأوان كي تنزل من عليائك التي أنت فيها!"

في ١٣ يوليو (تموز) ١٩٧٨ طردت من شركة فورد بعدما امضيت في رئاستها ثماني سنوات وبقيت موظفاً فيها مدة ٣٢ سنة. والواقع أني لم اعمل قبلا في أي مكان آخر، وفجأة ألفيت نفسي عاطلاً عن العمل فانتابني كرب شديد.

في ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) الذي كان آخر يوم عمل لي في الشركة، أوصلني سائقي إلى "مركز فورد للعالم" في مدينة ديربورن (ولاية ميشغان). وقبل أن أغادر منزلي ذلك اليوم قبّلت زوجتي ماري وابنتيّ كاثي وليا اللواتي برّح بهنّ الألم في الأشهر الأخيرة التي أمضيتها لدى فورد. ثم خرجت وقد استبد بي الغضب فقلت في نفسي: إذا كنت أنا مسؤولاً عن مصيري فما ذنب ماري والفتاتين؟ ولا ريب في أن الألم الذي أصابهن لا يزال يرافقني الى اليوم.

والواقع أن "استقالتي" قضت بإعطائي حق استعمال أحد مكاتب الشركة إلى أن أحظى بعمل جديد. ولم يعدُ هذا المكتب أن يكون مستودعاً للبضائع يشبه المهجع ويحوي طاولة صغيرة وهاتفاً. وقد سبقتني اليه سكرتيرتي دوروثي كار التي كانت الدموع تترقرق في عينيها. ولم تنبس دوروثي بأي كلمة، لكنها أشارت الى أرض الغرفة المغطاة بمشمّع مهترىء وإلى فنجانَي القهوة الموضوعين على الطاولة. وبدا لي أنني أعيش في المنفى.

لقد كنا نعمل أنا ودوروثي قبل يوم واحد فقط في مكان بادي الفخامة إذ كان مكتب الرئيس يضاهي في حجمه جناحاً في فندق ضخم. وكان لي فيه حمام خاص وموضع أخلد فيه الى الراحة. وكان في المكتب أيضاً خدم بيض الثياب متأهبون لتنفيذ أوامري طوال النهار.

لا شك في أن المرء يواجه في حياته ألوفاً من الصعوبات الطفيفة، الا أنه يواجه أيضاً صعوبات كبيرة حقاً هي في الواقع لحظات حساب أو ساعات مواجهة الحقيقة، وعلمت أنه مرّت عليّ آنذاك لحظات مماثلة. فهل أتخلى عن مهنتي وأتقاعد؟ الحق أني كنت في الرابعة والخمسين وتمكنت من تحقيق إنجازات كبيرة. ولم تكن لدي أي مشكلة من الناحية المالية إذ كان في وسعي أن أترك العمل وأنصرف إلى لعب "الغولف" بقية حياتي. غير أني أحسست أن هذا الخيار لم يكن صحيحاً وعلمت أنّ عليّ ان استجمع قواي وأتابع طريقي.

لقد كان في مقدوري أن أتحمل الألم الشخصي، إلا أني كنت عاجزاً عن تحمل الاهانة التي وجهت إليّ عمداً أمام الملأ. فحنقت أشد الحنق ووجدت أنّ عليّ اختيار أحد أمرين، أولهما أن أنتقم من نفسي وأصل إلى ما لا تحمد عقباه، وثانيهما أن أزوّد نفسي جزءاً من تلك الحيوية وأحاول إنجاز عمل بنّاء.

والواقع ان ذلك الصباح الذي أمضيته في المستودع حداني على قبول منصب رئاسة شركة كرايزلر بعد أسابيع معدودة. وبدا أني كنت كمن يستجير من الرمضاء بالنار، لكني غدوت اليوم بطلاً بعدما تمكنت من التغلب على محنتي بقوة

عزيمتي وحسن حظي ومساعدة طائفة من ذوي النفوس الطيبة. وسأشرع الآن في رواية قصتي.

سوف تشرق الشمس

عندما وصل والدي نيكولا ياكوكا إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٢ كان لا يزال فتى في الثانية عشرة تبدو عليه أمارات الفقر والوحدة والخوف. وكثيراً ما كان يقول إن الأمر الوحيد الذي كان يعلمه يقينا لدى وصوله هو أن الأرض كروية. ولم



مع أبي عام ١٩٣٤

يكن من سبب في ذلك سوى أن فتى إيطالياً آخر يدعى كريستوفر كولمبوس كان سبقه الى أمريكا بنحو اربعمئة وعشرة أعوام. وفيما كانت السفينة تدخل ميناء نيويورك وقع نظره على تمثال الحرية الذي يعتبره ملايين من المهاجرين رمزاً للأمل عظيماً. وكان نيكولا يرى أنّ أمريكا هي بلد الحرية وأنّ المرء يمكنه أن يحقق فيها ما يشاء إذا عقد العزم على تحقيقه وعمل جاداً في هذا السبيل.

كان هذا هو الدرس الوحيد الذي علّمنا إياه والدي. وأرجو أن أكون وفقت إلى الاقتداء به.

لقد ترعرعت في ألنتاون (ولاية بنسيلفانيا) وتبين لي أن العلاقة بين أفراد أسرتي وثيقة جداً حتى إنني كنت أحسّ أحياناً أننا شخص واحد مكوّن من أربعة أجزاء. وكان والداي يدأبان على أن يجعلاني ويجعلا أختي دلما نُحس بأهميتنا وبمكانتنا الخاصة لديهما. ولم يكن انهماك والدي في شؤون أخرى كثيرة يحول البتة دون أن يمنحنا جزءاً من وقته. أما والدتي أنطوانيت فلم تكن تدّخر أي جهد كي تطبخ لنا الطعام الذي نشتهيه. وكان والداي، على غرار سواهما من الايطاليين، يبديان عاطفتهما أمام الناس ولا يقتصران على إظهارها في المنزل. وكنت ألْحَظُ أن معظم أصدقائي لا يعانقون آباءهم. وأظن أنهم كانوا يخشون أن يُعدّ ذلك لوناً من ألوان الضعف وعدم الاستقلال. أما أنا فلم أكن أدع فرصة تفوتني كي أهبّ إلى معانقة والدي، وكنت أشعر أن هذا أمر طبيعي جداً.

وربما كان والدي مسؤولاً عن نزوعي إلى التجارة. وأذكر أنه كان يملك في إحدى الفترات دارين للسينما. وقد أخبرني بعض سكان ألنتاون القدامى أن والدي

كان ماهراً جداً في الترويج لأفلامه بحيث كان الاولاد الذين يحضرون لمشاهدتها بعد ظهر السبت يتمتعون بعروضه الخاصة أكثر مما يتمتعون بالأفلام التي يشاهدونها. ولا يزال الناس يتحدثون بأنه أعلن مرة أن الاولاد العشرة الذين يبزّون أترابهم في اتساخ وجوههم سيشاهدون الفيلم مجاناً.

وفي ما يتصل بوضعنا الاقتصادي فقد مرّت على أسرتي أوقات فرج وأوقات شدة. ففي العشرينات كنا في حال حسنة نحن وكثيرون من الأمريكيين، بل إنه مرت علينا سنوات كنا نعدّ فيها من الموسرين. إلا أن مرحلة الانهيار الاقتصادي لم تلبث أن أطلّت وتركت في نفوس الذين عايشوها آثاراً لا تمحى. وفي تلك الفترة خسر والدي ماله جميعاً وكدنا نفقد منزلنا. وأذكر أني سألت مرة أختي التي تكبرني ببضع سنوات إذا كان علينا أن نتخلى عن ذلك المنزل وكيف يمكننا العثور على منزل آخر. وعلى رغم أني كنت في السادسة أو السابعة آنذاك فإن الخوف من المستقبل لم يفارقني إلى الآن.

وفي تلك السنوات العسيرة بدت والدتي واسعة الحيلة وأظهرت أنها أم مهاجرة حقاً وأنها عمود الأسرة الفقري. وكثيراً ما كان طعامنا يقتصر على حساء العظام الرخيص، لكننا كنا نجد دائماً كفايتنا من الطعام. وحين أخذ الانهيار الاقتصادي في الازدياد بدأت والدتي تخيط القمصان في مصنع للحرير. واللافت أنها كانت تؤدي عملها هذا وسواه من الأعمال التي تضطر إلى تأديتها برضا.

ومن الواضح أن إيماننا بالله كان خير معين لنا في تلك المرحلة.

وكانت فكرة والدي المأثورة هي أنّ في الحياة يسراً وعسراً وأنّ على كل امرىء أن ينال نصيبه من البؤس والشقاء. وكثيراً ما كان يقول لي حين يجدني مضطرباً في أثر إحساسي بالخيبة: "عليك أن ترضى بمقدار من الحزن في هذه الحياة لأنك لن تعرف حقاً معنى السعادة إذا لم يكن لديك ما تقارنه بها." وفي الوقت نفسه كان يكره أن يرانا متكدرين فيقول لي عندما تبدو الأشياء قاتمة: "كل ما عليك أن تفعله هو الانتظار، فالشمس ستشرق لأن هذا دأبها."

وعندما علمت أننا من أصل إيطالي كنت جاوزت الحادية عشرة من عمري. وكل ما كنت أعلمه قبل ذلك هو أننا ننتمي إلى بلد حقيقي من دون أن أعرف اسمه أو حتى موقعه.

والواقع أن الايطاليين كانوا يحاولون في تلك الحقبة إخفاء حقيقة أصلهم إذ كان معظم سكان ألنتاون من أصل ألماني. وقد عانيت في طفولتي الظلم وسوء المعاملة من هؤلاء السكان لأنني كنت مختلفاً عنهم.

وأذكر أنني لم أكن في صفي الضحية الوحيدة لهذا التعصب الأعمى بل شاركني في تحمل الجور تلميذان آخران.

والصحيح أن ما كابدته في صغري من جراء هذا التعصب ترك في نفسي أثراً لا يزول. ومن سوء الحظ أني شهدت ألواناً منه حتى بعد مغادرتي ألنتاون. وهو لم يبدر هذه المرة من تلاميذ في المدرسة بل بدر من رجال ذوي مناصب كبيرة وسلطة

عالية ومكانة مرموقة في ميدان صناعة السيارات.

على أن حياتي في المدرسة كانت في ما عدا ذلك سعيدة جداً. وكان أهم ما تعلمته فيها أن أحسن التعبير عن نفسي وأجيد الاتصال بالآخرين. وقد كانت الآنسة رابر، أي معلمتنا في الصف الأول التكميلي، تطلب منا أن نقدم اليها صباح كل اثنين موضوعاً من خمسمئة كلمة. وفي الصف كانت تمتحن مقدرتنا اللغوية من خلال مجلة "ريدرز دايجست" فتعمد إلى الصفحة الخاصة بالمفردات(★) وتنزعها من المجلة وتطلب منا الاجابة عن الأسئلة المطروحة فيها من دون إنذار سابق.

في طريق الصعود

في شهر أغسطس (آب) ١٩٤٦ بدأت أعمل في شركة فورد كمهندس متمرن بعدما حزت شهادات في الهندسة من جامعتي لهاي (ولاية بنسيلفانيا) وبرنستون (ولاية نيو جرزي). وكان برنامجنا في الشركة يكوّن حلقة كاملة إذ كان على المتمرنين أن يمضوا وقتاً كافياً في التدرب على كل مرحلة من مراحل صناعة السيارة. وأذكر أني أنفقت أربعة أسابيع في الطور النهائي الذي تجمع فيه أجزاء السيارة. واتفق أن حضر والداي يوماً لزيارتي، وعندما شاهدني أبي في ثوب العمل ابتسم قائلا: "لقد أمضيت سبعة عشر عاماً في الدراسة، فانظر كيف يكون مصير الأغبياء الذين لا يتفوقون على أقرانهم في الصف."

بعد تسعة أشهر على التحاقي بهذا البرنامج قررت التوقف عن متابعة الهندسة وبتّ أتشوق إلى العمل في ميدان أشد إثارة أي في التسويق والمبيعات. وعرفت أني أفضل العمل مع الناس على العمل مع الآلات الصماء. ولم ألبث أن تركت البرنامج والتحقت بوظيفة في قسم المبيعات في شستر (ولاية بنسيلفانيا). وقد كنت خجولاً تعوزني اللباقة آنذاك وكان يبدو عليّ الاضطراب كلما أمسكت سماعة الهاتف.

ويرى بعض الناس أن البائعين الناجحين يولدون كذلك لأن البراعة في البيع موهبة وليست علماً. غير أني كنت أفتقر إلى تلك الموهبة الفطرية وكان معظم زملائي يبدون أكثر راحة وانفتاحاً مني. وفي السنتين الاوليين اللتين صرفتهما في عملي الجديد كان يغلب عليّ التفكير النظريّ والتكلف. والواقع أن تعلم مهارات البيع يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير، وهذا أمر يفوت ادراكه عدداً من الشباب. فهم يتطلعون بإعجاب مثلا إلى رجل أعمال ناجح من دون أن يفكروا في الأخطاء التي ربما كان ارتكبها في شبابه. فالأخطاء جزء من الحياة وتحاشيها ليس ممكناً. وكل ما نستطيعه في هذا المقام هو أن نأمل في أن تكون كلفة هذه الأخطاء غير باهظة وألا نكرّر الخطأ الذي نرتكبه.

لقد تعرفت أثناء عملي في شستر إلى رجلٍ فذّ يدعى شارلي بيشام ترك في حياتي أثراً عميقاً لا يفوقه سوى الأثر الذي تركه والدي. وكان هذا الرجل أولفاً بارزاً يرجع أصله إلى الجنوب ويشغل في

(★) ما يوازي "دائرة المعارف" في "المختار".

شركة فورد منصب مدير عام لمنطقة الساحل الشرقي. وقد بدأ شارلي حياته المهنية مهندساً متمرناً مثلي ثم انتقل إلى مجال المبيعات والتسويق. ولم أعرف في حياتي المهنية رئيساً يضاهيه إخلاصاً في إسداء النصائح إلى الموظفين. فهو كان يرضى بأن يرتكب الموظف أخطاء بشرط أن يتحمل مسؤوليتها. وكان يقول في هذا الصدد: "تذكروا دائماً أن كل إنسان يرتكب أخطاء، لكن المشكلة هي أن معظم الناس لا يتحملون مسؤولية أخطائهم. فعندما يرتكب شخص ما خطأ يحاول أن يلقي اللوم على زوجته أو خليلته أو أولاده أو كلبه أو الطقس لكنه لا يلقيه أبداً على نفسه. فإذا ارتكب أحدكم خطأ فأرجو ألّا يقدم إليّ أعذاراً وآمل في أن ينظر إلى نفسه في المرآة أولا قبل أن يأتي إليّ."

عام ١٩٥٣ أصبحت مساعداً لمدير المبيعات في منطقة فيلادلفيا. وفي ١٩٥٦ قررت شركة فورد التركيز على ضمان السلامة في صناعة السيارات بدلا من التركيز على السرعة وقوة المحرك.

إلا أن الحملة الاعلامية التي تبعت هذا القرار أخفقت في الترويج للسيارات المصنوعة على أساسه وتدنت نسبة البيع على نحو واضح وعرفت منطقتنا أدنى نسبة في البلد كله، فقررت أن أتيح للزبون فرصة الحصول على سيارة فورد جديدة من صنع عام ١٩٥٦ في مقابل أن يدفع عشرين في المئة من ثمنها على أن يدفع ٥٦ دولاراً شهرياً في السنوات الثلاث التالية. وكان تقسيط ثمن السيارة على هذا النحو في متناول كل شخص تقريباً فأملت في أن يحقق هذا العرض في منطقتنا زيادة في المبيعات ودعوت فكرتي "٥٦ في مقابل ٥٦."

في ذلك الوقت باتت فكرة التمويل لشراء سيارات جديدة أكثر انتشاراً وراجت سيارات فورد في منطقتي رواجاً كبيراً. وفي خلال ثلاثة أشهر فقط غدت نسبة المبيع في منطقتي أعلى منها في أي منطقة أخرى. وفي ديربورن (ولاية ميشغان) ابدى روبرت س. ماكنمارا (الذي كان نائباً لرئيس شركة فورد بالوكالة وأصبح وزيراً للدفاع في عهد الرئيس جون كينيدي) اعجابه بالخطة التي اعتمدتها وجعلها جزءاً من استراتيجية التسويق القومية في الشركة. وتبين له في ما بعد أنها كانت صاحبة الفضل في بيع ٧٥ ألف سيارة إضافية.

وهكذا حققت النجاح ما بين غمضة عين والتفاتتها بعدما أنفقت عشر سنين في الاستعداد لهذه اللحظة. وفجأة شاع ذكري في الشركة وباتوا يتحدثون عني في المراكز القومية. ولم ألبث أن أصبحت مدير منطقة واشنطن العاصمة.

ولم يمض وقت طويل حتى تزوجت ماري ماك كليري التي كانت موظفة لاستقبال الزبائن في مركز تجميع سيارات فورد في شستر. وكان مضى على لقائنا الأول ثماني سنوات كنا نتلاقى في أثنائها بين فترة وأخرى. غير أن سفري المستمر جعل علاقتنا تطول قبل الزواج. وأخيراً تم زواجنا في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٦.

وقد امضيت أنا وماري أشهراً عدة

ونحن نبحث عن منزل في واشنطن. إلا أننا لم نكد نشتري واحداً حتى اتصل بي شارلي بيشام وقال لي: "سوف تنقل من مكانك هذا." فقد بات شارلي الرئيس المسؤول عن بيع السيارات والشاحنات في شركة فورد ونقلني الى ديربورن كي أكون مديره المحلي لتسويق الشاحنات. وفي خلال عام أصبحت رئيس قسم تسويق السيارات، وفي شهر مارس (آذار) ١٩٦٠ بت أشغل كلا الوظيفتين.

والحق ان رئيسي الجديد روبرت ماكنمارا كان رجل أعمال ناجحاً لكن زوجته كانت أقرب إلى عقلية المستهلك. فهو كان من دعاة الفكرة القائلة بأن السيارة النافعة التي تلبي حاجات الناس الضرورية هي خير السيارات. ولم يكن يرى أي جدوى في صنع معظم السيارات الفخمة ذات الاشكال المتنوعة. غير أنه كان يوافق على صنع هذه السيارات لأنها تزيد في أرباح الشركة. وعلى رغم ان ماكنمارا كان ذا رأي مستقل فقد استمر يعمل وفاقاً لنظام الشركة لكونه مديراً فذاً وذا قيمة كبيرة جداً في هذه الشركة.

ومع أن الرجل كان يتطلع إلى رئاسة فورد فهو لم يكن يتوقع أن يصل اليها. وقد قال لي مرة: "لن أصل إلى هناك لأني لا اتفق اتفاقاً تاماً مع هنري." واتضح أن توقعه لم يصحّ، إلا أني أظن أنه لم يكن مخطئاً في المدى البعيد. فقد كان روبرت رجلا قوياً يناضل بشدة في سبيل ما يؤمن به. أما هنري فورد الثاني فكان ذا عادة قبيحة هي التخلص من الرؤساء الأقوياء. وفي التاسع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٠ بات ماكنمارا رئيساً للشركة وعينت أنا في منصبه أي نائباً ومديراً عاماً.

في ١٩٥٩ ظهرت سيارة "الفالكون" التي كان ماكنمارا يدعو الى صنعها. وكانت هذه السيارة الأمريكية الصغيرة الاولى. وهي في الوقت نفسه لم تكن غالية الثمن. وقد راجت هذه السيارة رواجاً عظيماً فبيع منها في السنة الاولى التي تلت ظهورها ٤١٧ ألفاً. وبدا واضحاً أن هذا الانجاز لم يسبق له مثيل في تاريخ صناعة السيارات.

ولكن على رغم هذا الرواج فان "الفالكون" لم تحقق الأرباح التي كنا ننشدها. فكونها سيارة اقتصادية صغيرة جعل هامش أرباحها محدوداً. وإلى ذلك فإنه لم تُصنع منها نماذج كثيرة مختلفة تمكن الشاري من الاختيار بينها وتزيد مدخولنا بمقدار كبير. من هنا عمدت، بعد تعييني في منصبي الجديد، إلى تطوير أفكاري القائلة بضرورة صنع سيارة تكون في آن مرغوبة وتحقق لنا الأرباح الطائلة.

"ياكوكا صنع هذه السيارة"

كانت السنوات التي أنفقتها وأنا مدير عامّ لشركة فورد أسعد سني حياتي. ففي عام ١٩٦١ كان التفاؤل يشع في الولايات المتحدة كلها. وبعث وجود كينيدي في البيت الأبيض نفحة جديدة راحت تهب على البلد برمته. ولا شك في أن كلمة "الشباب" تختصر هذا الواقع الجديد.

في تلك الفترة جمعت حولي فريقاً من الشباب اللامعين المبدعين وبتنا نتلاقى أسبوعياً في ديربورن في فندق "فيرلين

إن" الذي يبعد بضعة كيلومترات عن مكان عملنا كي نتناول العشاء ونتبادل الحديث. وكنا نجتمع في الفندق لأن كثيرين من موظفي الشركة الاداريين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر أن نمنى بإخفاق ذريع. فقد كنت نائباً للرئيس ليس له أي رصيد في إنتاج السيارات. ولم تكن هناك أي سيارة يشير اليها الناس ويقولون: "ياكوكا صنع تلك السيارة."

وتبين من الابحاث التي أجريناها على السوق أن الصورة الفتية التي تميزت بها الحقبة الجديدة كانت لها جذور راسخة في الواقع السكاني. فقد كان هناك ملايين من المراهقين الذين باتوا مستعدين لاستهلاك السلع التي يُدفع بها إلى الأسواق المحلية. وبدا واضحاً أن السوق كانت تبحث عن سيارة مناسبة.

ولا ريب في أن السيارة التي يمكن أن يعجب بها هؤلاء الزبائن الشباب ينبغي أن تتحقق فيها خصائص ثلاث هي: جمال الشكل والسرعة ورخص الثمن. ومن نافل القول ان تصميم سيارة كهذه ليس بالأمر السهل. ولكن إذا نحن تمكنا من صنعها فستتاح لنا الفرصة كي نصيب نجاحاً عظيماً.

في السبعة الاشهر الاولى من العام ١٩٦٢ أنتجت الشركة ما لا يقل عن ١٨ نموذجاً من الصلصال للسيارة المرجوّة. وكان عدد من هذه النماذج ذا شكل مثير إلا أن أياً منها لم يفِ بالغرض المطلوب.

وراح الوقت يمضي من دون أن نصل إلى مبتغانا فقررت إجراء مباراة بين المعنيين بهذا الشأن. وكان الفوز من نصيب ديف آش مساعد جو أوروس رئيس محترَف فورد. وعندما أنهى جو نصف العمل دعاني الى القاء نظرة على ما أنجزه. ولم أكد أرى النموذج حتى أدهشني. فعلى رغم أنه كان مجرد شكل مصنوع من الصلصال فقد خيّل إليّ أنه يتحرك. وحين رأى جو وديف سيارتهما أشبه بالحيوانات السنورية أطلقا عليها اسم "كوجر" (أي الأسد الأمريكي).

وكثيراً ما يكون اختيار اسم ملائم للسيارة أمراً بالغ الصعوبة. ومما يذكر في هذا الشأن أن جون كونلي الذي كان موظفاً في وكالة إعلانات ج. والتر تومبسون التابعة لنا، كان متخصصاً في تسمية السيارات وهو الذي تولى في الماضي تسمية سيارتَي "الثندربيرد" و"الفالكون" بعدما أنفق وقتاً في دراسة أسماء الطيور. وقد أرسلناه هذه المرة إلى مكتبة ديترويت العامة كي يبحث عن أسماء الحيوانات فجاء يحمل ألوف الأسماء التي استقرّ رأينا أخيراً على ستة منها. ولم نلبث أن اخترنا من بينها اسم "موستنغ" الذي يطلق في الوقت نفسه على ضرب من الخيل البرية وعلى لون من الطائرات المقاتلة في الحرب العالمية الثانية. والواقع أننا أحببنا جميعاً هذا الاسم "الذي ينطوي على الإثارة الماثلة في طبقات الفضاء المشرعة والذي هو جزء حيوي من التراث."

وفي ٩ مارس (آذار) ١٩٦٤، أي بعد مضي ٥٧١ يوماً على اختيار النموذج الذي أنجزه أوروس وآش، انطلقت سيارة "موستنغ" الاولى من المركز الذي تجمع فيه أجزاء السيارات. وقد تمكنا من إنتاج

ما لا يقل عن ٨١٦٠ سيارة من هذا النوع قبل ١٧ نيسان وهو اليوم الذي عرضت فيه السيارة في الأسواق. وبات في وسع جميع تجار فورد أن يعرضوها في صالاتهم.

وفي السابع عشر من نيسان احتشد الناس أمام تلك الصالات. وفي شيكاغو اضطر أحد التجار إلى إغلاق صالته لأن عدد الناس في الخارج كان كبيراً جداً. وفي غارلاند (ولاية تكساس) كان على أحد التجار الاختيار بين خمسة عشر من الزبائن أراد كل منهم الحصول على "الموستنغ" الوحيدة القائمة في صالة العرض فعمد إلى إجراء مزاد علني وباع السيارة لمن دفع الثمن الأغلى. وكان الذي اشتراها رجلا أصر على تمضية ليلته في السيارة بحيث لا يشتريها أحد سواه في انتظار مصادقة المصرف على شيكه المدفوع. وفي سيتل (ولاية واشنطن) أخذ سائق إحدى شاحنات الاسمنت بمشهد "الموستنغ" المعروضة فبات عاجزاً عن التحكم بشاحنته ولم تلبث الشاحنة أن جنحت إلى صالة العرض.

وكنت أصبو إلى أن يكون رواج "الموستنغ" في السنة الاولى أكثر من رواج "الفالكون". وفي وقت متقدم من مساء ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٦٥ اشترى شاب من كاليفورنيا سيارة "موستنغ" حمراء ذات غطاء قابل للطي فبلغ عدد السيارات المبيعة في السنة الاولى ٤١٨٨١٤ سيارة وسجلنا بذلك رقماً قياسياً جديداً.

ولم يكن هذا مفاجئاً بالنسبة إليّ إذ قرأت مرة ملصقاً على نافذة أحد الأفران جاء فيه: "إن شطائرنا الساخنة تضاهي في رواجها سيارات الموستنغ."

الزمن السعيد

عام ١٩٦٨ بتّ على قاب قوسين أو أدنى من رئاسة شركة فورد غير أن مشيئة القدر حالت دون فوزي بهذا المنصب.

والواقع أنه كان في شركة جنرال موتورز آنذاك نائب للرئيس يدعى سيمون كنودسن ويلقب "بنكي" ويحتل مكانة مرموقة جداً في الشركة. وعلى رغم هذه المكانة اختارت شركة جنرال موتورز اد كول رئيساً مقبلا لها ففهم بنكي أن حياته المهنية توقفت عند هذا الحد.

وكانت شركة فورد تدأب على مراقبة شركة جنرال موتورز عن كثب، وكان هنري خصوصاً من أبرز مراقبيها والمعجبين بها فرأى أن ما حدث هو هبة من السماء لأن في حوزة بنكي معلومات قيمة جداً عن النظام القائم في شركة جنرال موتورز. وقد ذكّرني فورد بأن كنودسن يكبرني باثنتي عشرة سنة وطلب مني أن أتحلى بالصبر. والحق أني لم أكن واثقاً من قدرتي على الصبر إذ كنت آنذاك أسعى لاهثاً إلى بلوغ القمة. وكان مجيء بنكي صدمة لي كبيرة على رغم تطمينات هنري وتأكيداته. فقد كنت أبغي الرئاسة أياً تكن الظروف ولم أكن أوافق هنري في أنه بقي عليّ أن أتعلم الكثير قبل بلوغها. وظللت أسابيع عدة أفكر جدياً في الاستقالة لكني قررت في النهاية البقاء لدى فورد. فقد كنت اهوى العمل المتعلق بالسيارات وأحب شركة فورد نفسها، ولم أتخيل أني سأنتقل الى أي مكان آخر.

ولم يكد كنودسن يصل الى الشركة حتى شرع في إدخال تعديلات على "الموستنغ" بحيث تغدو أثقل وزناً وأكبر حجماً. كذلك أخذ على عاتقه اعادة تصميم سيارة "الثندربيرد" بحيث تصبح شبيهة بسيارة "البونتياك". إلا أن عمله هذا كان كارثة تامة.

وكم كنت أود القول إن بنكي طرد من الشركة لأنه هدم "الموستنغ" أو لأن افكاره كان خاطئة كلها. غير أن السبب الحقيقي في طرده لم يكن يمتّ بصلة إلى هذا كله. فهو طرد لأنه كان يدخل مكتب هنري من دون أن يقرع الباب.

وفي هذا يقول اد اوليري أحد معاوني هنري: "عندما كان الباب يفتح وينظر هنري إلى بنكي ماثلا أمامه كان يجن."

لقد كان هنري شخصاً لا يحتمل أن يكون أحد صنواً له. ويبدو أن بنكي لم يستوعب قطّ هذا الأمر. فقد كان يحاول أن يقيم مع هنري علاقة حميمة، لكن ذلك كان خطأ كبيراً إذ لم يكن مباحاً في شركة فورد أن يتجاوز أي شخص حداً معيناً في اقترابه من هنري.

في السنة التالية حصلت أخيراً على ما كنت ابتغيه وبتّ رئيساً لشركة فورد في العاشر من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠. ولم يكد الخبر يبلغني حتى اتصلت بزوجتي ماري ثم بوالدي في ألنتاون كي أنقل اليهما الخبر السار. ولست أشك في أن والدي عرف في حياته الطويلة المفعمة بالنشاط أوقاتاً كثيرة سعيدة غير أني على يقين أن تلك اللحظة كانت من أكثرها إسعادا له.

ولئن يكن هنري فورد هو الملك المتوج فقد كنت أنا ولي العهد. وليس من شك في أن الملك كان يحبني. وذات مرة تناول هو وزوجته العشاء في بيتنا والتقيا والديَّ. وامضى هنري نصف سهرته وهو يخبرهما عن عظمتي ويروي لهما أن وجود شركة فورد للسيارات وقف على بقائي فيها. وفي مناسبة أخرى اصطحبني للقاء صديقه القريب ليندون جونسون (أحد رؤساء الولايات المتحدة السابقين). فقد كان هنري يرى حقاً أني في حمايته وكان يعاملني على هذا الأساس.

العكَر في النعيم

مما لا شك فيه أن تلك الأيام كانت حافلة بالسعادة. فجميع الذين يشغلون مناصب إدارية بارزة في "البيت الزجاجي"، وهو الاسم الذي كان يطلق على المركز الرئيسي للشركة، كانوا يعيشون في نعيم. فقد كنا جزءاً من طبقة عليا وكان في وسعنا الحصول على ما نشتهيه. وعلى رغم أنه كان في امكاننا أن نطلب الطعام الى مكاتبنا في جميع فترات النهار فقد كنا نتناول الغداء في غرفة الطعام الخاصة بكبار الموظفين.

ولم تكن هذه الغرفة "كافتيريا" عادية بل كانت تضاهي أفضل مطاعم البلد. فكان السمك يصل إلينا من بريطانيا يومياً وكنا نتمتع بمذاق أطيب الفاكهة في جميع فصول السنة. وإلى ذلك كنا نحصل على ألذ أنواع الشوكولا وعلى الأزهار الغريبة النادرة.

لم أكن أعرف هنري فورد معرفة وثيقة قبل أن أصبح رئيساً للشركة. أما الآن فقد

بات مكتبي إلى يمين مكتبه في البيت الزجاجي وكلما ازدادت معرفتي به ازداد قلقي على مستقبل الشركة ومستقبلي الشخصي.

كان هنري ذا سلطة مطلقة. وحين كان يدخل مبنى الشركة كانت الأصوات تردد قائلة: "لقد وصل... لقد وصل." أما كبار الموظفين فكانوا يتباطأون في مشيتهم عند دخوله لعلهم يلتقونه وهو في طريقه الى مكتبه. وإذا اتفق ان حالفهم الحظ في ذلك فلم يكن غريباً أن ينتبه اليهم فورد ويرد لهم التحية.

وعندما كان هنري يدخل لحضور اجتماع ما كان الجو يتغير على نحو مفاجىء إذ كان مصيرنا جميعاً بين يديه. فقد كان في وسعه أن يقول فجأة: "اقطعوا رأسه،" وكثيراً ما كان يفعل هذا. فمن المألوف في شركة فورد أن يطرد موظف ناجح من دون أن يعطى فرصة كافية للدفاع عن نفسه.

والواقع ان هنري كان يولي الامور السطحية اهتماماً كبيراً. وكان إلى ذلك مولعاً بالمظاهر. فلا غرو أن يحوز موظف ما إعجابه لمجرد كونه يرتدي الثياب اللائقة مثلا. أما إذا غاب هذا المظهر الخادع فلا مجال أبداً لذلك الاعجاب.

وقد طلب هنري مني مرة أن أطرد أحد المديرين لأنه كان يظنه لوطياً. فقلت له: "لا تكن سخيفاً. فالرجل صديق لي حميم وهو متزوج ولديه طفل. وسألتقيه لتناول العشاء." فكرر هنري طلبه قائلا: "اطرده فهو لوطي." فأجبته: "عمّ تتحدث أيها الرئيس؟" فقال: "انظر اليه. فسرواله ضيق جداً."

واللافت ان هذا الاستعمال الجائر للسلطة لم يكن مجرد خلل في شخصية هنري لأن هذا الرجل كان "يؤمن" حقاً بما يفعله.

ولم يمض عليّ وقت طويل في رئاسة الشركة حتى أخبرني هنري عن فلسفته في الادارة فقال: "إذا استخدمت شخصاً ما فلا تدعه يفرط في الشعور بالارتياح ولا تبالغ في تقريبه اليك وادأب على فعل ما ليس يتوقعه. فعليك أن تبقي موظفيك في قلق واضطراب دائمين."

والحق أن ١٩٧٤ شكل نقطة تحول في نظرتي إلى هنري. ففي ذلك العام عُقد اجتماع حضره كبار الموظفين ونوقشت فيه مسألة تكافؤ الفرص. وطُلب من كل دائرة في الشركة أن تقدم تقريراً عن التقدم الذي أحرزته في مجال توظيف السود وترقيتهم. وبعدما أصغى هنري إلى التقارير بدا عليه الغضب وقال لنا: "إنكم لا تولون هذه المسألة سوى اهتمام كلامي كاذب."

ومن ثم ألح في دعوتنا إلى إيلاء السود مزيداً من اهتمامنا وقال إن مكافآتنا السنوية قد تربط قريباً بالتقدم الذي نحرزه في هذا النطاق.

وكانت الملاحظات التي أبداها في الاجتماع مؤثّرة إلى حد جعل الدموع تنهمر من عينيّ فقلت في نفسي: لعله مصيب في ما يقول وقد يكون في وسعنا أن نفعل المزيد في هذا الشأن. وإذا كان هذا هو شعور الرئيس فأظن أن علينا بذل جهد أكبر لتحقيق ما يصبو اليه.

وعندما انتهى الاجتماع ذهبنا إلى غرفة الطعام لتناول الغداء وجلست إلى

جنبه كعادتي. ولم نكد نجلس حتى راح يسهب في ذمّ السود قائلا: "إنهم يدأبون على المرور بسياراتهم من أمام منزلي وأنا أكرههم وأخافهم وأظن أني سأرحل الى سويسرا حيث لا وجود لهم."

ولا ريب في أنه لن يكون في وسعي نسيان تلك اللحظات. فقد جعلني الرجل أذرف الدمع ثم شرع بعد ساعة يشن على السود هجومه العنيف. وقد تعلمت في ألنتاون أن التعصب أمر سيىء جداً. وأذكر ان زملائي في المدرسة لم يحاولوا قط نفي هذه الصفة عن أنفسهم. أما هنري فكان يجمع بين التعصب والنفاق. وكان الايطاليون الوحيدين الذين نجوا من شتائم هنري حتى عام ١٩٧٥، إلا أنه تمكن في ما بعد من تعويض ما فاته في هذا الشأن.

كذلك كان هنري يحاول ان يكون متميزاً عن سواه وأن ينسج في عاداته على منوال الاوروبيين.

مطاردة الساحرات

عام ١٩٧٥ شرع هنري فورد في تنفيذ خطة تقضي بتحطيمي تدريجاً. وفي العام نفسه أخذ يحس آلاماً في صدره وظهرت عليه أمارات التعب وبدأ يدرك أن نهايته قد دنت.

وبات هنري شبيهاً بالحيوان. ويخيل إليّ أن أول ما خطر له هو: "ماذا يحل بأعمال العائلة اذا أصبت بنوبة قلبية وقضيت نحبي؟ إنني لا أريد أن يتولى هذه الأعمال متطفل إيطالي."

ألقى هنري قنبلته الاولى حين كنت خارج البلاد في جولة في الشرق الاوسط دامت بضعة أسابيع. وعندما رجعت إلى الولايات المتحدة علمت انه دعا فجأة كبار الموظفين الى اجتماع خاص بعدما أقلقه وضع منظمة "اوبيك." وكان هنري على اقتناع راسخ بأن هناك انهياراً اقتصادياً كبيراً لا مفرّ منه فأمر باقتطاع ملياري دولار من الموازنة الخاصة ببرامج الانتاج المقبلة أي أنه ألغى كثيراً من المنتجات التي تمكننا من منافسة الشركات الأخرى وتتضمن على سبيل المثال السيارات الصغيرة وتلك التي تعتمد في إقلاعها العجلتين الاماميتين.

وقد جن جنوني بعد اتخاذه هذا القرار لأن شركتي جنرال موتورز وكرايزلر كانتا تعملان بجدّ محموم لصنع نماذج جديدة من السيارات الصغيرة. غير أن صاحب شركة فورد كان دفن رأسه في الرمال وتجاهل هذه الحقيقة.

في تلك الفترة كانت لديّ سكرتيرة رائعة تدعى بتي مارتن. ولولا نظام الشركة الذي يستبعد المرأة من المناصب العالية لكانت بتي أصبحت نائبة للرئيس إذ كانت خيراً من معظم الموظفين الذين كانوا يساعدونني في العمل.

وكانت بتي دائماً على علم بما يحدث في الشركة من أمور فأتت إليّ يوماً وقالت: "لقد علمت الآن أن الاتصالات الهاتفية التي تجريها على حساب الشركة تسجّل وترسل إلى مكتب السيد فورد."

وقالت لي بعد بضعة أسابيع: "كثيراً ما أجد الأغراض التي على طاولتك مبعثرة فأحاول أحياناً أن أرتبها لك قبل ذهابي إلى المنزل. وأنا أذكر دائماً اين أضع هذه

الاغراض، الا اني أجد مواضعها قد تغيرت صباح اليوم التالي. وهذا الأمر يتكرر كثيراً وأظن أنّ عليك أن تعلم به. ولست أرى أن السيدات اللواتي يتولين تنظيف المكتب يفعلن شيئاً مماثلا."

بعد ذلك أخذت الأمور تبدو أكثر غرابة. فقد عمد هنري إلى إجراء تحقيق شامل عن أعمالي وحياتي الشخصية متستراً بأنه يريد التدقيق في نفقات كبار الموظفين التي تدفعها الشركة. واستدعت عملية "التدقيق" هذه إجراء ٥٥ مقابلة مع كبار موظفي الشركة ومع كثيرين من وكلائنا وعدد كبير من وكالات إعلاننا.

بدأت الحملة بالتركيز على اجتماع لوكلاء فورد عُقد في لاس فيغاس (ولاية نيفادا) وتولى الاشراف على نفقاته وندل كولمان رئيس مكتب مبيعاتنا في سان دييغو (ولاية كاليفورنيا). وقد استدعي كولمان للاستجواب فغضب غضباً شديداً وأرسل إليّ تقريراً شاملا عن الأمر.

وفي ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ استدعي كولمان الى "مركز فورد للعالم" حيث أجرى معه "مقابلة" موظفان في الدائرة المالية. وبدأت "المقابلة" بذكر حقوقه ثم تناول الحديث عدداً من مآدب العشاء التي أقيمت للوكلاء في لاس فيغاس. وسئل كولمان هل كانت هناك نساء في إحدى الحفلات التي اقيمت لكبار الموظفين في أحد المطاعم الفخمة وسئل بالتحديد إذا كانت في صحبتي أنا امرأة ما. ومن ثم سألاه لماذا أعطى النادل قطعة نقدية قيّمة وهل شاهد بعض الموظفين الكبار يقامرون وهل زوّدهم المال لهذا الغرض. وعندما اعترض كولمان على هذه الأسئلة طُلب منه ان يجيب فوراً عن السؤال الآتي: "هل اتفق ان أعطيت ياكوكا مالا يقامر به؟" فقال: "لا."

وأخبرني كولمان أن الأمر بدا أشبه "بمطاردة الساحرات إذ كانوا يبحثون عن أمر يدينونك به كالقمار أو النساء أو أي شأن آخر."

غير أن ذلك التحقيق أخفق في إلحاق أي أذى بي أو بأصدقائي على رغم ما بذلت فيه من جهود خارقة.

ولا ريب في أن أثر هذا كله في الادارة العليا كان كبيراً جداً إذ بتنا نسدل الستائر ونتكلم همساً كلما خطر لنا الكلام، وسرى في الموظفين خوف عظيم من أن تصدر عليهم أحكام بالاعدام.

المكاشفة

بعد إخفاق التحقيق في بلوغ هدفه حاول هنري الوصول إلى غايته بوسيلة أخرى. وسرت في الشركة اشاعات تقول ان لديه لائحة بأصدقاء ياكوكا وانه عازم على طردهم. ولم يطل الوقت لأعرف أن في الأمر ما يتعدى الاشاعات.

ولم يلبث هنري ان اتصل يوماً بالسيد ليو - أرثر كلمنسن رئيس وكالة إعلان كنيون واكهرت، وهي الوكالة التي تتولى حسابات لنكولن - مركوري، وقال له مزمجراً: "يا ليو عليك ان تطرد بل ون." ولم يكن لقراره ذاك أي سبب ظاهر.

والصحيح أن بل ون كان واحداً من أقرب أصدقائي فلم أفهم آنذاك لماذا عمد هنري الى طرده. ولا يمكن أن يكون وقع

بين الرجلين أي نزاع إذ لم يكن بينهما لقاء قطّ. وإلى ذلك فقد كان بل يؤدي ما نطلبه منه على نحو رائع.

غير أني علمت في ما بعد ان قرار هنري الاعتباطي بطرد بل لم يكن سوى هجوم أخرق وغير مباشر على لي ياكوكا.

ثم أتى دور هال سبرلش الذي كان احدى شخصيات ديترويت الاسطورية والذي كان الناس يقولون "إن عروقه مليئة بالبنزين." وعندما طلب مني هنري أن أطرده قلت له: "لا شك في انك تمزح، فهو أفضل موظف لدينا." فقال هنري: "اطرده الآن."

لقد كان الوقت عصراً وكان علي أن أذهب من فوري إلى نيويورك فسألت هنري إذا كان يمكننا الانتظار الى ما بعد رجوعي فأجاب: "إذا لم تطرده الآن فسأطردكما معاً." وعرفت أنني عاجز عن ان اثنيه عن عزمه لكني حاولت مع ذلك اللجوء الى المنطق في مخاطبته فقلت له: "لقد صنع سبرلش سيارة "الموستنغ" وحقق لنا أرباحاً تقدّر بملايين الدولارات." فكان رده: "إنني لا أحبه وليس لك أن تسأل عن السبب، فهذا مجرد إحساس لديّ."

لقد بدأ هنري منذ ذلك الحين يقطع لحمي فيجعلني أفقد كل يوم جزءاً من جسدي. وكثيراً ما سألت نفسي لماذا لم أعمد الى تقديم استقالتي. الحق أنه كان لذلك سببان، الأول أني أنفقت كهولتي كلها في شركة فورد ولم أكن أود أن أعمل في أي مكان آخر. ولم أكن أتوقع أن يقوم بيني وبين فورد نزاع حاسم، غير أني كنت على استعداد لخوض المعركة إذا لم يُجْدِ في تحاشيها دواء. وكنت أعلم جيداً أن لوجودي في الشركة قيمة كبيرة. وحدتني سذاجتي على الظن أن أفضلنا سيكون هو الفائز لأن شركتنا كانت شركة مساهمة.

والسبب الثاني في إحجامي عن الاستقالة هو أنني كنت جشعاً أيضاً. فقد أغـرتني سعـة العيش ووجـدت من المستحيل أن أرضى التخلي عن مدخول سنوي يبلغ ٩٧٠ ألف دولار. وأنا الآن على يقين أن الجشع هو شرّ الآثام المميتة.

أخيراً اتصل بي كايث كرين ناشر صحيفة "اوتوموتيف نيوز" الاسبوعية التي تقتصر موضوعاتها على صناعة السيارات وقال لي: "قل لي إن الخبر غير صحيح."

لقد كان ما يعنيه واضحاً. وفي وقت لاحق دعتني سكرتيرة هنري إلى دخول مكتبه حيث مكثت ٤٥ دقيقة. ولم يعطني خلال هذه المدة أي سبب للقرار الذي اتخذه وقال لي: "إنه أمر شخصي وليس لديّ ما أضيفه."

وشرعت في سرد إنجازاتي في شركة فورد للسيارات منبهاً إياه الى أن طردي يضر بمصلحته. ثم ذكّرته بان السنتين اللتين لم يمض على انصرامهما سوى زمن قليل كانتا خير سنتين في تاريخنا. وأردته أن يعلم بدقة حقيقة ما يفعله. وعندما أنهيت كلامي قلت له: "انظر إليّ." والحق انه كان عاجزاً حتى تلك اللحظة عن أن ينظر إليّ. وأخذ صوتي يرتفع بعدما عرفت أن حديثنا هذا سيكون الأخير فقلت له: "إن توقيت طردي هو عمل منافٍ للأخلاق. لقد بلغت

أرباحنا هذه السنة ملياراً وثمانمئة مليون دولار وبلغت في السنتين المنصرمتين ثلاثة مليارات ونصف مليار دولار. ولكن تذكر كلماتي هذه يا هنري. فقد لا يكون في وسعك تحقيق أرباح مماثلة في المستقبل. وهل تعلم لماذا؟ لأنك في المقام الأول لا تعرف كيف حققنا هذه الأرباح!"

عثرات خفية

عندما رجعت الى البيت بعد الظهر اتصلت بي ابنتي ليا التي كانت في ملعب لكرة المضرب. فقد سمعت خبر طردي في الاذاعة وأجهشت في البكاء. وحين تعود بي الذاكرة الى ذلك الاسبوع المروّع فان أول ما أتذكره على نحو واضح هو ليا التي كانت تذرف الدمع وهي تكالمني.

وإذا قدّر لي الرجوع إلى الماضي فهل يسعني أن أحمي أسرتي على نحو أفضل؟ والواقع أن ما حدث ترك في الأسرة أثراً سيئاً جداً إذ أصيبت زوجتي ماري بنوبتها القلبية الاولى بعد طردي بأقلّ من ثلاثة أشهر وراحت حالها تزداد سوءاً.

ولم يمض على طردي قليل من الوقت حتى تناقلت الصحف الصادرة في ديترويت خبراً ورد على لسان "ناطق باسم عائلة فورد" يذهب إلى أني طردت لأنه كانت تعوزني الكياسة ولأني كنت عجولا ولأن هناك بوناً شاسعاً بين سليل مهاجر إيطالي مولود في ألنتاون (ولاية بنسيلفانيا) والطبقة العليا."

بعدما طردت من شركة فورد سرت في المدينة اشاعات تقول إني قد أتولى رئاسة شركة كرايزلر. فأنا لم أكن مربوطاً بأي عمل، وشركة كرايزلر كانت تواجه صعوبات جمّة، فهل يعقل ألّا يقيم الناس صلة بين الأمرين؟ والواقع أني تلقيت عدداً من العروض للعمل في شركات لا علاقة لها بصناعة السيارات فلم يكن في وسعي أن أفكر في قبولها على نحو جدّيّ لأن حب السيارات كان سارياً في عروقي.

أخيراً اتصل بي جون ريكاردو رئيس مجلس إدارة شركة كرايزلر وقال لي: "إننا نفكر في إجراء تغيير في الشركة لأن رياحنا تجري بما لا تشتهيه السفن." وبدا كلامه شديد الوضوح إذ كان يحاول ان يعرض عليّ وظيفة من دون أن يذكر هذا على نحو صريح. واتضح لي أنه يود معرفة رأيي في الأمر فسألته على نحو مباشر: "ما الذي تريد أن تقوله حقاً؟" فأجاب: "إني أعرض عليك وظيفة فهل تروقك العودة إلى ميدان صناعة السيارات؟" فقلت له إنّ لديّ أسئلة عن وضع شركة كرايزلر قبل أن نخوض في تفصيلات أخرى.

في اللقاءين التاليين رسم ريكاردو صورة قاتمة لوضع الشركة. إلا أني رأيت أنه يمكن تغيير هذه الصورة في خلال سنة. ولست أظن أن جون أو سواه من موظفي كرايزلر كانوا يحاولون خداعي. وتبين لي أن الشركة كانت تعاني مشكلات كثيرة من أبرزها أن موظفيها، وحتى كبارهم، لم يكونوا يعلمون جيداً ما كان يحصل في الشركة. فقد كانوا على علم بأن كرايزلر تنزف إلا أنهم لم يتنبهوا إلى خطورة ذلك النزف.

كان ذلك في فصل الخريف وبدا الأمر بالنسبة إليّ ضربا من التحدي الكبير. وبعدما فرغت من تلك الاجتماعات وعدت الى المنزل بحثت المسألة مع ماري فقالت: "إنك لن تعرف السعادة إلا إذا عملت في ميدان صناعة السيارات. وأنت لا تزال أصغر من أن تتقاعد وتمضي وقتك في البيت. والى ذلك فلماذا لا نكيل الصاع صاعين لغريمك هنري ونلقنه درساً لا ينسى؟" وهكذا باتت ماري منشرحة الصدر. ولم ألبث أن بحثت الأمر مع ابنتيّ فقالتا لي: "إذا كان هذا يسرّك فحاول أن تفعله."

في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ أبرزت صحيفة "الصحافة الحرة" في صفحتها الاولى عنوانين اثنين.أولهما ان "شركة كرايزلر لم تعرف مثيلا لخسائرها الحالية" وثانيهما ان "لي ياكوكا التحق بشركة كرايزلر". وفي اليوم الاول لمباشرتي عملي الجديد أعلنت شركة كرايزلر ان خسارتها بين شهري يوليو (تموز) وسبتمبر (أيلول) بلغت نحو ١٦٠ مليون دولار، وهذه خسارة لم يسبق لها نظير في تاريخ الشركة. فقلت في نفسي: "حسناً، فعندما يبلغ وضع الشركة هذا الحدّ من السوء فهذا يعني أنه لا محالة صائر إلى التحسن."

غير أن توقعي خاب سريعاً إذ كانت كرايزلر عام ١٩٧٨ أشبه بدولة إيطاليا في ستينات القرن التاسع عشر. والواقع ان الشركة كانت عبارة عن طائفة من الامارات الصغيرة يحكم كلا منها امير ذو سلطة مطلقة. فهي كانت تضم ٣١ نائباً للرئيس لكل منهم منطقة نفوذ خاصة به.

ولم يكن هناك لجان بالمعنى الصحيح كما لم يكن هناك نظام يقضي بعقد اجتماعات محددة للموظفين. ولم يسعني أن أصدق أنّ المسؤول عن قسم الهندسة لم يكن على اتصال مستمر بزميله في دائرة الانتاج. والمعروف أن على العاملين في قسمي الهندسة والانتاج الا يتفارقا في أثناء العمل.

والحق أنه كان عليّ إنجاز الكثير في وقت ضيق جداً. وكان من بين ما ينبغي عمله إلغاء الإمارات الصغيرة الإحدى والثلاثين وتحقيق لون من الانسجام والوحدة في الشركة والتخلص من موظفين كثيرين لا يحسنون تأدية وظائفهم وابدالهم بآخرين يملكون الخبرة ويستطيعون التحرك على نحو سريع. كذلك كانت الحاجة ملحة إلى إنشاء نظام للمراقبة المالية.

وعمدت الى اختيار فريق من الموظفين لمعاونتي وبتّ واثقاً أن شفاء كرايزلر لم يعد مستعصياً. غير أنه لم يكن في حسباني آنذاك التدهور الاقتصادي وتغيّر الحال السياسية في إيران.

ولم يمض على وجودي في الشركة ثلاثة أشهر حتى اضطر شاه إيران إلى مغادرة عاصمته في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩. وكانت أسعار النفط تضاعفت تقريباً قبل ذلك بوقت طويل. وفيما كان مصانعنا التي تنتج السيارات الكبيرة تعمل أوقاتاً إضافية كان على أرصفة الموانىء الامريكية نحو سبعمئة ألف سيارة يابانية صغيرة. على أن تلك السيارات الصغيرة بيعت كلها قبل نهاية شهر نيسان لأن الامريكيين كانوا يبتغون

التوفير في استهلاك البنزين. وقبل أن نتعافى من هذه الضربة طرأ تراجع واضح على الاقتصاد الامريكي كاد يقضي علينا قضاء مبرماً. فقد تدنت النسبة السنوية في مبيع السيارات الامريكية على نحو مروّع. والمعلوم أنه ليس في العالم صناعة يمكنها الاستمرار عندما تغدو الدعوة الى مضاعفة الاستثمار من الخصائص البارزة في الحياة الاقتصادية في حال يتدنى المدخول الى نصف ما كان. وبتنا نرى أن نجاحنا في إنقاذ الشركة هو ضرب من المستحيل. والحق أن ذلك كله لم يكن في الحسبان.

وتبين لنا منذ بداية صيف عام ١٩٧٩ أن إنقاذ كرايزلر بات يحتاج الى إجراءات خارجة عن المألوف. لذلك فإننا لم نألُ جهداً في عصر نفقاتنا. إلا أن الوهن الاقتصادي كان آخذاً في الازدياد ونحت خسائرنا نحواً مماثلا ولم يعد في مقدورنا الاستمرار من دون مساعدة.

ولست أغالي إذا قلت إن طلب المساعدة من حكومة الولايات المتحدة هو آخر ما يمكن أن يمرّ بخاطري. غير أني عندما عقدت العزم على هذا الأمر قررت أن أنفذه من دون أي تردد.

لقد كنت أرفض دائماً أن تضع الحكومة أي قيد على المبادرة الفردية وأقول بضرورة بقاء الأنسب. وعندما كنت رئيساً لشركة فورد أنفقت في واشنطن وقتاً يكاد يوازي الوقت الذي أنفقته في ديربورن. وكنت أذهب إلى العاصمة لسبب واحد فقط هو محاولة إقناع الحكومة بأن تكفّ عن مضايقتنا. وحين رجعت إلى واشنطن رئيساً لشركة كرايزلر كي أطلب مساعدة الحكومة قال لي الجميع: "كيف يمكنك طلب هذه المساعدة؟ وكيف تجرؤ على ذلك؟" فأجبتهم: "وهل لديّ أي خيار آخر؟ إنه ليس في الامكان أبدع مما كان."

لم يخامرني أي شك في أني أدّيت واجبي على النحو الملائم. ولم ألبث ان علمت أنّ الحصول على قرض بكفالة حكومية ليس بدعة في أمريكا. فقد حصل على مثل هذا القرض شركات تعهدات كهربائية وعدد من صغار رجال الأعمال وطلاب جامعات وشركات طيران.

طور الكفاح

الواقع أن مجموع القروض والكفالات الحكومية كان بلغ ٤٠٩ مليارات دولار عندما طلبنا اقتراض مبلغ مليار دولار. إلا أن المسؤولين الذين عرضنا عليهم هذا الأمر كانوا جميعاً يجهلون هذه الحقيقة فقالوا إن منح شركة كرايزلر كفالة مالية يشكل سابقة خطرة.

وكان عليّ أن أؤكد لهؤلاء أن كرايزلر ليست فريدة في هذا المقام. فنحن كنا نشكل جزءاً طفيفاً من الخطل الذي كان قائماً في أمريكا ولوناً من الاختبار يمكن إجراؤه على الآخرين. والمعروف أن الأذى الذي أصاب صناعة السيارات في العالم لم يكن يضاهيه أي أذى آخر في المجال الصناعي. وكانت القوانين الحكومية وأزمة الطاقة والتدهور الاقتصادي تكاد تكون كافية لتدميرنا.

والحق أنّ ما قلته لم يكن موافقاً لما كان الناس يريدون سماعه. وكان متوقعاً أن يكون رجال الأعمال أكثر هؤلاء تذمراً. فمعظمهم رأوا أن مساعدة حكومة

الولايات المتحدة شركة كرايزلر تشكل انتهاكاً للحرمات وبدعة في النظام الامريكي. وراحوا ينفضون الغبار عن مفهوماتهم القديمة المبتذلة ويقولون: إن تصفية أعمال شركة ما وإغلاقها عندما تدعو الحاجة إلى ذلك هما دليلان على أن العافية لا تزال تدب في السوق التجارية. ومن أقوالهم في هذا الشأن أيضاً ان تقديم الحكومة ضمانات مالية هو انتهاك لجوهر المبادرة الفردية الحرة وجزاء حسن للإخفاق. وهو الى ذلك يوهن روح النظام السائدة في السوق التجارية. كذلك فإن المجتمع الخالي من ركوب المخاطر هو مجتمع خال من الثواب.

ولا ريب في أن النظام الرأسمالي الذي يشجع على المبادرة الفردية الحرة هو خير نظام عرفه العالم. ولكن أين تكمن قوة هذا النظام؟ إنها تكمن في قدرته على التكيف مع الحقائق المتغيرة وليس في بقائه جامداً وغارقاً في الماضي. والصحيح هو أن معنى المبادرة الفردية الحرة بات الآن مختلفاً عما كان في السابق.

إن النظام الاقتصادي القائم على تشجيع المبادرة الفردية الحرة تكيّف مثلا مع الثورة الصناعية. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تكيّف مع الحركة العمالية. وقد عمد ارباب العمل وكبار المديرين في الشركات إلى محاربة تلك الحركة، إلا أنهم كانوا هم المسؤولين الحقيقيين عن قيامها إذ أفرطوا في استغلال العمال من الرجال والأولاد وارتكبوا مظالم كثيرة لم يكن بدّ من التكفير عنها.

وكان رجال الأعمال في تلك الحقبة على اقتناع تام بأن نشأة النقابات العمالية الجديدة ستؤدي الى نهاية المبادرة الفردية الحرة ورأوا أن أمريكا باتت على شفير الاشتراكية. غير أنهم أخطأوا في تقديرهم وتمكنت المبادرة الفردية الحرة من التكيف مع الحركة العمالية.

ومن الواضح أن ركيزة المبادرة الفردية هي مبدأ المنافسة. وليس في تقديم الحكومة ضمانات مالية إخلال بهذا المبدأ بل إن فيه تشجيعاً عليه. فاستمرار شركة كرايزلر مثلا في العمل يضمن تحقيق منافسة بينها وبين شركتي جنرال موتورز وفورد.

كذلك فإن إنقاذ كرايزلر يضمن المحافظة على عدد كبير جداً من الوظائف يبلغ نحو ستمئة ألف.

وكان بعض الناس يرون أن في وسع عمالنا الانضمام إلى شركتي فورد وجنرال موتورز إذا توقفت شركتنا عن الانتاج. غير أن هذا لم يكن مطابقاً للواقع. فإذا صحّ أن هاتين الشركتين كانتا قادرتين على بيع ما تنتجانه من السيارات الصغيرة فهذا لا يعني أنه كان في مقدورهما استيعاب مزيد من العمال. لذلك كان معظم موظفينا سيعانون البطالة في حال توقفنا عن العمل.

والحق ان الاستيراد وحده هو الذي كان يمكن أن يلبي إقبال أمريكا المفاجىء والملحّ على السيارات الصغيرة. وهذا يعني أن توقف كرايزلر عن العمل كان سيؤدي الى زيادة الاستيراد وإلى تصدير الوظائف.

لذلك كان لموضوعَي المنافسة

والتوظيف نصيب في جدلنا، لكننا أولينا الناحية الاقتصادية اهتمامنا الأكبر. فقد جاء في تقديرات الخزينة أن انهيار شركة كرايزلر سيكلف البلاد في السنة الاولى وحدها مليارين وسبعمئة وخمسين مليون دولار يدفعها صندوقا البطالة والضمان الاجتماعي. فقلت لأعضاء الكونغرس: "عليكم الاختيار بين أن تدفعوا هذا المبلغ الآن او أن تضمنوا لشركة كرايزلر قروضاً بنصف هذا المبلغ، وهي قروض هناك امل كبير في استرجاعها في ما بعد. فهل تؤثرون أن تدفعوا الآن أم تؤثرون أن تدفعوا في وقت لاحق؟"

وكان شائعاً آنذاك ان كرايزلر هي شركة كبيرة تنتظمها وحدة تامة، لذلك فهي لا تستحق المساعدة. فعمدنا إلى شرح حقيقة الأمر وقلنا إن الشركة في الواقع لا تعدو كونها خليطاً من الناس يضم ١٩ ألف موزّع و٤٤٠٠ وكيل. إلا أن هؤلاء هم من صغار رجال الأعمال وليسوا من الصناعيين الأثرياء.

ومن الراجح أن أعضاء الكونغرس لم يكونوا يوافقون على مساعدتنا. غير أنهم سرعان ما غيروا موقفهم بعدما عملنا على تزويدهم معلومات مفصلة عن الانهيار الذي يصيب ولاياتهم في كل ما له علاقة بأعمال كرايزلر وموظفيها. وبات علينا الان أن نكافح كي نبقى قادرين على الاستمرار بعد موافقة الكونغرس على ضمان القروض المطلوبة.

بدأت بخفض راتبي إلى دولار واحد سنوياً ثم عمدت إلى خفض رواتب كبار الموظفين بنسبة بلغت أحياناً عشرة في المئة، وهذا أمر لم يسبق له مثيل في ميدان صناعة السيارات. كذلك عمدنا إلى خفض رواتب الموظفين الآخرين واستثنينا ذوي الرواتب الزهيدة والسكرتيرات.

ومن ثم توجهت إلى العمال وصارحتهم قائلا: "أيها الشباب، أنا الآن مكره على إخباركم أنّ في وسعي تأمين ألوف الوظائف لكم على أن يكون أجركم ١٧ دولاراً في الساعة ولا يسعني تأمين أي وظيفة لكم بعشرين دولاراً في الساعة."

وبعد سنة بات وضع الشركة أشد سوءاً فكان عليّ أن أعود ثانية إلى هؤلاء العمال وأطلب منهم تنازلات جديدة تقضي بخفض أجورهم ١،١٥ دولار في الساعة. وفي خلال سنة ونصف سنة بلغ هذا الخفض دولارين في الساعة. وفي مدة ١٩ شهراً بلغ متوسط ما تخلى عنه العامل الواحد عشرة آلاف دولار.

النهج القديم

الواقع ان ما تعلمته في الثلاث السنوات التي امضيتها في شركة كرايزلر فاق ما تعلمته في السنوات الاثنتين والثلاثين التي أنفقتها لدى فورد. واكتشفت ان لدى الناس استعداداً لقبول الضيم إذا شاركهم الآخرون في تلقيه. وهذا ما أدعوه المساواة في التضحية وبه تمكنت كرايزلر من التغلب على مشكلاتها. فالذي أنقذنا لم يكن القروض التي حصلنا عليها، على رغم حاجتنا الملحة اليها، بل كان تخلي العاملين في الشركة عن مئات الملايين من الدولارات.

كان هذا خير مثال على التعاون والديموقراطية. ومن الجلي أني لا أتحدث

في هذا المقام عن عبرة مستقاة من الكتب بل أتحدث عن واقع الحياة. فقد خضنا التجربة بنجاح تام وأتت نتائجها مدهشة.

لقد كان الأمل بصنع "سيارة ك" هو النور الذي ظل يضيء النفق المظلم في أحلك أيامنا. وهذه هي السيارة التي ثابر هال سبرلـش على صنعها منذ التحاقه بشركة كرايزلر عام ١٩٧٧ بعدما طرد من شركة فورد. والواقع أن "سيارة ك" كانت من وجوه كثيرة السيارة التي كنا أنا وهال نود أن نصنعها لو لم يكن هنري فورد شديد المعارضة لصنع السيارات الصغيرة.

والمعروف أن "سيارة ك" كانت دائماً مريحة، تشتمل على اربع اسطوانات وتقلع بواسطة عجلتيها الأماميتين. وهي يمكنها ان تقطع بليتر واحد من البنزين ١١ كيلومتراً داخل المدن و١٧ كيلومتراً خارجها. ويكمن نجاح سبرلش الكبير في ان هذه السيارة قوية، ثابتة وصلبة. والى ذلك فهي ليست قبيحة الشكل كبعض السيارات الصغيرة الأخرى المعروضة في الأسواق.

وقد أعلنا في حملتنا الدعائية أن "سيارة ك" هي بديل أمريكي من السيارات الاجنبية الصغيرة. وعمدنا إلى كتابة عدد كبير من الملصقات الدعائية بالأحمر والأزرق والأبيض (وهي الالوان التي يتألف منها العلم الامريكي) كي يكـون لها أثـر عميق في نفـوس الامريكيين. كذلك أشرنا إلى أن "سيارة ك" تتسع "لستة أمريكيين." وكان هذا ضربة خفيفة لمنافسينا اليابانيين.

وعندما توقف دخان المعركة عام ١٩٨٢ بدأ وضع شركتنا يتحسن. وفيما راح الاقتصاد الامريكي يستردّ عافيته كانت مبيعاتنا آخذة في الازدياد. وفي نهاية السنة حققنا قليلا من الأرباح. وفي السنة التالية بلغت الأرباح حداً لم يسبق له مثيل في تاريخ كرايزلر.

لقد مضى وقت طويل على نيلنا الضمانات الحكومية. واذكر أننا حين كنا نحاول إقناع الكونغرس بالموافقة عليها قطعنا على نفوسنا عهوداً كثيرة من بينها جعل مصانعنا أكثر حداثة واللجوء الى أحدث الوسائل التقنية لتطويرها. كذلك وعدنا الكونغرس باخضاع جميع سياراتنا "لتكنولوجيا العجلات الأمامية" وبالتفوق على سوانا في مجال التوفير في استهلاك البنزين وبإبقاء نصف مليون موظف في أعمالهم وبصنع منتجات رائعة.

وفي خلال ثلاث سنوات وفينا بجميع وعودنا وفاء حسناً ورددنا ثلث قروضنا. وبعد بضعة أسابيع اتخذنا قراراً خطيراً بردّ الثلثين الباقيين على نحو فوري أي قبل استحقاق المبلغ بسبع سنوات على رغم اعتراض عدد من موظفي كرايزلر على ذلك القرار. فالذي يتخلى عن مبلغ طائل من المال على غير اضطرار ينبغي أن يكون واثقاً من النجاح في السنوات التالية.

إلا أني كنت آنذاك على ثقة بمستقبلنا إضافة إلى أني كنت أود التخلص من تدخل الحكومة في شؤوننا في أقرب وقت ممكن.

وفي ١٣ يوليو (تموز) ١٩٨٣ أعلنت

سدّ القرض في نادي الصحافة الوطني بواشنطن. ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ كان هو نفسه تاريخ طردي من شركة فورد قبل خمس سنوات.

ومما قلته في هذا الصدد: "هذا هو اليوم الذي يجعل سنوات البؤس الثلاث الماضية خليقة بما حملته. فنحن في شركة كرايزلر نقترض المال على النحو القديم أي أننا نرده إلى أصحابه في ما بعد." ثم أضفت وقد بدت عليّ أمارات السرور: إن للمسؤولين في واشنطن معرفة واسعة بالقروض التي تسفح، لكن إرجاع تلك القروض هو أمر يبعث الدهشة في نفوسهم. لذلك ربما كان ينبغي أن يكون بيننا الآن كبير المستشارين الطبيين في الولايات المتحدة كي يهبّ إلى إسعاف من يغمى عليه عندما يرانا نعيد مالنا المقترض."

لقد بتنا الآن في منأى عن الخطر وبات علينا أن نفكر ثانية في إدخال المتعة الى نفوسنا. والواقع ان ديترويت كانت توقفت منذ عشر سنين عن صنع سيارات ذات سقف من القماش فوجدت نفسي أحنّ حقاً إلى هذا اللون من السيارات.

وفي ١٩٨٢ طلبت، على سبيل التجربة، أن تصنع لي سيارة ذات سقف من القماش من طراز "كرايزلر لو بارون"، فكنت أقودها أثناء الصيف وأنا أشعر بزهو كبير. وكثيراً ما كان سائقو سيارات "المرسيدس" و"الكاديلاك" يتبعونني ويسألونني: "ما هذه السيارة التي تقودها؟ ومن صنعها؟ وكيف يمكننا الحصول على نظير لها؟" فقد كانوا جميعاً يريدون معرفة ذلك.

وعندما رجعت إلى المكتب اتخذنا قراراً بتجاوز الدراسات التي كنا نجريها في هذا الشأن والشروع في صنع تلك السيارة. وكان موقفنا هو الآتي: "إننا لن نحقق أي ربح من صنعها لكنها ستكون خير دعاية للشركة. وإذا حالفنا الحظ فاننا لن نمنى بأي خسارة."

على أنه لم يكد يشيع اننا نعمل على صنع سيارة "لوبارون" ذات غطاء من القماش حتى بدأ الناس في جميع أنحاء البلاد يدفعون العرابين للحصول عليها قبل أن تعمد شركتا فورد وجنرال موتورز إلى صنع مثيل لها. وهكذا باتت سيارة "كرايزلر" الصغيرة القديمة رائدة بين السيارات.

وعام ١٩٨٤ أنزلنا إلى الأسواق سيارة جديدة تجمع بين المنفعة والمتعة هي سيارة "المينيفان" إذ كان الناس يتطلعون إلى سيارة أضخم من السيارة الكبيرة العادية وأصغر من الشاحنة.

والواقع ان فكرة صنع هذه السيارة ولدت في شركة فورد. فبعد أزمة "اوبيك" الاولى عام ١٩٧٣ عمدت أنا وسبرلش إلى وضع مشروع "الميني ماكس" وانفقنا خمسمئة الف دولار على الدراسات الضرورية المتصلة به. وفي أثناء ذلك تعلمنا أموراً ثلاثة. الاول هو أن العتبة التي يستعان بها لركوب هذه السيارة يجب أن تكون منخفضة بحيث تروق النساء اللواتي كن في الغالب يرتدين "التنورة" آنذاك. والثاني هو الا يزيد علوها على حدّ معين كي تتمكن من الدخول الى المرأب. والثالث هو أن يكون بين محركها ومقدّمها مسافة كافية تحول

دون إعطاب المحرك عند اصطدامها بسيارة أخرى.

وكانت الدراسات تشير إلى أن أخذَنا هذه الامور في الاعتبار يعني ان في الامكان بيع ثمانمئة ألف سيارة من هذا الطراز سنوياً. وكان هذا في عام ١٩٧٤.

وتوجهت من فوري للقاء هنري الذي رفض إجراء التجربة. وهكذا تأخر صنع "المينيفان" الى عام ١٩٨٤ بعدما كان يمكن أن يتمّ عام ١٩٧٨.

تحسس القيم

إلا ان نجاحنا كان له في الوقت نفسه جانب مظلم. فعندما عرضنا انتصاراتنا أخيراً كان غاب عنا كثيرون من جنودنا. لقد ربحنا الحرب حقاً، غير ان إصاباتنا كانت بالغة إذ خسرنا عدداً كبيراً من العمال والموظفين الاداريين والوكلاء الذين كانوا معنا عام ١٩٧٩ وفارقونا قبل أن يقطفوا ثمرات الانتصار.

على أن السبب الرئيسي الذي جعل سروري بالنصر الذي حققته شركة كرايزلر مشوباً بالألم هو الحزن العميق الذي اعترى حياتي الخاصة. فقد كانت زوجتي ماري أقرب الناس إليّ وخير حافز لي وأحسن مسدّد لخطاي إبان عملي في شركتي فورد وكرايزلر.

غير أن ماري كانت تشكو داء السكري الذي يؤدي الى تعقيدات أخرى كثيرة. مثال ذلك أن ولادة كل من ابنتينا كانت على النحو القيصري. كذلك اضطرت ماري إلى الإجهاض مرات ثلاثاً. وأهم من هذا كله أنّ على المصاب بداء السكري تحاشي الإجهاد. الا ان النهج الذي اخترته جعل تحقيق ذلك أمراً متعذراً. وقد أصيبت ماري بنوبتها القلبية الاولى عام ١٩٧٨ في أثر طردي من شركة فورد. والحق أنه كان مضى عليها فترة أحست في أثنائها ببعض الآلام، لكن ذلك الحدث زاد حالها سوءاً.

وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ أصيبت بنوبة قلبية ثانية. وبعد نحو سنتين أي في ربيع عام ١٩٨٢ أصيبت بجلطة دماغية. وكان يعقب كلا من هذه الإصابات فترة ضغط شديد في كرايزلر.

ولم يكن جسم ماري يقاوم داء السكري مقاومة فاعلة. فالبنكرياس لم يكن يعمل الا على نحو جزئي. والواقع انها كانت تلتزم نظام حمية خاصاً، الا انها كانت تحقن نفسها بالانسولين مرتين يومياً. والمعلوم ان استعمال الانسولين كثيراً ما يولّد اضطرابات جسدية تحصل عادة في منتصف الليل وتستدعي أحياناً نقل المريض الى المستشفى.

وكثيراً ما كنت اضطر الى السفر فأتصل بها هاتفياً مرتين أو ثلاثاً يومياً. وبت قادراً على معرفة درجة الانسولين عندها من خلال نبرتها. وحين كنت اضطر إلى الغياب عن المنزل في الليل لم أكن أتركها وحدها خشية ان تصاب بصدمة أو أن تدخل في غيبوبة.

وفي ربيع عام ١٩٨٣ اشتد المرض على ماري وتوقف قلبها المتعب عن الخفقان ففارقت الحياة في الخامس عشر من مايو (أيار) وهي في الثالثة والخمسين. وكانت لا تزال جميلة جداً.

وفي الملمات كانت ماري تؤدي ما عليها وهي في أحسن حال. وإذا اتفق ان

تحدثتَ الآن إلى بعض أصدقائنا عن ماري فسيقولون لك: "إن أبرز ما نذكره عنها هو صلابتها في أوقات الشدة."

وكانت ماري تولي الابحاث المتعلقة بداء السكري اهتماماً كبيراً وتتطوع لتجرى عليها بعض التجارب المتصلة بهذا الداء. وكانت تواجه وضعها بشجاعة فائقة وتترقّب انتهاء أجلها برباطة جأش. وكثيراً ما كانت تقول لي: "أتظن أن حالي سيئة؟ كان عليك إذاً أن تشاهد الناس الذين كانوا معي في المستشفى."

وكانت تقول بضرورة تزويد الناس معلومات عن داء السكري. وقد انشأنا معاً "منحة ماري ياكوكا للبحث العلمي" في مركز جوسلين لأمراض السكري في بوسطن (ولاية ماساشوستس). ووهبت الكثير مما أجنيه للأبحاث المتعلقة بداء السكري. وتقول ماري إن مرض السكري يأتي في المرتبة الثالثة بين الأمراض المميتة في حين يحتل مرضا القلب والسرطان المرتبتين الأوليين. غير أن كلمة "السكري" يندر ظهورها على شهادات الوفاة فيظن الناس أن داء السكري لا ينطوي على خطر كبير. وبعد وفاتها عمدت إلى التأكد من أن شهادة وفاتها تنمّ عن الحقيقة. وقد جاء في تلك الشهادة ما يأتي: مضاعفات ناجمة عن داء السكري.

والحق أننا أنفقنا معاً أوقاتاً كثيرة طيبة لكن ماري لم تجد لذة قطّ في الحياة الاجتماعية. وكانت الحياة العائلية هي مبتغانا. إلا أن هذا لم يحل دون تأديتها واجباتها الاجتماعية الضرورية وهي تبتسم. والصحيح أننا لم نكن نؤثر على المنزل أي مكان آخر.

وقبل وفاتها بأسبوعين اتصلت بي مساء الى تورنتو لتقول لي إنها جد فخورة بي. وكان ذلك في أثر إعلاننا عن أرباح الربع الأول من ١٩٨٣. أما أنا فلم أخبرها قطّ في تلك السنوات الأخيرة الصعبة كم كنت فخوراً "بها."

لقد أعطتني ماري القدرة على الاستمرار ومنحت ابنتينا كاثي وليا كل ما لديها. ولئن يكن صحيحا

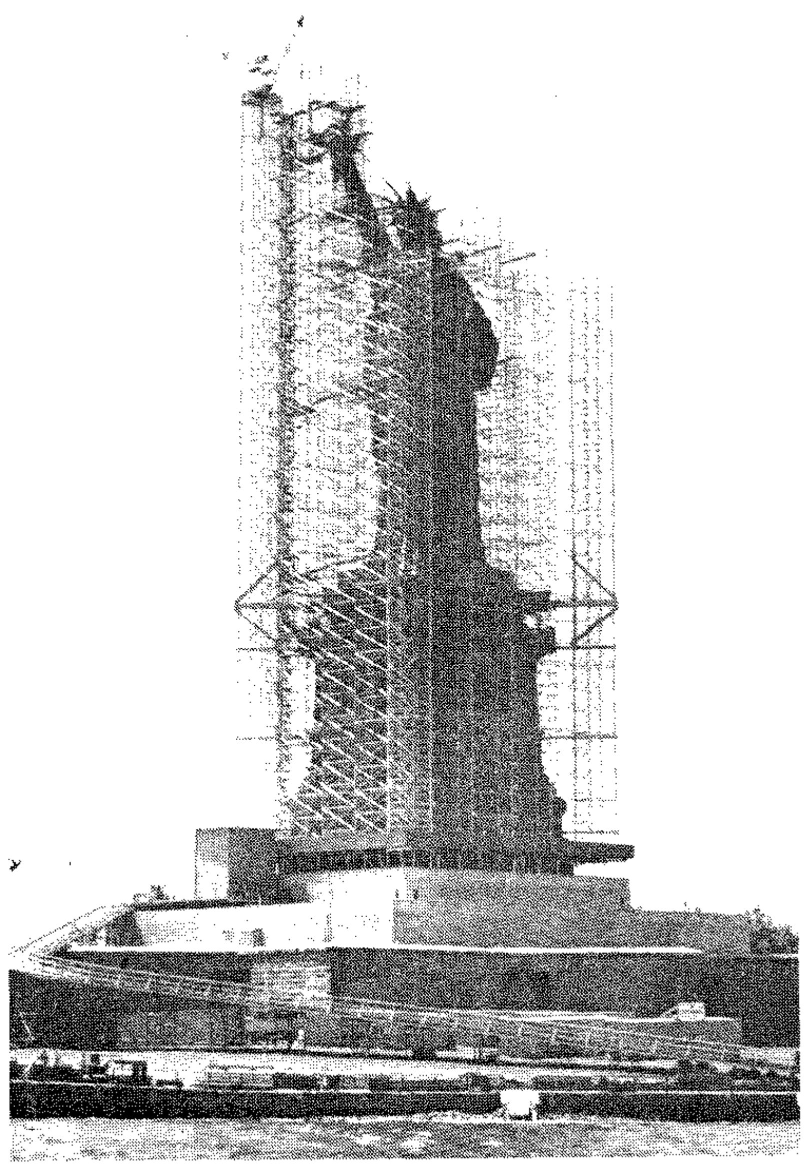


Photo: Fred R. Tannary

أن حياتي المهنية كانت ولا تزال رائعة مكللة بالنجاح فالصحيح أيضاً أن أسرتي تبقى همي الأول.

افعل شيئاً ما

عندما طلب مني الرئيس رونالد ريغان أن أرئس الجمعية المئوية لتمثال الحرية في اليس ايلاند كنت شديد الانهماك في عملي في شركة كرايزلر لكني لم أرفض طلبه. فبادر الناس إلى سؤالي: "لماذا قبلت تحمل هذه المسؤولية؟ أليس لديك ما يكفيك من العمل؟"

غير أن قبولي ذلك العمل الجديد كان إعراباً عن حبي لأمي وأبي اللذين كانا يحدثانني عن اليس ايلاند. وكان والداي من المهاجرين البسطاء الذين يجهلون اللغة الانكليزية ويجهلون ما ينبغي عمله بعد وصولهم الى أمريكا. وكانا فقيرين لا يملكان شيئاً. وكانت الجزيرة جزءاً مني بسبب الرمز الذي تمثله وليس لكونها موضعاً أؤثره على سواه. وقد اتضح لي الآن أن معظم الامريكيين الذين التقيهم لديهم الشعور نفسه.

وبدهي أن ملايين الناس الذين كانوا يمرون من أبواب اليس ايلاند أنجبوا عدداً كبيراً من الاولاد، وقد بلغ نسلهم نحو مئة مليون نسمة. وهذا يعني أن قرابة نصف عدد سكان الولايات المتحدة تمتد جذورهم إلى ذلك المكان.

ولا ريب في أن بلدي يحن الآن إلى تلك الجذور وفي أن الناس يتحرّقون للعودة إلى القيم الأساسية. وليس من شك في أن تمثال الحرية واليس ايلاند هما رمز للعمل الشاق والكرامة والكفاح في سبيل الحق.

إن تمثال الحرية لا يعدو أن يكون رمزاً جميلا لمعنى الحرية. أما اليس ايلاند فهي تجسد الحقيقة. فالحرية ليست سوى بطاقة دخول. فإذا أردت البقاء على قيد الحياة وصبوت الى النجاح فعليك ان تدفع الثمن الملائم.

وكثيراً ما أسمع الناس يقولون لي: "إنك نجاح مُدَوٍّ، فكيف تيسّر لك ذلك؟" فأجيبهم: إني أعود دائماً إلى ما علمني إياه والداي. فقد كانا يقولان لي: عليك أن تجتهد وتحصّل من العلم ما استطعت ومن ثم "افعل" شيئاً ما! فلا تكتفِ بأن تقف مكتوفاً بل كن مقداماً. إن هذا ليس بالأمر السهل. غير أن العمل المضني والمثابرة يكفلان لك في المجتمع الحرّ أن تتقدم على النحو الذي تريد. وينبغي بالطبع أن تشكر النعم التي يُحلّها الله عليك.

لي ياكوكا ووليم نوفاك ■

وجبة على الحساب

الرجل لنادل المطعم: "أسرع، فالبطاقة التي تخولني تناول الطعام على الحساب ينتهي مفعولها عند منتصف الليل."

م.ب.

في المختار
الشهر المقبل

٩ نصائح قد تنقذ زواجك

تسع نصائح من اختصاصي مرموق لابقاء جذوة الحب مشتعلة بعد ٣٠ أو ٤٠ أو ٦٠ سنة.

سيبيريا، حلم الرواد

يعمل السوفييت على إنماء هذه الاصقاع النائية الزاخرة بالخيرات. فهل تشوه التكنولوجيا جمال الصحراء الثلجية ؟

طيران على طوف جليدي

وسط المياه المتجمدة في ألاسكا رجلان يصارعان للبقاء ودقائق تفصل بينهما وبين الموت.

أم نادرة لعالم البراءة

سيرة ممرضة بريطانية في منتصف العمر فتحت قلبها وبيتها لعشرات الاطفال.

عار أمريكا... الامِّية!

واحد من كل خمسة راشدين في أغنى الدول وأقواها لا يعرف القراءة والكتابة. انه العالم الثالث الامريكي...

أين الخطر في المحلِّيات الاصطناعية؟

غزت بدائل السكر الاسواق لتلبية متبعي أنظمة الحمية. لكنها باتت موضوع جدل حاد. فماذا يفعل المستهلك؟ الجواب في العدد المقبل.

إضافة إلى مَقالات أخرى شائقة وقصص مُسلّية



حديقة أفكار

- ■ الذي لا تحبه لنفسك لا تطلبه لي. — مثل اسباني
- ■ درهم عمل خير من قنطار كلام. — فرنسيس دوسال
- ■ وحدها الكلمة المكبوتة تشكل خطراً. — ل.ب.
- ■ الطفل جزيرة دهشة محاطة ببحر من علامات الاستفهام. — ش.ا.
- ■ الزواج طبق مغطى. — مثل سويسري
- ■ أحياناً يترك أفقر الرجال أغنى إرث لأولادهم. — ر.ر.
- ■ وحده لابس الحذاء يعرف قياسه الحقيقي. — ب.ر.
- ■ ما من أحد يكبر كفاية ليعرف أكثر. — هـ . ج.
- ■ العمل يعلمك كيف تؤديه. — مثل قديم
- ■ لا تتوقع أن يأتيك الصدى بأي جديد. — ك.ك.
- ■ من أعظم مصادر القوة افتخارنا بما نفعله. — ن.ا.
- ■ ان يمد المرء يده الى الآخرين هو أن يمد كيانه كله اليهم. — ر.م.

